

http://abuabdoalbagl.blogspot.com

أبو عبدو البغل

المقدمة

- 1 -

لماذا هذا الكتاب المخيف؟ -

قال بعض الناس: إنه كتاب مخيف رعيب، بعد أن سمعوه يذاع على حلقات من صوت المجاهدين (إذاعة التحالف الوطني لتحرير سورية).. وسمعنا لقولهم واحترمنا رأيهم، ومع ذلك أذعناه في مائة حلقة وحلقة، وها نحن أولاء نصدره في كتاب.

لماذا؟ -

حتى يعلم الناس كل الناس، يساريهم ويمينهم، عربيّهم وأعجميهم، أبيضهم - وأسودهم.. المتعاملون مع أسد ونظامه، والساخطون على أسد وسياسته الطائفية.. حتى يعلم كل هؤلاء، أي نظام ملعون هذا النظام الأسدي الذي رمانا به الصهاينة وأعداء هذه الأمة، ليعزلوا الشعب السوري وجيشه الأبي عن معركة تحرير فلسطين الأسيرة، وليخضدوا شوكة هذا الشعب وهذا الجيش، فهما كانا مصدر قلق وتوجس من قبل دهاقنة بني صهيون، ولم يستطع الاستعمار وظلمه وسياساته المتفاوتة في الشدة، أن يفعلوا شيئاً تجاه هذا الشعب، ولاتجاه الجيش السوري المنبثق من هذا الشعب..

وحتى يعلم سائر العرب والمسلمين ما يلاقي أبناؤهم العرب المسلمون السوريون من ألوان القهر والاضطهاد حتى الموت في سجون ابن الأفاعي حافظ أسد... فلعل اطلاعهم هذا يحفزهم على الثورة بهذا النظام، أو لعله يحفز هممهم لمساعدة الشعب السوري الذي طالما قدّم لهم المساعدات في أيام المحن التي مروا بها، لعلهم يقدّمون شيئاً ذا بال لهذا الشعب المنكوب بأسد ونظامه الطائفي الأجير، يخفف عنه بعض بلواه، ويعينه على التخلص من ظالمة الجزار حافظ أسد.. ولعله يشير نخوة الرجال فينهضوا لتخليص هؤلاء المعتقلين الأسرى من براثن هذا العقور الذي أطلقوا عليه اسم: حافظ أسد..

كما أن إخواننا المعتقلين في سجن تدمر، كان يوصي بعضهم بعضاً بأن ينقل المحكومين بالبراءة ما يجري لهم في سجن تدمر، في حال الإفراج عنهم، ومن يتمكن من تسريب بعض المعلومات عن الجرائم التي ترتكب بحقهم في سجن تدمر، فليفعل، وقد أذن الله بالإفراج عن الأخ صاحب هذا الذكريات، وهو لا يزال يذكر وصية إخوانه المعتقلين له، بأن يعمل على فضح هذه المخازي والجرائم، في سائر الأماكن التي يمكنه الوصول إليها، وبشتى الطرائق والأساليب، حتى غدت تلك الوصية هماً يومياً طالما عانى منه الأخ صاحب هذه الذكريات، إلى أن يأذن الله بنشرها وإخراجها إلى الناس، بعد أن شرح صدورنا لنشرها.

نحن كنا نعلم مدى الحزن الذي ستخلفه كل حلقة مذاعة في نفس سامعها، ولكننا كنا نعلم أيضاً التأثير الإيجابي الذي سيكون لهذا الحلقات على الساحة السورية خاصة، وعلى الساحة العربية عامة.. فقد قامت كوكبة كريمة من سيدات حمص - على أثر سماعهن البعض هذه الحلقات- بالتظاهر أمام مبنى المحافظة، وطفن في شوارع حمص، ووقفن طويلاً أمام مباني المخابرات العسكرية، والعامة والشعبة السياسية، وطالبن بأزواجهن وأبنائهن وأخواتهن وآبائهن وإخوانهن المعتقلين والمعتقلات منذ بضع سنين.. ثم تلتها مظاهرة نسائية أخرى في دمشق.

ثم ذهبت كوكبة من نسوة حمص الحرائر إلى دمشق، لمقابلة الشيطان الأكبر حافظ أسد الذي رفض استقبالهن، وأرسل أزلامه مهددين متوعدين، وقد تمكنوا من (الانتصار) الساحق على هؤلاء الحرائر، فشتتوا شملهن، وأعادوهن حزينات مهزومات إلى حمص..

فليهنأ الجيش الفخور بنصره وبكسر هنه..

إننا بإصدار هذه الذكريات عن سجن الموت في تدمر، ونقل معاناة أولئك الأحرار الأسرى، نريد أن نشهد العالم أجمع، نريد أن نشهد الدنيا بأسرها، على جرائم هذا الملعون ابن الأفاعي، لعل الحسّ الإنساني يتحرك فيهم، فيبادروا إلى فعل حاسم يجتث هذا السرطان من جسم أمة العرب، لينقذوا العرب والمسلمين من خبائثه وجرائمه..

وقد توخينا تقديم هذه الذكريات بهذا الأسلوب العفوي البعيد عن التزويق والتشذيب، لأننا رأيناه ينبثق من أعماق القلب، ليقع في قلب من يصل إليه، وإن كان ما يحزننا أننا حذفنا بعض مناجياته على الرغم من عفويتها ورقتها ونعومتها وتأثيرها لاعتبارات لا مجال لذكرها الآن

ولعل قارئ هذه الذكريات المحزنة المؤلمة، الذكريات التي تجعل نفس قارئها تطفح بالرعب.. لعله يلاحظ معنا عدداً كبيراً من المعاني الإسلامية والإنسانية والتنظيمية نذكر منها:

1 - إن الأمل لم يفارق هؤلاء الأحبة حتى وهم يعانون أقسى أنواع التعذيب، ويعيشون أحلك اللحظات، فقد كان الأمل لديهم ينبثق من بين أسداف الظلم والظلام، وإذا هم شاكرون حامدون، وصابرون محتسبون، يملأ الإيمان قلوبهم، وينير أبصارهم وبصائرهم، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم: عجباً لأمر المؤمن، إن

أمره كله خير.. إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له..

كان لجوؤهم إلى الله الملجيء المنجي، هو الذي يجعلهم في هذا الصفاء العجيب.. يسحقون وتسحق معهم أجسامهم وإنسانيتهم، وهم في حالة عروج روحاني عجيب، تصحب حالة السحق والطحن.

2 - وقد نتج عن ذلك ثبات الفتية الشباب كثبات قاسيون، ورجولة بزت رجولة الفحول، إلى جانب التقوى الحقيقية والإيثار الذي علّم الكبار.. إنهم فتية آمنوا بربهم، وارتضوا أن يكونوا جيلاً استشهادياً فريداً.. وأنا أذكر الفتية الأشبال، لأن الشيوخ لا تستغرب منهم هذه المواقف التي تمليها عليهم تجاربهم الطويلة وثقافتهم الشرعية، وعبادتهم الخالصة لوجه الله على مدى السنين.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، لنبين الفوارق الكبيرة بين هؤلاء الفتية المؤمنين، وبين أترابهم وزملائهم، أولئك الذين ما يزالون تائهين في دروب المراهقة، يلاحقون الفتيات ويمضون أعمارهم، في الخزعبلات والترهات..

كنا ذات يوم في السجن المركزي الكبير في حلب... كان في مهجعنا رقم (1) حوالي خمسين أخاً معتقلاً، وكان من بينهم فتى مهذب، وكلهم..

كل الفتيان كانوا مهذبين، اسمه فهد تاج الدين من حلب.. شاب في عمر الورود، لم يتجاوز ربيعه السادس عشر، تقي نقي ذكي، لمحني أقف على (البلاط) أرض المهجع، أكلم أحد السجانين، وإذا هو (فهد) يسرع بجلب بطانيته ليمدها تحت قدمي كيلا أتأثر بالبرد في الدقائق التي أحدث فيها ذلك السجان..

أعجب السجان أيما إعجاب بفعل الفتى فهد تاج الدين وقال: اطمئن يا أستاذ، المستقبل لكم، وسوف تحكمون العالم، ما دام عندكم أمثال هؤلاء الشباب..

وكانت هذه الحادثة أحد الأسباب في هداية ذلك السجان... أذكر أن الشهيد وليد حماد -رحمه الله تعالى- دخل السجن وهو بريء لا علاقة له بالجماعة.. اعتقل لقرابته من الأخ الحبيب النقيب إبراهيم اليوسف -تغمده الله، وسائر إخواننا الشهداء بفيض رحمته ورضوانه-.. وقد ثبت لدى المحققين والجلادين هذا عن وليد.

وكان يوم حاول أحد السجانين الاعتداء على أحد الأخوة المعتقلين في السجن المركزي بحلب، فضج الإخوان، وكانت أيامنا أيام عز، وقد كان إخواننا المجاهدون يصلون أسداً وأزلامه نيراناً حامية.

فما كان من عناصر المخابرات إلا أن يشتطوا على إخواننا، فتصدى لهم وليد، فأخرجوه من المهجع ليعذبوه، فهاجمهم وليد -وكان قويّ البنية، مفتول العضلات- وتمكن من صرع ثمانية سجانين.. واستنفرت أجهزة المخابرات، وهاجمت السجن عدة سيارات محملة بالعناصر، واستاقوا الأخ البطل وليداً إلى فرع المخابرات العسكرية بحلب..

وفي فرع المخابرات العسكرية هذا قال له رئيسها آنذاك، العقيد عدنان رام حمداني: يا وليد.. ألم تقل لنا: أنك لا علاقة لك بالإخوان؟

فأجابه وليد بحزم: صحيح قلت لكم هذا، ولكني أدعوك إلى الذهاب إلى السجن، والعيش مع الإخوان مدة أسبوع فقط، وسوف ترى نفسك أنك صرت (خلق) أي صرت إنساناً مسلماً مهذباً لا كما أنت الآن.

وابتلعها العقيد وخرس، ثم أعاده إلى السجن المركزي وقد حقق انتصاراً على السجانين، وانتصاراً على رئيس المخابرات العسكرية بحلب، وانتصاراً على نفسه وانتصاراً لإخوانه على الظالمين، إذ حفظ لهم هيبتهم وكرامتهم..

وكان من نتيجة ذلك، أن أخلوا سبيل وليد وأفرجوا عنه، قبل أن يتأثر بشباب الإخوان وبفكرهم.. ولكنه خيّب ظنهم، فقد خرج من السجن إلى العمل المسلح، ولقد شاهدته بعد خروجه وخروجي من السجن، وإذا هو شاب مرهق، وقد خفّ وزنه وشحب لونه، وعندما سألته أمام الأخ النقيب عن سبب هذا الضعف وهذا الشحوب أجابني النقيب: انظر إلى كفيه.. إنه يقاتل في الليل، ويبني القواعد في النهار.. ثم ما لبث أن استشهد في القاعدة التي داهمتها مئات العناصر الأسدية فقتل منها وليد مقتلة عظيمة..

مما يلفت نظر القارئ هذا الجيل الاستشهادي الفريد من أشبال الإخوان المسلمين، فقد طلّقوا دنياهم طلاقاً بائناً، وأقبلوا على آخرتهم مخلصين منيبين، فكانوا نماذج حيّة للشبان الناشئين في طاعة الله المقبلين على جنته، ليكونوا من الذين يظلهم عرش الرحمن بظله يوم لا ظل إلا ظلّه.

3 - ولعل ظاهرة الإيثار الذي تميز به الشباب، من أقوى الإيجابيات في حياة هؤلاء الأحبة الأسرى.. فأي إيثار أعظم من هذا الإيثار؟.. أن يتقدم الفتية الشباب ليكونوا في الصفوف الأولى التي تتلقى أعنف الضربات، وأقسى ألوان التعذيب على أيدي جلاوزة أسد، بينما يبعدون المرضى والعاجزين والكهول والشيوخ إلى الصفوف الخلفية، كيلا تنالهم الصدمة الأولى من التعذيب الوحشي..

يا حسرة عليكم أيها الشباب.. فما أمسّ حاجة الدعوة إليكم وإلى أمثالكم في هذه الأيام العصيبة.

ترى.. أي عقوبة تلكم التي ستنزل بهؤلاء الجلادين الذين فعلوا الأفاعيل بأولئك الأحبة؟..

اللهم أي لا أكاد أتصور عقوبة تشفي منهم الغليل..

اللهم مكنّا من هؤلاء الوحوش الأنذال، لنثأر منهم لدينك ولجندك ولنشفي بثأرنا صدور قوم مؤمنين...

- 3 -

يا شباب.. هؤلاء هم إخوانكم الذين سبقوكم إلى الجنة.. هؤلاء هم.. محمود ورامز وهمام وعبد الله وعصام ووائل وفهد.. ادرسوا حياتهم جيداً، ثم اتخذوهم قدوة لكم، وسيروا على نهجهم، لتفوزوا في الدنيا والآخرة.. ودعوا السفلة ودعاة الفتنة والمزايدين في أسفاف.. دعوا رافعي الرايات البيض والمنبطحين والمستسلمين والمستفيدين من هذه الثورة، المثيرين على حسابها كما أثرى عملاء أسد... دعوا هؤلاء فهؤلاء ليسوا منكم ولستم منهم... إنهم عمل غير صالح.. هؤلاء ليسوا قدوتكم، ولا يستأهلون أن تنظروا إليهم إلا نظرات الإشفاق الحزين، ولا تشغلوا أنفسكم بهم.. لأنهم تافهون.. تافهون.. تافهون..

- 4 -

يا هوووووو..

ترى أي ثأر سيكون الثأر لأولئك الأطهار...؟

إن الآفاق ينبغي أن تصبغ بالحمرة القانية..

وعلى كل مجاهد أن يضع على عينيه نظارة حمراء، يرى مستقبل أولئك الأشرار الأسديين من خلالها..

وليكن شعاركم أيها المجاهدون:

..ليقتل كلّ منكم أسدياً واحداً على أقل تقدير

..والموت والعار للجبناء والمستسلمين

..فالثأر الثأر لتدمر الحمراء

..ولن تطفى الحرائق في قلوبنا وأعصابنا إلا أنهار الدم تجري عبر الزمان

..فلنثأر نحن

..ولنربِّ أولادنا وحفدتنا على الثأر

...فليس للعقرب حافظ أسد إلا الحذاء

..ولا يفهم غير لغة الحذاء الذي سندوسه به

..وليس لنا من مادة نتعامل بها مع تلك الوحوش الجبلية إلا الثأر والنار

..فانتظرونا أيها الجلادون مصيركم المحتوم

..فإننا منتظرون

..انتظر يا فيصل ويا سليمان ويا فواز ويا شعبان ويا ديوب

..هيه صواعق السماء

..هيه براكين الأرض

..تفجري حمماً، وطهري الأرض من هؤلاء الأوباش

..يا ثارات الله تحفزي

..يا استغاثات الأعراض استوفزي

..يا لوعات المنكوبين في سجن الموت قد جئناك

..ويا أعداء الله والإنسانية قد جئناكم بالذبح، فمدّوا الرقاب

..ويا شعراء العالم اقرؤوا سطوراً منه همجية هذه الوحوش الجبلية في سجن تدمر

..يا فناني العالم اقرؤوا قصة المأساة

..ثم خلّدوا إقدام هؤلاء الشباب

..خلّدوا هؤلاء الشباب الشهداء الأطهار

واجعل اللهم دماءهم ناراً تلظى، تحرق الظالمين، وتنير الطريق للمجاهدين ولسائر المسلمين..

اللهم احصهم أسداً وقبيله وعبيده وأزلامه وأركان نظامه.. اللهم احصهم عدداً، واقتلهم بددا، ولا تغادر منهم أحدا.. اللهم اجعل قتلهم على أيدينا وبأيدنا يا منتقم يا جبار.. وسلام عليكم إخوة الجهاد في الخالدين.

25/8/1985
توطئة
أخي القارئ الكريم.

قد يكون هذا الجهد قاصراً، وهذا العمل ناقصاً، والخبر غير مكتمل فالكمال لله وحده، والعذر أمام الله وأمامك، وأن أخاكم قد بذل جهده، وسعى طاقته، وإن لم يمكنه أن يحصي في هذا العمل كل هذه الأحداث، فقد ذكر جلها، وفي هذا غناء لمن وعى، أن يتذكر أولو الألباب.

أخي القارئ الكريم يمكنك أن تقول: إن هذه الصفحات إنما هي عصارة روح آضها ظلم فادح، ونزل بها بغي فاجر، وأحاطت بها محن وأهوال ومهالك بك ما في تلك الكلمات من معانٍ، وهكذا فإن صاحبها عاجز عن نقل كل ما عاناه وعاشه هو وزملاؤه المعتقلون من صنوف البلاء، ولكنه يرغب من صميم قلبه أن ينقل إلى الملأ كل ذي بصر وبصيرة، وإلى كل ذي همة ومروءة وشهامة، خبر ما عاناه وما عاينه في تلك الفترة، ما بين آب 1980 وتموز 1982 من أحداث رهيبة، وإنه يقول ويعلن بكل أسى وحرقة، أن هذه الأوضاع والأحداث الرهيبة مستمرة، بل إن وتيرة المكابدة في ازدياد.. فلئن كان نزلاء السجن سجن الموت تدمر في أواخر عام 1982 ستة آلاف معتقل، فانهم الآن يجاوزون التسعة آلاف، سوى من هلك خلال ذلك الوقت.. ولئن كانت أحوال المعتقلين في سجن الموت في تدمر مؤسية منذ أول يوم وجدوا فيه، من جميع النواحي المعيشية والصحية، وخطيرة جداً بعد ذلك من النواحي المذكورة، حتى أواخر عام 1982 فكيف هي أحوال هذه الألوف المؤلفة من المعتقلين الذين يكدسون أعداداً فوق أعداد؟ فكيف أحوالهم اليوم؟ ولئن كان الجوع يطحنهم

والأمراض والتعذيب والإعدامات تفتك بهم في أواخر عام 1980 وهم ستة آلاف، فكيف وقد تضاعفت أعدادهم؟ ومن أين لحياتهم المهلكة في سجن الموت أن تسمى حياة؟! إنها قتل بطيء عدا القتل وعدا الإعدامات وعدا الجوع والمرض.

فهل يطيب لذي ضمير أن يهنأ بالطعام والشراب، ويشرب قهوته، وينفث دخان سيجارته في تراخ وكسل، وهو يعلم يقيناً سوء ما يلاقيه إخوان له – في الإنسانية على أقل تقدير.

إنها صرخة أرجو أن لا تذهب في واد.

وإنه استصراخ لأصحاب الضمائر والمروءات.

وإنه نذير للساهين الساردين..

ونذير للممالئين للظالمين..

وإنه هزة للغافلين والمتغافلين..

وإنها صرخة المظلوم في وجه جلاده اللئيم..

ولكنها محنة ستنقضي، وليل سيعقبه – مهما طال – فجر مشرق وضاء، وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون.

وعلى الله قصد السبيل

"خالد فاضل"

خرجت صباح يوم 1980/7/10 في السابعة والنصف صباحاً قاصداً مركز عملي في إحدى إدارات الدولة وقد تسحرنا هذا اليوم الأول من شهر رمضان المبارك. لقيت في طريقي بعض الناس فسلمت عليهم من بعيد. كان يوماً عادياً كسائر الأيام. مشاغل كثيرة، أفكار مختلفة، اليوم سوف أنطلق إلى العمل كالعادة، سوف أكون مجداً. يجب

أن تثمر الجهود وأن نقدم أكبر خدمة ممكنة لهذا الوطن ونحصل على أفضل النتائج، لن أتهاون مع المعطلين. ليكن الأمر جداً، فمصلحة العمل أولاً وأخيراً.

رمضان شهر الخير والبركة، لا بد من إفطار شهي مناسب ومن أنفق ووسع على عياله وسع الله عليه (أنفق بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالا) من للأرامل والیتامی والمشردين في شهر الخير؟. أصبح عمل الخير مخيفاً في هذه الأيام...

التقيت البارحة بصديق خرج حديثاً من السجن فهنأته بالسلامة. قال لي: لا تؤاخذني لا أجسر أن أدعوك لزيارتي...

عجيب أمر هذه الدنيا في هذه الأيام، سخرت من هذا الأمر في نفسي. قال الصديق: قد لا تصدق ولكن من جرب عرف...

مالي ولهذا الأمر لا أريد طبعاً أن أجرب. أمامي اليوم عمل كثير. العمل والإنتاج هما الأساس ولأن تكون عاملاً منتجاً فعالاً خير من أن تكون (سياسياً) متحذلقاً ترائي الحكام، ولا تعمل ولا تنتج إلا قليلاً. مررت بالسوق واشتريت بعض المواد ووضعتها في حقيبة الخضار، لا بأس أن ترسل هذه الأشياء إلى البيت ليفرح العيال بإفطار رمضاني شهي. أمر هام ومهمة جليلة أن تربي أطفالاً وتخرج للحياة وللوطن شباباً وأعين ورجالاً منتجين، وعلى خلق حسن أمناء في الفكر والعمل، مررت بالبقال المواجه للدائرة فقد كان من العادة أن أمر به كل صباح لأشرب معه كأساً من الشاي، وهو يلقي بنكاته الساخرة ويضحك بمرارة، ويقسم أن بطن الأرض أصبح خيراً من ظهرها، لم أجده اليوم على خلاف العادة. وضعت حقيبة الأغراض أمام الدكان أمام بصر ابنه الصغير، نظرت إلى باب المحل المجاور.. كان خالياً تماماً، أنا لا أحب تضييع الوقت في الأسواق، ولكني أجد هنا في الغالب أبا محمد موظف الزراعة وأمين أستاذ التاريخ الذي لا يجد عملاً وعبد الله صاحب محل النوفوتيه، فقد اعتادوا أن يشربوا كأس شاي سريعة قبل الانطلاق إلى العمل، وكنت أمر بهم في بعض الأحيان لأسمع أخبارهم الجديدة، عن المظاهرات والتمشيط والمحاكم الميدانية وغيرها، فقد كانوا ينفذون إلى دقائق الأمور وهم يحللون كل قضية، غريب أمر هذا اليوم.

تحدثت البارحة مع صديق لي معلم في إحدى المدارس قال: أنا خائف من الاعتقال فهؤلاء الحكام طائفيون وأنذال. قلت: ولم تعتقل وأنت بريء لم تفعل شيئاً يخالف القانون؟..

قال: هؤلاء لا يعرفون شيئاً اسمه قانون، ولا يهمهم ما إذا كنت عملت شيئاً مخالفاً أم لم أعمل.. إنهم يضربون في الناس يميناً وشمالاً، حتى الحزبيون ليسوا في أمان.. بلادنا في محنة، تسلطت عليها هذه الفئة غدراً وقهراً، يأخذون الإنسان هكذا بالشبهة وإلى أن يتحققوا من براءته، يفقد نصف حياته أو كلها..

الاعتقال

وصلت إلى مكان عملي متأخراً بعض الشيء، وجدت على الباب جمعاً من الناس كالعادة بل وأكثر، إنهم لا ينتظرونني بل ينتظرون الموظف الكبير وكاتبه الأمير ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وقام أحدهم إلي، فظننت أنه يريد مجرد استفسار مني، ولكن تبين لي أن عمله عندي وشعرت بالحرج والخجل، أتركت إنساناً ذا عمل ينتظرك؟ أيسامحك ربك؟ أسرع فاقض له حاجته وكفاك تعطيلاً له.

أسرعت إلى طاولة العمل، وبينما أنا أمسك بالقلم لأخط بعض الكلمات، اقترب مني زميل وأشار إلى ثلاثة أشخاص جالسين قريباً وقال هامساً: إنهم ينتظرونك. وبدت الوجوه غريبة علي وقام أحدهم فسلم وسألني: أنت فلان؟

قلت: نعم..

قال: نريدك لخمس دقائق في الدائرة.. ودار سؤال في ذهني قلت: أهلاً وسهلاً، كتبت شيئاً، وناولته للرجل وكان آخر عمل، وخرجنا من المكان فإذا سيارة في طريق جانبي فيها رجال مسلحون. ركبنا السيارة وسارت بنا كانت كل خطوة تبعدني عن أهلي وعن حياتي وأولادي وعملي لأعيش حياة كلها عذاب وقهر وموت، ولأشهد الظلم ليلاً حالك السواد يلف بلادنا الحبيبة، ويطيح بحياة الألوف من أبناء هذا الشعب ليلقيهم جثثاً هامدة مشنوقة بحبال رفيعة على خشبات رهيبة، وتلقيهم في حفر ضخمة في صحراء (تدمر) ويهيل عليهم البلدوزر التراب، وليترك آخرون أشباه بشر يعيشون حياة هي إلى الموت أقرب، ولولا إيمانهم ولولا صبرهم لماتوا قهراً، فالموت أهون بكثير من حياة يوم واحد في (تدمر) الظلم، حتى ليقسم الإنسان البسيط قائلاً: والله لولا أن قتل النفس حرام لما ذقت طعاماً حتى أموت.

كان في الدورية شاب نحيف أسمر تبدو عليه علامات الإشفاق والضيق، وبعد وقفة قصيرة في أحد فروع المخابرات انطلقت بنا السيارة إلى مركز مخابرات المحافظة. كانت السيارة قوية سريعة، وأنا جالس في المقعد الخلفي وبجانبي عنصر مسلح وفي الأمام آخر والسائق. تشجعت وسألت: ما هي القضية التي تريدونني فيها؟

قال الأسمر: لا بسيطة..

قلت: أرجو أن يكون ذلك سريعاً.

قال الأسمر: لا تستعجل..

حرت ماذا أقول.

معتقل أمن الدولة بإدلب

وفي بناء طويل ضخم كأنه مدرسة دخلنا من باب جانبي وسرنا في ممر طويل وأنا لا أكاد أشعر بشيء، وقد أنست إلى الأسمر ولكنه كان يبدو يائساً.. نزلنا درجاً إلى قبو البناء وسلمني هناك إلى رجل في يده رزمة مفاتيح وأوصاه بي قائلاً: دير بالك عليه. ومضى..

وقادني السجان إلى باب أفضى إلى ممر متعرج على جانبيه أبواب، فتح أحدها وأدخلني وقال: خذوا هذا لعندكم.. وأغلق الباب ومضى.. قلت لنفسي: هذا أول الغيث.. زنزانة مظلمة وأبواب حديدية فماذا بعد؟ ولو عرفت لقلت أنه أدهى وأمر. أين أنا من الوظيفة والعمل وتقديم الخدمات للناس والعيال وكيف يعيشون بعدي؟ وعلى الدنيا السلام، وناداني صوت من داخل الزنزانة: تفضل يا أخ. نظرت فإذا أناس جالسون وخجلت من نفسي، فألقيت عليهم السلام. كان قلبي يهفو إلى خارج هذا المكان فكيف أدخل؟ وأعادوا الكلام: تفضل يا أخ. هل أقول لهم أنا مستعجل؟ أنا مشغول؟ ورائي عمل أريد أن أعود، وهل ذلك بيدي؟ فماذا أعمل يا رب؟

ولكن.. يبدو أنه لابد من الجلوس. نزعت حذائي وجلست في طرف الغرفة كضيف خجول، فشددوا الطلب: تفضل إلى هنا. قلت لنفسي: يبدو أني حللت بين قوم كرام فليس من المناسب أن أخرج دفين قلبي فأزعجهم، ولكن لسان الحال كان ينبئ عما في الأعماق.

التحقيق والتثبيت

مضى الوقت وألفت الجلوس والنظر إلى الجدران الكالحة، ولكن شوقي إلى رؤية السماء كان حاراً، وألمي من الباب المغلق كان مراً. حلّ المساء وكانت أيام رمضان شهر الخير الذي طالما أمضيناه في حال من السرور حيث نجتمع على مائدة الإفطار الشهية بانتظار مدفع الإفطار، ونغرف للجيران حتى لا نؤذيهم بقتار قدورنا ويغرفون لنا فيكون خير على خير، وكانت مائدتنا اليوم عامرة بالنسبة لوضعنا حيث كنا نتوقع أن لا نجد ما نأكله فإذا بالمائدة وقد حوت ما يسد الرمق ويذهب ألم الجوع، فالحمد لله رب العالمين.

في هذا المعتقل (معتقل أمن الدولة) الذي هو قبو أرضي في بناء كان مخصصاً لمدرسة، كان هناك حوالي ثماني زنازين فيها حوالي ثلاثين معتقلاً، وسنحت فرصة في المساء حينما سمح لنا بالخروج إلى الدورة واحداً بعد واحد، وبمساعدة من الأخوة كلمت بعض من أعرفهم في الزنزانة المجاورة وخاصة "أبو بلال" وعلمت شيئاً عن سبب اعتقالي قال لي أبو بلال بالحرف الواحد: أنا حكيت عليك تحت التعذيب.. دبّر حالك.

قلت: كيف أدبر حالي يا أبا بلال؟

قال: لا أعرف.

قلت: ماذا قلت عني؟

.قال: قلت سمعت أحد الأشخاص يقول عنك: ماشي حالو

قلت: يعني؟ ماذا تعني بماشي حالو؟

.قال: متعاطف أو شيء من هذا القبيل

.قلت: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

:طلبت في العاشرة ليلاً للتحقيق.. شجعني الأخوة قائلين

توكل على الله.. قل لهم: مالي علاقة بأحد، علاقتي بالناس طيبة، لست ضد .الوضع

فتح السجان الباب وأمرني بالخروج واقتادني إلى غرفة جانبية وجاء بمنديل أسود فعصب به عيني جيداً واقتادني إلى ممر ثم دخل بي إلى قبو التحقيق وأوقفني فيه. شعرت أني أقف أمام إنسان ما، فألقيت السلام فلم يعجبه ذلك فقام إلي وانهال عليّ ضرباً فوجئت بهذه الهجمة المنكرة، وصدمت رغم أني كنت أتوقع ذلك وأكثر منه، ولم أكن أتصور كيف.. ثم أمرني أن أحدثه عن تنظيم الأخوان المسلمين .بالتفصيل

.قلت: لا أعرف عنهم شيئاً

..قال: يا إما تحكي بالطيب وإلا والله بسلخك؟ احكي مين اللي نظمك؟

قلت: أنا لست منظماً يا أستاذ. أنا موظف بسيط من بيتي لعملي وهذه هي .حكايتي فعلاً وبكل صراحة

قال: احكي مين اللي نظمك في الأخوان المسلمين؟ مين تعرف منهم وبدك تحكي ..كل شيء.. نحن نعرف كل شيء عنك لكن بدنا أنت تحكي

قلت: صحيح.. أنتم تعرفون كل شيء وأنا لا أعرف شيئاً، أنا أقول الصدق ولا أكذب عليك. أنا لا أعرف شيئاً عن الأخوان المسلمين ولا بعمري التقيت بواحد منهم هذا .هو الصدق

قال: أنت ما بتفهم بالمعروف ولك..؟

واندفع يصفعني ويضربني وهجم عليّ شخص آخر وألقاني أرضاً ووضع رجلي في دولاب، وأدخل رأسي فيه فجمع رأسي إلى رجلي (يا رب ماذا فعلت)؟

..صرخت: والله قلت الصدق

..فصرخ: كذاب ولك

وانهالوا عليّ ضرباً بالخيزرانة على رجلي وعلى ظهري وجانبي، بدأت أشعر بألم في جسمي كله، وكأنه يكوى بالنار، وأن هذه النار تضرب في العظم وصرت أتأوه وأصرخ:

..يا أستاذ يا سيد أنا بريء. أنا مالي علاقة بأحد اسأل عني

..فصرخ فيّ: كذاب ولك.. بدك تحكي غصباً عنك

وصرخت رغماً عني. كان الألم رهيباً فارتفع صوتي بالصراخ والتأوه.. ودارت الخيزرانات تأكل من جسمي من الرجلين والجانبين والظهر ومن كل مكان، وأنا أستغيث ولا مغيث ثم وقفوا بعد أن تعبوا وكلوا.

ونهرني قائلاً: بتحكي ولك..؟

..قلت: نعم بحكي ايش بتريدوا؟

قال: هات لنشوف مين اللي نظمك وإيش بتعرف عن الأخوان المسلمون؟

.قلت: والله ما بعرف شيء عن الأخوان

..فصرّ على أسنانه وقال: ما بتعرف يا... خود

وعاد الفلم من أوله، وتوالت الضربات على رجلي كأنها النار تكوي العظام، وتناولتني الخيزرانات تلدغ بسمها جميع بدني كأنها الأفاعي تنهش من لحمي وعدت أصرخ:

..دخيل الله يا الله أنا بريء.. أنا بريء -

وكأنهم حموا أكثر فكأن كلامي الزيت يلقى على النار فغبت عن الوجود.. وهدأت حمى عذابهم وعادوا إلى المحاورة:

بتحكي ولك؟ -

قلت: نعم بحكي دخيلكم. أنا رب عائلة وأطفال صغار، ما عندكم أطفال, إيش بتريدوا مني؟

قال: مين اللي نظمك؟ ماذا تعرف عن الأخوان المسلمون؟

..قلت: والله يا ناس ما بعرف شيء والله ما بعرف.. انتو بتعرفوا

وعادت الخيزرانات تلعلع وتأكل من رجلي وجسمي وعدت أصرخ وقد جفّ حلقي وضعف صوتي وقال أحدهم:

..الكهرباء -

:ووقف الضرب وجاؤوا بسلكين فربطوا كل واحد منهما بإصبع من إحدى رجلي وقالوا

...بتحكي ولك وإلا منشويك بالكهرباء مثل العصفور؟ -

..فصرخت: يا سيدي والله حكيت وبحكي إيش بتريدوا

وسرت الكهرباء في الأسلاك وكأنما هي العقارب تدب وتلسع في رجلي ثم اشتدت فأخذت جسمي رجفة شديدة والنار تسري في دمي وعظامي وتأخذ بقلبي تريد أن تخنقه وتقتله وصرت أصرخ ملء فمي بلا شعور وأنتفض كالمذبوح وكأن جسمي أصابه مسّ شيطاني، وكأنما ركب في رجلي زنبرك كما في لعب الأطفال، فهي تتحرك آلياً في انتفاضة مستمرة والنار تسري في دمي وجسمي حتى كللت ووقفت النار.

..وصرخت بصوت ضعيف: والله بحكي يا سيدي بحكي

فصرخ المحقق منتصراً: مين اللي نظمك وإيش بتعرف عن الأخوان المسلمين؟

قلت بألم: والله ما حدا نظمني يا ناس لا أعرف الأخوان، كل عمري ما شفت شخص من الأخوان المسلمين من أين أعرفهم ما حدا قال لي أنا من الأخوان.

وعادت النار تسري في جسمي ويغلي بها دمي، وأصبح صراخي ضعيفاً وصوتي لهاثاً لا يكاد يسمع وجسمي ينتفض كريشة تضربها رياح عاصفة من كل مكان، ووقفت النار وعادت المحاورة القاتلة ولا أدري كيف مرت ساعتان من حياتي كأنهما الدهر، وأخرجوني من غرفة التحقيق إلى الممر ثم إلى الغرفة الجانبية, ونزع السجان العصابة عن عيني وأعادني إلى الزنزانة وأنا أستند إلى الجدران وأجر

نفسي جراً، وتلقاني الأخوة يواسونني ويهونون عليّ وقال أخ مهندس: شد حيلك هي ساعة وتزول..

وسألني آخر: هل تورطت في الكلام؟ وأشرت برأسي كالذي يناطح الصخر:لا.. وكانت الدموع تسيل من عيني ورجلاي متورمتان مشققتان، وساقاي مجروحتان في عدة مواضع. أردت أن أضطجع فما استطعت. كان جسمي يؤلمني أشد الألم، وجالت في نفسي خواطر، ما أحلى أن يصاب الإنسان في سبيل مبدأ سام شريف، تذكرت أنا كنا منذ فترة نسعى لبناء جامع في حينا، وشاركت مع عدد من أهل الحي في العمل بهذا المشروع، وكان هناك الحاج معروف صاحب أرض البناء الذي تبرع بالأرض كلها والتاجر يونس الذي دفع مبلغاً كبيراً والبناء أبو خالد يشارك باستمرار في العمل والإشراف. وكنت أساعده.. وزلقت رجلي يوماً فوقعت وكشطت ركبتي وتألمت كثيراً ولكن هون علي ذلك أن هذا في سبيل الله واليوم يصيبني هذا العذاب: لمَ يارب؟ إن لم أكن من تنظيم الأخوان فأنا مسلم وأنت يا ربي كريم، فإني أرجو أن تكون هذه الآلام في سبيلك، وأنها لظلم واقع بي من هؤلاء الطاغين، وأنت يا ربي لا تحب الظلم ولا يضيع عندك شيء.. اللهم انتقم منهم.

أبو اصطيف

كان دور المحقق يبدأ في العاشرة صباحاً ويستمر إلى الثانية بعد الظهر، ومن التاسعة ليلاً حتى آخر الليل. وكان لي في كل يوم جلسة تحقيق في الصباح وأخرى في المساء، وينشغلون عني بعض الأحيان، ويعيدون في كل مرة (فلم) العذاب بأكمله قاسياً مريراً رعيباً, وكانوا يطلبون مني أن أكتب لهم في كل مرة اعترافاتي ولا يعجبهم ما أكتب، فيضربونني عليه أشد الضرب.

فتح السجان باب الممر قبل الظهر وأدخل شخصاً فأوقفه في الممر وتركه ومضى.

قام أحد الأخوان فاسترق النظر من النافذة الصغيرة ثم قال: قادم جديد.. قمت استرق النظر وهالني ما رأيت يا الله.. إنه أبو اصطيف، كان يقف في طرف الممر يلبس بدلة رصاصية اللون مكوية، وكأنه جاء ليتفقد أحوال المعتقل، ناديته: أبو اصطيف. السلام عليكم..

أجاب: وعليكم السلام.

قلت: خيراً إن شاء الله يا أبو اصطيف؟

كان سؤالاً حائراً، وأقول في نفسي: وهل يحتاج الأمر إلى سؤال؟ ولكني لم أكن أصدق ما أرى.. ما جريرة هذا الإنسان الطيب الأديب الذي ما عرف حتى الكلمة الجارحة ولا اللفظة النابية كله أدب وأخلاق كريمة وعمل ونشاط دؤوب واستقامة.

وأجاب أبو اصطيف: لا ما في شيء سؤال وجواب خمس دقائق.

وكان عازفاً عن الكلام.. وكأنه مشغول أو مستعجل (نفس الحالة التي مررت بها) وكدت أصدق أنه كذلك (سؤال وجواب) خمس دقائق.. حتى لقد هممت أن أحمله سلامات للأهل.. وجاء السجان وأدخل أبا اصطيف الزنزانة المجاورة واستفهم أحدهم عن أبي اصطيف وأمره فقلت حائراً: يقول سؤال وجواب خمس دقائق فقط. فقال أحدهم: نعم إلى يوم يبعثون.

الطائفيون

قال لي الأخ (س) المهندس وأنا ذاهب إلى التحقيق: لا تخف (يا فلان) أنت أقوى منهم أنت أقوى منهم بإيمانك.. إنهم لم يستطيعوا أن يطاولوك فراحوا يعتدون عليك بالضرب.. اعرف ما تقول واذكره فأنت مسؤول عنه.

وأعود بعد التحقيق محطماً فيواسيني الأخوة بكلمات رقيقة مشجعة كالبلسم يمسحون بها الجراحات.

جاء أخ منقول من الفرع العسكري لبعض التحقيقات، كانت حاله سيئة جداً، رجلاه مضمدتان ويده متورمة من الكوع وفي وجهه كدمات مختلفة وحول عينيه هالتان سوداوان، وإذا هو يحسدنا على حالنا في معتقل أمن الدولة ويقول:

- أنتم بخير وعافية، تحقيقكم هنا (أسهل من شربة ماء) الطائفيون عندكم لا يعملون بأيديهم بل بصفة مراقب فقط، بينما عندنا يتولون العمل بأيديهم هناك يؤخذ المعتقل للتحقيق فإما أن يتكلم بما يريد المحقق (ما جرى وما لم يجر) وإلا فإن مصيره التحطيم أو الموت، وإذا لم يمت فسوف يعود إلى التحقيق من جديد.. شابان في شرخ الشباب في سن العشرين قتلا أمام عيني بعد عذاب رهيب استمر أربع ساعات متوالية أحدهما هو الأخ سيف الدين طرشه، رحمه الله، فترحمنا عليهما، وحمدنا الله الذي لا يحمد على مكروه سواه.

إلى دمشق

جاء السجّان وفي يده ورقة مكتوبة ونادى باسمي وأمرني أن أوقّع عليها وقد أخفى ما فيها.

قلت: على أي شيء أوقع؟

قال: مالك علاقة يا إما بتوقع يا إما باخدك إلى غرفة التحقيق.

نظرت إلى الأخوة حولي أستفهم منهم. قال (س): وقع. وأشار بيده: وليكن ما يكون واخلص من العذاب فوقّعت. عرفت في الورقة كلاماً يسيراً لحظته خلال التوقيع، كان اعترافاً ملفقاً بأشياء لا أعرفها.

وفي اليوم التالي كان في المعتقل حركة غير عادية، فقد جاء أشخاص آخرون ونودي بأسماء منها اسمي. قال بعض الأخوة: نقل. وتذكرت. لقد هددني المحقق في آخر جلسة تحقيق وآخر حفلة تعذيب وقد يئس مني فقال: (والله لأبعتك على الشام يا...) ولم أعر الأمر كبير اهتمام فماذا في الشام أو غيرها؟ ولكني عرفت فيما بعد معنى هذا التهديد، ولكن بعد فوات الأوان.

ففي (تدمر) الموت حدثني الأستاذ (ع) مدرس الرياضيات قال: طلبت من قبل المخابرات فهربت واختفيت خائفاً أترقب ومضت أيام صعبة قرابة شهر ولم أكن من المجرمين ولا ارتكبت أي ذنب يعاقب عليه القانون، ولكني متدين أصلي وأصوم وكان لي بعض الأصدقاء المتدينين، ولكن في هذه الأيام الكل مجرم حتى ولو ثبتت براءته، ونحن نرى الذاهب (الذي تأخذه المخابرات) لا يعود، بريئاً كان أم مذنباً، إلا من رحم الله ليحدث عن العذاب والإرهاب.

ضاقت بي الحال وصعب علي مواصلة الاختفاء فتوسط لي بعض الأقارب لدى مسؤول كبير في المخابرات وأخبره بأمري فقال له بالحرف الواحد: ليس متهماً بشيء، ولكنه مطلوب إلى الشام ومن يذهب إلى الشام لا يعود فليهرب.

ويتابع الأستاذ (ع) ولم أقتنع، وقلت لنفسي: ما دمت لست متهماً بشيء فسوف يكون تحقيق يسير فبراءة فعودة.. فسلمت نفسي للمخابرات واقتادوني إلى دمشق ثم إلى تدمر الموت هذا ولم أرتكب والله جرماً.

إذن الرحلة اليوم إلى دمشق.. ودّعت الأخوة، وعزّ عليّ أن أترك هذا المعتقل الذي عشت فيه أياماً قليلة، اعتدت فيها عليه، حيث أنني هنا قريب من الأهل وإن لم أكن أراهم أو أسمع عنهم، ولو كنت أعرف تدمر وما ينتظرني فيها لوقفت وجلاً أمام هذه الرحلة.

كنا ستة أشخاص جمعونا من زنازين مختلفة وقيدونا بالسلاسل حتى أصبحنا كتلة واحدة، ووضعونا في سيارة لاندروفر وانطلقت السيارة بنا (وقد ملئت من الأمام والخلف حرساً شديداً) إلى دمشق. لم نودع أهلاً ولم نر قريباً. تركنا وراءنا حياتنا كلها وأهلينا.. هكذا كنت ألقي نظرة الوداع على تلك الربوع التي طالما سعيت فيها بآمالي وهمومي وأقول بحسرة: هل من عودة يارب فقلبي يحدثني أنها رحلة ليس من السهل الرجوع منها.

كانت أيام رمضان المبارك وصمنا نحن المعتقلين المنقولين رغم رخصة السفر.. وحرّاسنا مفطرون طبعاً. وصلنا إلى دمشق فسجن الحلبوني مع المساء، وكان السجانون في المحافظة من نوعيات مختلفة. كان أحد الجلادين يأتي فيتفقدنا في الصباح وقبل التحقيق ويسأل: (كيف حالكن)؟ وكنا نظن به خيراً، وإذا هو خبيث

كزملائه يريد أن يتعرف على حال من سيجلدهم في التحقيق ليعرف مدى تحملهم، وكان السجّان سعيد مثال الغباء والقسوة.

كما سجن مع الأخوة في إحدى الزنازين عنصر مخابرات ارتكب مخالفة وكان شديد الإيذاء للأخوة جاهلاً متغطرساً ينظر إلينا باحتقار، فلما عايش الأخوة يومين إذا به ينقلب حملاً وديعاً وإذا بالندم على ما فات يقرع قلبه، فكان إذا خلا بنا بعد ذلك أو بعدت عنه عين الرقيب يقول: أنتم أعمامي وإخوتي ويبدي أسفه وحزنه على ما بدر منه تجاهنا..

في معتقل الحلبوني

معتقل الحلبوني قصر قديم مؤلف من طابقين وملحق صغير وقبو وأمامه حديقة واسعة ويحيط به سور عال وأسلاك شائكة، وعلى يمين الداخل في الحديقة قبو طويل فوقه غرف وأمام بابه فسحة يسيرة 3×2م مشبكة بالحديد كالقفص،وعلى اليسار الدخل في أقصى غرفتان أيضاً.

أدخلتنا الدورية إلى مكتب في زاوية البناء اليمنى وتلقانا هناك عنصر من المخابرات سلمه رئيس الدورية أوراقاً لا شك أنها تخصنا فاستلمها منه على مضض والتفت إلينا فعدّنا بالخيزرانة وسبنا وشتمنا وهمّ بضربنا. كان فارغ الدماغ، قد حشي ذهنه بأشياء غريبة عبر عنها بقوله: (انتو يا... لو شفتوني بره قتلوني) ونحن لا قتلنا ولا نقتل أحداً. كان في ذهنه أن المعتقلين مجرمون هكذا قبل أن تثبت التهمة أو حتى قبل أن توجه التهمة.

سلمنا بعد ذلك إلى سجان آخر يدعى (أبو سميح) فقادنا إلى القفص فوضعنا فيه وسألنا: أنتو صايمين؟ قلنا: نعم. فجاء بوعاء كبير فيه شوربة مليئة بالحصى وقال: كلوا. طلبنا ماء فقال: بعدين. وهكذا أكلنا من الشوربة ما يسر الله. وجاء بعد ذلك السجان أبو سميح فادخل أربعة منا في القبو وقادني وآخر إلى البناء الرئيسي وسار بنا في ممر طويل وفتح باباً حديدياً ونزلنا درجاً ضيقاً إلى صالة صغيرة جداً على جانبها أربعة أبواب أدخلني من الباب الأول الذي أفضى بي إلى زنزانة ضيقة معتمة وأدخل الآخر الثانية وكان يبدو من خلال باب مغلق آخر (شودير) جهاز تدفئة مركزي قديم متروك تراكم عليه الغبار وبعد ذهاب السجان سمعت أصواتاً. وفتح شخص النافذة الصغيرة وأطل وجه فتى جميل بلحية شقراء فحياني بقوله: السلام عليكم. ورددت عليه بود: وعليكم السلام.

قال: نحن جيرانك في الغرفة الجماعية، كيف حالك، وماذا تحتاج؟

فشكرته وطلبت منه شيئاً من الماء فأحضر لي ماءً وطعاماً (خبز وحلاوة) وشكرته ثانية وجلست أتمتع بالوحدة وأستأنس بذكر الله، وجاء السجان في حوالي منتصف الليل فأخذني إلى الطابق العلوي وعصب عيني وأدخلني على محقق باشرني بالتهديد والوعيد. يقول: أنت منظم في الإخوان هذا أكيد وأنت معترف هنا (ويشير

إلى أوراق أمامه) ولم يترك لي فرصة للكلام أو المعارضة ثم أعادني السجان إلى الزنزانة.

(الزنزانة رقم (4

وفي اليوم التالي جاء السجان فأخذني من الزنزانة وسار بي في الممر الطويل إلى الحديقة ثم إلى القبو فدخلنا فيه وقادني في ممر على جانبيه غرف وأبواب حتى أدخلني زنزانة ذات باب واطئ في آخر الممر ضيقة كانت هذه هي الزنزانة رقم (4) أغلق الباب ومضى كانت الزنزانة كالعلبة واطئة السقف ليس لها نوافذ سوى باب صغير من خشب سميك وفي وسطه فتحة صغيرة مشبكة بالحديد.

الجماعية في قبو الحلبوني

وجاء السجان بعد ثلاثة أيام فأخرجني وأعادني إلى قبو المبنى قرب (الشويدر) ولكنه في هذه المرة وضعني في الغرفة الجماعية وبابها في الزاوية إلى اليسار مع الأخ الأشقر صاحب اللحية وجماعة من المعتقلين كان أكثرهم بالثياب العسكرية رحبوا بي أنست بهم.

كان أول ما لفت نظري – وأنا داخل إلى الزنزانة الجماعية كتابات على الجدران تحتوي على أسماء وتواريخ وشعارات. كنت نشطاً قد ملأت قلبي مشاعر الصبر والاحتمال والاحتساب أنه لن يمسكني عن لقاء ربي شيء.

الوحدات

كان الشاب الأشقر ذو اللحية قصير القامة ضاحك الوجه أديباً سلس الحديث ودوداً وهو طالب في الجامعة (جامعة دمشق كلية الهندسة) ويدعى (م – ع) ومعه شاب آخر طويل نحيل ذكي القلب وهو طالب جامعي أيضاً. وكان في الجماعية أربعة عشرة شخصاً آخرون باللباس العسكري المبرقع الخاص (بالوحدات الخاصة) جيش الطائفي علي حيدر. وكان في هذا الجمع سلوى، وتحدث العساكر فقالوا: نحن من الوحدات، أتعرف الوحدات يا أخ؟ قلت: ومن لا يعرف الوحدات؟ جيش ظالم غاشم يفعل في شعبنا كما فعل جيش هولاكو وجنكيز خان في البلاد المفتوحة قهراً فهي حلال له بأهلها ومالها وكل شيء فيها، أعرف أن القاتل في هذا الجيش لا يحمد على ما فعلته فقط بل يعطى مبلغاً ضخماً من المال (10) عشرة آلاف ليرة سورية فوراً لمن يقتل أي واحد من الشعب فعل شيئاً أم لم يفعل ولأورد الدليل كشاهد عيان: كان سمير الدج يعمل مع أبيه في مقهى صغير بجانب سوق الميكانيك في مدينة جسر الشغور على اليمين الدخل إلى المدينة من جهة طريق حلب.وهو شاب لطيف طيب القلب عمره (16) سنة لم يتمرس بشقاوات الأولاد. كان طيباً بكل ما في الكلمة من معنى ذهب مع أبيه إلى المقهى صباحاً وقبيل المغرب حمل غلة المقهى ولحق بأبيه إلى البيت فقد كانت خطة معروفة لأبي سمير أنه لا يفتح مقهاه في الليل أبداً ولا يسمح للمقامرين أن يقامروا فيه مهما كان الأمر.وفي الطريق لمح الشاب عساكر الوحدات ذوي البدلات المبرقعة تقطع الطريق وكان الجو العام في البلدة قاتماً فأحداث الجسر لم يكن قد مضى عليها إلا قليل، فانفتل الشاب عائداً ليغير طريقه بعيداً عنهم وراه أحدهم فصرخ به فأرعبه وأربكه فأراد الابتعاد ولكن الروسية كانت ملقمة واليد على الزناد فبادرته برشة من الطلقات

النارية، فسقط الغلام مضرجاً بدمائه، وضحك المجرم ضحكة السعادة الفاجرة، وجاء ينظر إلى الضحية ويغنم غلة المقهى التي تعب الغلام وأبوه فيها طوال النهار، ويتساءل الضابط شامتاً: ألم يمت بعد؟

ويقرر من عنده (مات وشبع موتاً) فيأتيه اثنان منهم فيجرونه من رجليه إلى السيارة الشاحنة الواقفة غير بعيد، فيلقونه فيها ويقف القاتل واضعاً رجله على جثة الطفل الضحية في وضع بطولي يحتاج إلى صورة تذكارية، والروسية مهيأة والإصبع على الزناد وتنطلق السيارة.

مزقت الأم ثيابها وقطعت شعرها واعولت وألقت نفسها على الأرض وهي تبكي.. ووضع الأب يديه على رأسه وانهد باكياً في حزن يهد الجبال: يا سمير يا ولدي يا سمير.. يا سمير.. وقبض القاتل المكافأة (10) آلاف ليرة كاملة لا تنقص قرشاً، ورفض ضابط الوحدات الإجابة عن أي سؤال، ورفض تسليم الجثة إلى ذوي القتيل بل سلموها لمكتب دفن الموتى في المحافظة ليتولى دفنها سراً، وسارع الوالدان إلى مكتب الدفن وأشفق عليهما المسؤولون وسمحوا لهما برؤية ولدهما القتيل فألقيا النظرة الأخيرة على طفلهما وأكبا يقبلانه ويشمانه وهو جامد بارد فاغر الفم وفي صدره ينابيع دم متجمدة.. ماذا تفعل الأحزان؟ وماذا تفعل الآلام؟ لن تفعل شيئاً إلا أن تحفر في القلب جروحاً غائرة لا يمحوها إلا عدل إلهي يعاقب المجرم على جريمته، بل لقد ارتفع ثمن القتل كما عرفت مؤكداً فأصبح (20) ألف ليرة بدل عشرة آلاف، ففي جامعة حلب وبالذات كلية الهندسة، والطلاب في امتحان يكتبون ويعملون وإذا بالمخابرات تقتحم قاعة الامتحان لتوقفه ولتأخذ الطالب الجامعي (محمود) وتقتاده إلى سجونها المظلمة، أمسكوا بتلابيبه وهو الشاب الرقيق الغض الإهاب الحيي الخجول. حدث محمود نفسه: (يا رب إليك ألجأ – أهكذا يجرونني إلى الموت وأنا مستسلم كالخروف- وخاطب نفسه: أنت بريء وأي براءة عندهم لا تشفع، يكفي أنك تصلي وأنك مسلم وأنك لست عميلاً) وعند الباب انفلت محمود من آسريه وانطلق هارباً كالسهم فامتدت اليد المجرمة إلى سلاحها المهيأ إلى المسدس الملقم فوجهته إليه وأطلقت عليه طلقات متلاحقة ضربت إحداهما ظهره، ونفذت من تحت الثدي الأيمن، ووقع محمود على الأرض ولكنه قام مغالباً الألم يقول في نفسه: فلأمت بعيداً عن أيدي المجرمين وأبتعد، ولكن النزيف لم يتركه يبتعد كثيراً فوقع غير بعيد، وجاءته قوى (الأمن) لا بل قوى الإهاب والإجرام فحملته لتلقي به إلى مكتب الدفن ليدفن سراً وصدر الجاني يهتز أملاً وفرحاً فها هي عشرون ألف ليرة قريبة جداً من يده تكاد تدخل الجيب الفارغ الذي خوى بعد سكرة الأمس ولعبة قمار البارحة، ولكن الشاب كان لا يزال حياً وحمل إلى المستشفى وكتب الله له عمراً فعاش ليدخل سجون الظالمين، سجون المخابرات ولكمته اليد الجانية المجرمة ويقول له صاحبها: (ما كنت تموت يا كلب، ضيعت عليّ عشرين ألف) فالتسعيرة عندكم رخيصة يا وحدات.

كثيرون جداً نالهم ما نال سمير ولم ينج مثل محمود إلا القليل لينقل إلينا النبأ الذي لم يعد سراً وقال أحد العناصر: يا أخ نحن لسنا مثل هؤلاء نحن لا علاقة لنا بما يجري.. نحن لا نعرف شيئاً وحينما نذهب في مهمة يبقوننا بعيداً عن مكان الحادثة.

سألتهم: أحضرتم تفتيش حماة /1980؟

قالوا: نعم حضرنا ولكنا والله لم نؤذ أحداً بينما كان النصيرين شديدي البطش، كل ما يقال لنا في مثل هذه الأحوال: إن هناك خونة مخربين يجب القضاء عليهم.

وكان حديث طويل وتنصلوا من كل مسؤولية، وقالوا: يا أخي علمونا نحن أمانة في أعناقكم.

إلى كفر سوسة

ولم يطل بنا المقام في قبو الحلبوني، فقد جاء السجان (أبو سميح) فاستدعاني مع معتقل آخر فأخذنا ووضعنا في القفص الحديدي أمام القبو وأخرج بضعة أشخاص من القبو فوضعهم معنا. لم نكن تعلم لماذا أخرجونا إلى هذا المكان، وظن البعض أنه إفراج خاصة وأن قضايانا كانت تافهة وليس علينا أي تهمة ذات بال، وكان لبعض زنازين القبو نوافذ صغيرة على القفص فرآني أبو اصطيف وأوصاني بإبلاغ سلامه إلى أهله، وكل الظن أنه الإفراج.. كم كنا حسني الظن ولم نكن ندري عن الحقد الطائفي ومكره وكيده شيئاً ولم يخطر ببال أحد منا أن يعاقب إنسان على غير جريمة أو جريرة أو أن يقتل إنسان هكذا لمجرد نزوة من إنسان شاذ حتى صرنا لعباً عند من يتسلون بقتل البشر وقد ماتت في صدورهم القلوب.

وضعونا في سيارة اللاندروفر ذات القفص الحديدي، وسارت بنا خلال شوارع مدينة دمشق، وإذا الناس في غدو ورواح لا يشعر بنا أحد، وإذا المحال مفتوحة والأبواب والحياة الطبيعية لم تقف ولم تتعطل.. كان البعض يفكر: ماذا سيعمل إن أفرج عنه، وإلى أي مكان سيذهب؟

وصلنا إلى بناء عرفة أحد الموجودين فقال: هذا هو المركز الرئيسي للمخابرات العامة المسمى (كفرسوسة) إنه الفرع (285) ودخلت السيارة ضمن حواجز وحراس وأبواب ضخمة، ثم وقفت في باحة واسعة واقتادونا إلى بناء ذي طابقين فأدخلونا فيه، وفي مكان واسع في المدخل وضعت طاولة وسرير وكرسي وتلقانا شخص أسود الوجه شديد السمرة متوسط القامة ممتلئ الجسم، بل بدين له سحنة مغبرة وصوت مبحوح قال بجفاء: وقفوا هون..

صفنا وفتشنا جميعاً وهو مكشر جامد الوجه وكأنه يعامل أدوات سيئة يجب الحذر منها، ومن ثم أدخلنا في ممر طويل قادنا إلى الزنزانة رقم (5).

وجدنا هناك ثمانية أشخاص من المعتقلين، وكان البناء الذي دخلناه ذا طابقين وطابق أرضي، وكانت صورة المكان الذي دخلته كالآتي: هناك باب يفضي إلى ممر طويل وعليه تفتح مجموعة غرف ولكل غرفة منافع في داخلها إلا الغرفتين (5، 6) فإن لهما منافع مشتركة يفتح لهما بالتناوب في أكثر الأحيان، وفي الغرفة (3) كان يوجد المحامون وبعض المهندسين، وفي الطابق الأرضي يوجد غرفتان (1، 2) وثلاث مزدوجات ومجموعة من الزنازين الانفرادية وفي الغرفة (2) كان يوجد المهندسون وما لبثنا إلا قليلاً حتى جيء ببقية الأخوة الذين كانوا في الحلبوني وقد أفرغ من كل من فيه إلا الشاب الشيوعي وأخاه وشخصاً آخر له علاقة بهما، وتاجر سلاح كردي وسائق براد أجنبي، كان يقود سيارة مليئة بالسلاح، ورجل سوداني كان يقسم أن يذهب فور الإفراج عنه إلى أفخر مطعم ليشرب خمراً حتى السكر، وذلك بعد وجبة ثقيلة مما لذ وطاب.

وكان في الحلبوني أربع نساء على الأقل، إحداهن حامل ومعها أطفال ولا أدري إن كانت هؤلاء النسوة قد نقلن إلى كفرسوسة أم لا، ولكن تبين لي أن في معتقل كفرسوسة نساء أيضاً، وأنهن يفتشن أدق تفتيش من قبل رجال المخابرات، وقد عثر مع إحداهن عند الإفراج عنها قصاصة ورق فيها سلام من أحد المعتقلين إلى ذويه، فأوقف الإفراج عنها ولا أدري ماذا جرى بعد ذلك.

ولما استقر بنا المقام في الغرفة رقم (5) سلمنا على الجميع وممن تعرفت عليه: المعتقل القديم أبو سعيد، وكان سياسياً عريقاً لذلك كنت تراه خبيراً بالأمور والأحداث يجيد الحديث ويتقن الاستدلال والاستنباط وعنده الشواهد والأمثلة، ولا يعوزه على ما يريد الدليل، ولطالما حدثنا عن مخازي الحكام النصريين.

وكان أبو سعيد قد أمضى في الحلبوني وكفرسوسة زهاء سنتين، فسألناه عمن مرّ به من أشخاص فذكر لنا بعض الشخصيات التي مرت به، فكان منهم الأستاذ أحمد كيالي مدرس اللغة الإنكليزية الشاعر الإسلامي النابغة، وقد بقي معه في غرفة واحدة عدة شهور، وكان وقتها مسموح بالقلم والورق، فكان أحمد كيالي (أبو إياس) يكتب الشعر الجميل يعبر به عما هو فيه وعن مشاعره ورؤاه، وكان أبو سعيد يحفظ بعض مقاطع من شعره، وأرشدني إلى شباب في غرف أخرى يحفظون بعضاً من قصائده، ولم أتمكن من رؤيتهم في وقتها، وكان أبو سعيد ولوعاً به يتمنى أن يفرج الله عنهما ليصحب هذا الشاب وأمثاله. وحدثنا عن والد لعدة شهداء (وهو موظف كبير في مدينة حلب رجل في الخمسين من العمر، مكتمل الرجولة والأدب، نيّر الفكر لم ير له مثيلاً، كان له ولدان استشهدا في غارة من غارات قوات السلطة في مدينة حلب، ولم يكن الوالد يدري حتى ذلك الوقت بالأمر، فقد كانوا يخففون الأمر ويكتمونه عنه خشية عليه وكان أبو خالد يعاهد ربه (لئن فرج الله عنهما) أن يحج في نفس السنة مع أبي الشهداء هذا، وحدثنا عن أمين الأصفر الشاب القوي في جسمه وخلقه ودينه صاحب اللحية السوداء الذي لا يخشى في الله لومة لائم، وأن شعار الإخوان المسلمين كان ملصقاً على دعامة السقف رسمه الأستاذ أمين

وألصقه نكاية في المخابرات، وعن عبد الله الطنطاوي وكيف اتفق مع الدولة هو ورجال الإخوان الآخرون على إيقاف سفك الدماء وأنه لما أفرج عنه مرّ بجميع الغرف فودع الجميع وأنه قال لجميع المساجين: نحن اتفقنا مع الدولة على إخراج المساجين المعتقلين، وعليّ أن نحول السجون إلى مدارس، وحدثنا عن إبراهيم عاصي وتقاه وأدبه وفكره النيّر. يقول أبو سعيد: كل الإخوان كانوا هنا رجالاً، ولا كل الرجال شباباً مهندسين وأطباء ومدرسين بناة أمة ومربي أجيال هم الناس هم صنعوا هذه الرفوف التي ترون. هنا كانت الكتب تملأ هذا المكان، وهنا جرائد اليوم وهناك جرائد الأمس وهذا برنامج الدروس ملصق على الباب وفيه من كل علم وفن.. وإن المخابرات أخذوا كل ذلك دفعة واحدة في غضبة عارمة لا ذنب لنا فيها.. أخذوا الكتب والدفاتر الشخصية والأقلام وديوان شعر لأبي إياس وغير ذلك.. أخذوا كل ذلك فما أبقوا منه شيئاً، ومنعوا عنا كل شيء حتى المشتريات بقيت ممنوعة فترة طويلة وحتى الآن لم تعد إلى ما كانت عليه، فلا خضار ولا فواكه، ولا شيء إلا ثياب وسكر وشاي.

وسألناه: وأين أولئك الرجال يا أبا سعيد؟

فقال: أخذوهم إلى تدمر كلهم كل أسبوع كانت تذهب من هنا دفعتان إلى تدمر وعندما طلب أبو إياس إلى رئيس الفرع حيث سأله: ما رأيك يا أحمد في الحكام الحاليين؟ قال: جناة. كلمة واحدة نقل بعدها إلى تدمر مع المنقولين.. دفعات كانت تأتي إلى هنا تبقى أياماً قليلة ثم ترحل إلى تدمر.. يا ليتهم أخذوني معهم حتى أموت كما ماتوا.

قلت: صفهم لنا يا أبا سعيد.

قال: هم ليسوا بشراً بل ملائكة أطهار.

قلت: كيف إذا استلموا زمام الأمور والحكم كيف تكون الحال؟

قال: يمشي الذئب مع الغنم.. لا.. أستغفر الله، يحرس الذئب الغنم.

ثم تابع: أصحيح مجزرة تدمر أنت كنت طليقاً وتعرف، هل صحيح حدثت مجزرة تدمر؟

قلت: نعم حدثت.. فيما أعلم..

سأل: وكم قتل فيها؟

قلت: كل من كان في تدمر من المعتقلين هكذا الأخبار..

فزفر بحرقة وقال: أكلّ أولئك الناس قتلوا؟ لئن جرى ذلك فإن تدمر أصبحت مكة ويجب أن نزورها ونحج إليها، ألا تعلم الاسم الجديد لسجن تدمر؟ لقد سموه مركز التطهير الوطني لتصفية الإخوان المسلمين.

وتابع يقول: لقد تركنا السجانون مرة يوماً كاملاً بلا طعام، وشعرنا أنهم هكذا في اعتباط وحركة غير عادية وسمعنا بعد ذلك أنه كانت هناك محاولة لاغتيال حافظ أسد وبعدها أتت الأخبار عن مجزرة تدمر وتوقف إرسال المعتقلين إلى هنا.

الشيوعيون

يبدو أن الشيوعيين وقد طال بهم المقام في معتقل كفرسوسة، وطاب وللقدم دور لا ينكر في الإلفة وخاصة في المعتقلات والسجون، لذا دعينا بعد وصولنا بفترة يسيرة إلى جلسة تفاهم لتنظيم أمور الغرفة حيث أن عدد نزلائها قد بلغ ثلاثين معتقلاً بينما مساحتها (25) متراً مربعاً.

وتكلم أحد الشيوعيين عن ضرورة النظام والحاجة الماسة إليه حتى تكون في حال مناسبة وراحة تامة، لذا فلابد من رئيس للغرفة ودعا إلى اختبار أحد الموجودين لهذا الأمر، واقترح رئيس الغرفة السابق (شيوعي ديري) فوافقنا وتقدم الديري للكلام وتحديد النظام فقال: حيث أن الوقت شهر رمضان وأنتم مصرون على الصيام فإن عندكم بالتالي سحوراً ونحن لا نمانع في مثل هذه الأمور مع أن النظام في المعتقل يمنع السهر في الليل ومع أن السجانين لا يشددون في ذلك الوقت من الليل إنما هو وقت راحة ونوم (عز النوم) لذلك نأمل أن يكون سحوركم بدون ضجة ولا صوت وإن تعودوا فور ذلك إلى النوم على أن من يصلي التراويح الطويلة ويزعج بصوته الآخرين، وهذا شيء غير مرغوب فيه، ويجب أن يراعي كل منا شعور الباقين، فإن كل واحد في هذه الغرفة له حق فيها مثل غيره، ومن حقه أن يرتاح أو ينام ولا يزعجه إنسان، وخاصة في صلاة الصبح فإن بعضهم يرفع صوته بالقراءة ليرى الناس جودة ترتيله وحسن تجويده ويقلق بذلك راحة النائمين ويزعجهم أجمعين، فهذا أمر غير صحيح ولا نريد أن يحدث، ومن أراد الصلاة فليصل بعد الاستيقاظ في الضحى أو (وعلى مضض) يتيمم على البطانيات بهدوء وليس ضرباً قوياً يرتج له المكان ويصلي في مكانه بدون صوت (وظهر بعض الوجوم والضيق).

وقال أبو اصطيف: معك حق الواجب على الجميع في السحور مراعاة مثل هذه الأمور وعدم إحداث أي صوت بالمرة، وسوف نتيمم إذا كان باب الغرفة مقفلاً عن المنافع، ونصلي دون رفع الصوت إلا بقدر الحاجة (وهكذا وضعت النقاط على الحروف).

وقال الشيوعي الديري: لا تؤاخذوني هذه أمور يجب أن نتفق عليها. ومن ناحية الطعام فإنه يصعب أن نأكل جميعاً لأن عددنا كبير كما ترون لذلك يفضل أن تكون هناك مجموعات طعامية، ونحن القدماء وحيث أننا لن نصوم طبعاً فإننا سوف نكون مجموعة طعام ومن أراد أن يفطر فلا مانع لدينا أن يأكل معنا أما أنتم (الصائمون)

فكما تريدون إما أن تأكلوا في مجموعة أو مجموعتين وكل مجموعة تنظم موضوع الخدمة بينها بالتناوب.

قال أبو اصطيف: لا بأس أما نحن فسوف نأكل سوية إن شاء الله.

وفي المساء جلسنا إلى مائدتين طويلتين كل منهما عبارة عن قطعة نايلون استعرناهما من الشيوعيين ووضعنا عليهما ما يسر الله من طعام قليل (برغل مطبوخ بالحصى والقش ومرقة بندورة فيها قليل جداً من حبات الفاصولياء وشيء من الحلاوة والخبز) وهكذا أفطرنا بشهية وحمدنا الله على نعمه وأفضاله، وتكرّم علينا الشيوعيون بإبريق ضخم من الشاي الساخن فشرب كل منا كوباً كبيراً وشكرنا لهم هذا الكرم الحاتمي، وحمدنا الله على هذه النعمة، وكان هذا أول كوب من الشاي الساخن منذ زمن طويل. ويبدو أن حكاية الكوب الأول هذه ملحوظة تماماً لدى الشيوعيين، فلقد جاءتهم قبلنا أفواج عديدة من المعتقلين من معتقلات ليس فيها شاي ساخن بل (علقات ساخنة) وكهرباء محرقة وعذاب وإرهاب، فكانوا يعرفون ما لهذا الكوب الأول من قيمة فيحرصون على تقديمها..

وتابع الشيوعيون في اليوم الثاني في الإفطار اثنان من العساكر أغرتهما الشاي الساخنة والسيكارة.
شهيد الرأي: المهندس بسام النابلسي
ماذا يعني أن تقول رأيك هكذا بصراحة في النظام وفي الفساد والظلم. كنا نعلم أن ذلك أمر بالغ الخطورة بل وقد يعني أن تهيأ نفسك للموت، ولم يكن ذلك خافياً على أحد، وهناك كثيرون قضوا شهداء الرأي الصريح، وكلمة الحق التي قالوها ولأستبق الأمور وأحدثكم عن واحد منهم إنه الأخ المهندس بسام نابلسي الشاب الساذج البسيط الذي لم يكن في تفكيره أن يواري شيئاً أبداً، ولم يفعل ذلك وهو ما ارتكب جريمة ولا خالف قانوناً ودستوراً. كان مهندس ميكانيك يعمل بجد ونشاط واستقامة. عاش هكذا يفعل ما يؤمن به ويلتزمه باستقامة، ليس في حياته أسرار ولا أشياء يخفيها، كل أموره هكذا واضحة جلية فلا خفاء ولا تستر يرى أنه إن كان من عيب فيجب كشفه لا ستره حتى يصلح. وهكذا وجد نفسه يوماً في غرفة التحقيق والدولاب يلفه ويضم الرأس إلى الرجلين. كان يسأل ماذا أجرمت؟ ماذا اقترفت؟ وبعد عذاب وكهرباء لم يكن هناك شيء أبداً إلا وجود اسم أخينا هذا في فهرس الهواتف في مفكرة أحد الأخوان المسلمين، وكانت حصيلة التحقيق المر انتزاع اعتراف منه بمعرفة ذلك الشخص وأنه جلس معه في بعض المناسبات وتحادثا في بعض الأمور التي لا يذكرها بل وقرأ مرة في القرآن الكريم وأثبت المحقق ذلك في ضبطه وأرسله مع المعتقل من مقر المخابرات في حمص إلى مقر المخابرات في دمشق كما جرى لنا جميعاً، وعرض علي ما قيل بعد ذلك أنه القاضي العسكري (إنسان شاذ حاقد يحكم بهواه وحقده الطائفي) فلا ممثل اتهام ولا دفاع حتى ولا يعرف المتهم أنه في محكمة بل يعرف أنه أمام محقق يهدد بالدولاب والعصي والكهرباء وبالرش والقتل رمياً بالرصاص، ومثّل المهندس بسام أمام (القاضي) فسأله بعض أسئلة فأجاب

عنها ثم قال له الأخ بسام: لم تعتقلونني وتعذبونني؟ ألأنني قرأت بضع آيات من القرآن؟ ماذا أجرمت؟ هذه هي جريمتي إن كانت جريمة. ففكر القاضي ملياً ثم سأله: ما رأيك في الإخوان المسلمين؟ قال بسام: جماعة صالحين مستقيمين، وإن كنت لا أوافقهم في بعض الأمور.

فقال له القاضي: هكذا إذن فما رأيك في الحكام الحاليين؟

قال بسام: أنتم أدرى؟

قال القاضي: لا لابد..

قال بسام: إنهم غير صالحين ولا مستقيمين.

قال القاضي: آخذين عقلك الإخوان أليس كذلك؟ قم إلى مكانك.

جاء الأخ بسام يحدثنا بما جرى معه، فلامه بعضهم على هذه الشجاعة التي في غير محلها وقالوا له: عرّضت نفسك للخطر (ولم نظن أبداً أن يصل الأمر إلى ما وصل إليه) كان رأي الأخ بسام الذي يعلنه بصراحة أنه يجب علينا أن ندعو هؤلاء الحكام إلى الإسلام وإلى الخير والصلاح، وإذا عرفنا كيف نفهمهم أحقية هذا الدين وخير الإسلام فلن يتوانوا عن التزامه، وعلى كل ندعوهم ونصبر عليهم ونتحمل كل أذى ينالنا في سبيل الدعوة، فهو لا يرى ولا يوافق على مجابهتهم.

ومضت الأيام ونقل بسام إلى (تدمر الموت) وعاش الأيام الكالحات وذاق من العذاب ألواناً، ثم سيق إلى الإعدام شنقاً في فجر يوم من أيام تشرين الثاني 1980، وقضى شهيد الرأي والصراحة والصدق فعليه رحمة الله. كان رحمه الله تقياً ورعاً أراد أن يصوم إضافة إلى رمضان شوال وذي القعدة وعشرة ذي الحجة، وهكذا ثابر على صيامه في الحل والترحال، وفي العذاب ورغم كل الظروف البيئية التي كنا نعيشها.. تسحر قطعة خبز وقطعة جبن ثلاثية ابتلعها مع قليل من الماء، وتوضأ ومضى إلى ربه صائماً. طلب قبيل الفجر مع نفر آخرين فعصبوا عيونهم وأوثقوا أيديهم إلى الخلف وساقوهم إلى المشانق ليصرخ والحبل في عنقه (الله أكبر الله أكبر) ومضى إلى ربه صائماً. كان ذا شعور رقيق ونفس حساسة ولقد شهدته يوماً بعد حفلة تعذيب رهيبة اكتوت فيها أجسامنا العارية بلسعات الكرابيج وبهداتها وتركت فيها خطوطاً عريضة سوداء نافرة بعضها فوق بعض، وجلداً ممزقاً ودماً نازفاً ودخلنا المهجع نلهث من التعب والإرهاق والرعب، ونشكو إلى ربنا ما يسومنا هؤلاء المجرمون من ظلم وقهر وعذاب. ويقول بسام: وعلى وجهه إمارات الاستغراب الشديد (يا رب عجيب أمرهم. يا رب ما هذا الظلم؟؟ ما هذا؟.. أيستمتعون بالعذاب.. بعذابنا؟) نعم يا بسام وبموتنا يفرحون وينتشون فتعساً لهم وخزياً إلى يوم الدين.

.كانت هذه هي نتيجة التعبير عن الرأي بصراحة لدى هؤلاء الوحوش الأسديين

كان بين الشيوعيين نقاش مرة فقال أحدهم: أنا مستعد إن طال السجن أو ضاق بي الحال أن أترك العمل السياسي وأخلص وأخرج من السجن فوراً.. وعلى كل فللشيوعية مواقف متعددة الوجوه في الوقت الواحد، فالشيوعيون الأمميون (البكداشيون) مؤيدون للدولة وشيوعيو رابطة العمل الشيوعي معارضون وشيوعيو .مالا أدري قدموا طلبات انتساب لحزب الرئيس وقدموا أنفسهم جنوداً له

فالسيد الديري المتلبس بموقف المعارض ما أسهل عليه كما صرح هو أن يطلب مواجهة المحقق أو رئيس مركز المخابرات ويتعهد له بترك العمل السياسي وبتغيير الموقف، بل ويخلع الفكرة كلها.. والمحقق أو رئيس المركز يجد في هذا حلاً مناسباً .وجيداً بل وكسباً، فقد غيّر الرجل فكرته وحوّل وجهته

أما بالنسبة للمسلمين فالأمر يختلف جداً، فالموقف المتلبس به أصيل وليس هكذا .يسهل تغييره، إنه عقيدة لن تبرح الإنسان المسلم حتى الموت

وقد حدث أحد رؤساء فروع المخابرات في حلب بعض المتوسطين لديه بشأن شاب معتقل فقال: (أنتم لا تعرفون هؤلاء الشباب الإسلاميين إنهم لا يتركون نشاطهم ولا يقبلون أي تنازل عن أفكارهم أو عقيدتهم. كم من مرة جاءنا أمثالكم يشفعون في بعضهم فنترك له سجينهم بعد التعهد بترك العمل الإسلامي، فلا يمضي وقت قصير حتى نراه أو نصطدم به وقد صعّد من نشاطه أو حمل السلاح ضدنا (ولهذا أسبابه) لذلك فالمحقق ورئيس المركز والجميع يعلمون حق العلم أن الموقف الإسلامي .موقف عنيد لا يوقفه شيء ولا يحوله عن طريقه عذاب أو إرهاب أو سجن

المرض والسجانون

كنت مريضاً من ثلاثة أيام بالتهاب اللوزتين الحاد، مثلت أمام طبيب المعتقل البارحة وجاء الممرض اليوم يوزع بعض الدواء. سألني عن رقمي فلم أعرفه. فبحث عنه حتى وجده فقال (بدي قلع عينيك إذا نسيت رقمك) أزعجني هذا الكلام ولم يدر .بخلدي أن أتمناه وأتحسر عليه فالأمور نسبية

حدثنا أحد المعتقلين عن السجانين وأنهم عناصر من سرايا الدفاع المشهورة يؤتى بهم إلى هنا وهم قساة غلاظ الأكباد لا شفقة عندهم ولا رحمة، وما يمضي إلا القليل حتى تلين قلوبهم بما يعرفونه من حقيقة أحوال المعتقلين، فتخف حدتهم إلا الطائفيين مثل سعيد، فنراه ووجهه يقطر سماً وحقداً، ومن يجسر أن يكلمه فيده سريعة إلى الضرب الأليم وإلى كل أذى ويا ويل من يقع تحت يده. وإلا أبا محمد الطويل الكالح (وهو نصيري) فلم يؤثر فيه طول المدة ولا أحوال المعتقلين التي تدمي القلوب، فهو شرس شديد الحقد يستعمل يديه ورجليه وأسنانه إضافة إلى العصي والكبلات ولقد دخل قبل مجيئنا بيومين على مجموعة من الإخوة الحلبيين

قدموا حديثاً وكانوا هنا في غرفتنا هذه، دخل والخيزرانة في يده فأوقفهم على الحائط وأوسعهم ضرباً حتى شفى غيظه وما اكتفى..

ولما جيء بحسني عابو إلى هذا المكان قبل بضعة أشهر كان أبو محمد هذا يدخل عليه الزنزانة وينقض عليه بالضرب والرفس واللكم وما يتركه إلا بين الموت والحياة.
أبو محمد هذا لا يقدر سناً ولا يرحم بريئاً ولا يأبه لخلق أو مبدأ. وأضاف في سخرية:
ومن طباعه أنه شره أكول دنيء، فإذا جيء بالطعام بعد الظهر انقضّ على كمية اللحم القليلة أصلاً فصال فيها وما ترك هبرة جيدة إلا أتى عليها يأكل أكل الفيلة يبلع وما يشبع، ويخبئ ما لم يستطع أكله في الظهر إلى المساء، وإذا كانت اللحمة دجاجاً مسلوقاً ولمئة وخمسين شخصاً يكون هناك بضع دجاجات فوق الأرز المطبوخ فإن أبا محمد يهاجم الدجاجات المسكينات فيدعهن جميعاً بلا أفخاذ، فهنا ظهر معقور وصدر منزوع وعظام خاوية مجردة.
أشبال في المعتقل
وجيء إلى الغرفة رقم (6) المجاورة والمشتركة معنا في المنافع، جيء بحوالي اثني عشر شاباً لا يتجاوز أكبرهم السابعة عشرة، لم ينبت في وجوههم الشعر بعد، أحدهم طالب في الثالث الإعدادي، وآخر طالب أول ثانوي والباقون حول ذلك، وكانت لديهم أخبار كثيرة ومثيرة ووجودهم نفسه كان مثيراً، فقد تجمع حولهم عناصر المخابرات والسجانون فور وصولهم يتفحصونهم بدهشة وخوف واستغراب، فقد بلغهم أن هؤلاء من التنظيم المسلح للإخوان المسلمين من المجاهدين (هكذا قيل لهم) تشجع أحد السجانين وسأل أحدهم:

- كم عمرك أنت؟

- 16 سنة.

- أنت إخوان مسلمين (وقد غلظ صوته)؟

- لا أنا طالب تاسع..

- إيش جابكم لهون؟

- المخابرات.

- ولك إيش قضيتك؟ أنت قاتل؟

- لا..

وانتشر الخبر الغريب في المعتقل وأخذ كل واحد منا خلال فتح باب الغرفة يتسلل إلى نافذة الغرفة (6) لينظر إلى الشباب الصغار وحاول البعض التسرية عنهم ولكن ابتساماتهم كانت توحي بأن ليس فيهم هذا الهم، وكانوا ينشدون الأناشيد الإسلامية الجميلة في إيقاع حلو وأصوات ندية.

وكان في الغرفة (6) معتقل مقطوع الرجل اليمنى تعرفت عليه خلال اختلاطنا النادر، وعجبت للأمر، ولم ألبث أن رأيت شاباً مشلولاً نصفياً.. مشلول اليد والرجل وعلمت أنه متهم بحمل السلاح ضد الدولة مع أنه لا يكاد يستطيع المشي، واكتملت برجل أمي الفكر واللسان مقطوع اليد وكلهم من جهات الساحل السوري وكان هناك الطفل الضاحك أبو عبد وابن الثالثة عشرة يتيم يعمل في مطعم ليعول نفسه.. يا بلد الغرائب.. وجيء إلى الغرفة (6) بشيخ وقور كنت أرى هؤلاء الناس من بعيد وتثور في نفسي تساؤلات حول هؤلاء الذين جيء بهم إلى المعتقل؟ ما جريمتهم؟
حركة في المعتقل
كانت أفواج المعتقلين تتوالى إلى معتقل كفرسوسة باستمرار، وكان هناك إضافة إلى البناء القديم عدة مبان مماثلة بعضها جاهز مستعمل والآخر في طور البناء، كان يعرض القادمون على محقق بعد أن تدرس إضباراتهم فإما عودة إلى التحقيق أو تأكيد له. ويحوّل المعتقلون خلال ذلك من مكان لآخر حتى لا يعلم الأخير اللاحق ما جرى للأول السابق، وكانت إشاعة المحكمة العسكرية هكذا مجرد كلام ولا يعرف المعتقلون إلا أنهم بين أيدي المخابرات وعصيهم ودواليبهم.. اكتظت الغرفتان (5، 6) وخاصة الغرفة (6) وفي ليلة 1980/8/19 أغلقوا باب الغرفة (5) في المساء دون أن نعلم لهذا سبباً أو معنى معيناً ولكن أبا سعيد كان لخبرته وطول إقامته في المعتقل يلحظ ذلك بعين الخبير العارف، وفي منتصف الليل جاء السجانون فأخرجوا نزلاء الغرفة (6) جميعاً وكانوا حوالي (35) شخصاً وتجاسر بعضهم فاقترب من باب الغرفة (5) وفتح النافذة الصغيرة وودع من رآه. قال: لا ندري أين يذهبون بنا.. نستودعكم الله.

وفي الصباح كانت الغرفة رقم (6) خالية تماماً. قال أبو سعيد: إلى تدمر.

قال البعض: أكيد يا أبا سعيد؟

قال: أكيد ما في غيرها.. مستكلبين على الناس..

وبلغ التأثر مبلغه بنا، وأخذ أبو سعيد يخاطب نفسه:

- كان الرئيس يحكم سنة أو سنتين أو ثلاث سنين، فإذا وجد الناس فيه تقصيراً أو انحرافاً أو ضعفاً تعاونوا عليه وأقالوه إلا هذا الولي.. إلا هذا الدعي.. لا يريد أن يترك الكرسي، يمسكه بيديه ورجليه.. كل هؤلاء الناس تريد أن تقتلهم يا حافظ أسد..

أطفال أبرياء ورجال طيبون كرام، وعلماء وأطباء.. أذكر لكم المدرس أبا إياس شاب كله رجولة وأدب وفكر وعلم، طلبه رئيس المركز يوماً وسألاه:

- ما رأيك في الحكام الحاليين يا أحمد؟

فردّ أبو إياس بالجواب الشجاع المعبر: أراهم بغاة تجاوزوا كل حدّ.

قال: أهذا رأيك؟

قال: نعم..

وبقي أحمد بعدها يومين ثم أخذ..

- إلى أين يا أبا سعيد؟

- إلى تدمر.. إلى الموت.. ثم تابع:

- هكذا يقتل رجل أمة ومربي جيل لأنه قال كلمة حق..

وانطلق يحاور حافظ أسد وكأنه أمامه:

- هل جئت بهؤلاء الناس من بيت أبيك وأمك يا حافظ أسد حتى تعدمهم وتقتلهم هكذا دون حساب؟ ما طيب الحياة بعد هؤلاء الناس؟.. لن أذوق طعاماً حتى أموت وألحق بهم..

ومضى يومان وثلاثة وهو لا يذوق طعاماً..

المحقق بل القاضي المستتر
طلبت في ظهر يوم 1980/8/24 جاء السجان فوقف بباب الغرفة ونادى باسمي وأمرني بالقيام معه دون تلكؤ أو إبطاء، واقتادني إلى الطابق العلوي وأدخلني بعد انتظار يسير مكتباً في آخر الممر إلى اليسار كانت هناك طاولتان إحداهما كبيرة وعريضة، ووراءها يجلس رجل نحيف كأنه قزم وفي يديه كانت تلمع خواتم ذهبية وعلى لوحة في مقدمة الطاولة كان اسمه بأحرف كبيرة (النقيب سليمان حبيب) وبجانب تلك الطاولة منضدة أخرى أصغر منها يجلس إليها آخر، وأمام الطاولة الأولى كرسي أجلسوني عليه وطلب مني النقيب أن أحدثه فأخبرته بأمري: موظف بسيط في بلد غريب، علاقاتي بالناس محدودة، ليس عندي ما أخفيه. وتابعت:

- عذبني رجال المخابرات كثيراً وأجبروني على التوقيع على أوراق لا أدري ما فيها.

- ..وبعد بضعة أسئلة سألني إياها قال لي: لاصت معكن

- ثم أخذني السجان فأعادني إلى الطابق الأول وأنا في (شبه ذهول) وأدخلني الغرفة رقم (3) غرفة المحامين التي سمعت بها قبلاً، وإن فيها محامين ومهندسين، وقد سألت يومها مستغرباً عن سبب اعتقالهم ووجودهم هنا؟ ولم أحظ بجواب يفسر هذا الأمر المعضل. وفكرت في القضاء وحرمته والمحامين ودفاعهم واختصاصاتهم بالدفاع عن الناس فلم لا يدافعون عن أنفسهم والقانون في عقولهم وهم أخبر الناس به وبالحقوق التي يصعب على غيرهم من البشر معرفتها.. ولهم .أصدقاء كثر من القضاة ورجال القانون أفلا ينصفونهم؟

قال أحدهم: هذا لما كان هناك قضاء وقضاة، أما الآن فأصبح كل ذلك صورة فقط، فالمحاكمات صورية والقضاء ممثلون بل أجراء يقرؤون صحيفة فيها كلام جاءهم من ..فوق

استغربت ذلك كثيراً ولكن ما اطلعت عليه بعد ذلك وما سأرويه لكم يكشف الستار ..عن مهزلة القضاء والقضاة في دولة اللا قانون الأزلام والمحسوبيات والطائفية

كان الأخ (م..) من إحدى المحافظات البعيدة كان زميل السجن في الأيام التي مرت بي ولا يزال هو يعيشها، إن كان لا يزال حياً. قال: قبض علي في العاصمة وأودعت زنزانة في سجن المزة العسكري، وتعرضت لبرنامج طويل من التعذيب والضرب الرهيب، فاعترفت بما أرادوا وقلت كل ما طلب مني، وقدمت بعدها إلى محكمة في نفس المكان فيها رتب عالية (لواء عميد) نظن فيها الفعالية والقدرة ولكن رتبة صغيرة كانت تسيطر على أمور المحكمة كلها (نقيب) فيستجوب المتهمين ويكتب ما يروق له من أقوال سواء أراد اللواء (رئيس المحكمة) ذلك أم لم يرده. يقول الأخ المعتقل: لما أحضرت مع آخرين إلى هذه المحكمة تكلمت بما عندي وأخبرتهم بجلاء ووضوح أني بريء لم أرتكب أي ذنب وأني تعرضت لعذاب رهيب مدة طويلة وإن ما في هذه الأوراق غير صحيح (مع أنه غير ذي بال) ولكن النقيب أبى أن يكتب كلامي بل كتب أشياء أخرى وسخر مني ونهرني ورفض طلب رئيس المحكمة في أن يكتب أقوالي هذه، وجيء بآخر (ن) إلى المحكمة في ذلك اليوم معنا ولما حقق معه واستجوب، راح ينفي التهم الموجهة إليه، وإذا بالقاضي يوقفه ليقول له: يكفي أنت ماشي حالك ويسجل له النقيب عبارات الإنكار من عنده وكنا نعرف قضيته كان متهماً بالتعامل مع تاجر سلاح ويبرأ (ن..) واحترت في أمري وجلست في الجماعية ساهماً.. كيف يجري ذلك ولم؟ ولكن الأخوة هونوا عليّ الأمر وعزوني وقالوا لي هذا هو القضاء الأسدي ومن يعش رجباً يرى عجباً، فالأحكام تأتي جاهزة من فوق، .والقاضي ليس له من الأمر شيء، فاترك الوساوس وتوكل على الله

وذكرت قولة القاضي للسيد (ن..) (يكفي أنت ماشي حالك) كيف يمشي حاله رأساً من أول الاستجواب ولا يمشي حال كثيرين غيره من الأبرياء؟ أبرياء لم يرتكبوا ذنباً ولا جريمة وإذا بالأحكام توزع علينا وفيها من العشر سنوات إلى المؤبد إلى الإعدام برصاصة في القلب في زنزانة من زنازين المزة.

سلمت على الموجودين من محامين ومهندسين وغيرهم، وكان منهم الأساتذة أبو معروف وجورج بدرة وأبو سعيد ورئيس لجنة هامة في الدولة هي لجنة الإشراف على السجون والمساجين، وهو يحمل دكتوراه في الحقوق ولما تعرفت إلى رئيس اللجنة المذكورة نظرت إليه مستغرباً فعلم حالي فقال: من بديهيات الإشراف على السجون دخولها!!

قلت: ولكن للإشراف لا للإقامة؟.. وضحك الجميع..

وتلقوني بجملة من الأسئلة عن أحوال البلد والأحداث والمجازر التي سمعوا شيئاً ما عنها وكان أهم سؤال: ماذا تعرف عن مجزرة جسر الشغور ومجزرة أريحا؟

فوجئت بهذه الأسئلة التي نقلتني من أجواء مصيبتي ومحنتي إلى أجواء ماضية ليست بالبعيدة كلها محنة وعذاب وإرهاب. لقد كنت شاهد عيان في أحداث هذين البلدين الطيبين: أريحا وجسر الشغور.. شهدت المأساة كاملة ورأيت الدماء الحارة تتدفق على الأرض مهدرة قد أراقتها أيد مجرمة تتصرف برعونة وطيش وحقد وتزهق أرواح الناس بلا حساب وكأنما تقتل ذباباً.. وها أنا أمام جمع من المحامين رجال القانون ومهندسين مثقفين.. كم كنت أود أن أصرخ وأحكي هذه القضية لهؤلاء الرجال ولكن ها هي يد الظلم قد جمعت القاضي والمجني عليه في سجن واحد، وركلت القانون وطبقت على رجاله قانون الغاب وشريعة الوحوش.

وأقبل أحدهم يحدثنا عن اجتماع المجلس العام لنقابة المهندسين الذي حدث قبل بضعة شهور، وكيف اتخذ عدة قرارات منها المطالبة بإطلاق الحريات العامة والإفراج عن المعتقلين وإيقاف العمليات اللاقانونية وإعادة المسرحين وغيره، ولدى عرض القرارات على المجلس صوّت المجتمعون كلهم مؤيدين لهذه المقررات إلا واحداً رفع يده معارضاً ومحتجاً. فاستغرب موقفه كثيرون ممن يعرفونه ويعرفون شجاعته ومواقفه.. وسأله رئيس المجلس:

- ما هو اعتراضك على هذه المقررات؟..

فأجاب: لا اعتراض لديّ إنما أريد أن نحافظ على نسبة 99% التي جرت العادة أن تكون نتيجة كل تصويت أو انتخاب في بلادنا.. وضجت القاعة بالضحك وكتمه بعض من يحسبون حساب العواقب.

(مضت ثلاثة أيام ثم نقلت مع مجموعة إلى الغرفة (6.

الغرفة (6) غرفة التجمع
كان في الغرفة (6) بضعة وعشرون شخصاً من مختلف محافظات القطر، فيهم الصغار وفيهم الكبار في السن. كان موضوع التجميع يطرح نفسه ويشغل ذهن البعض. وكنت أريد أن أعلم بعض أمور كان أولها مدى ذنب هؤلاء الذين يجمعون في هذه الغرفة معي، هل هم أبرياء أو مذنبون؟ لعلي أعرف من ذلك طبيعة المرحلة القادمة. كل من قابلتهم حتى الآن أبرياء فعلاً.. لم يكن أحد منهم قد حمل السلاح أو قام بعملية عسكرية كما كنا نسمع، فإن كان هؤلاء كذلك، فلعلي إذن لا أكون في وضع حرج.. وكنت كل يوم أزداد يقيناً ببراءة هؤلاء الناس وأقول في نفسي معارضاً أي فكرة أخرى لابد أننا نجمع في هذه الغرفة ليطلق سراحنا ولنعاد إلى بيوتنا وأهلينا، فما يستفيد النظام من اعتقال الأبرياء وسجنهم؟ واطمأن بالي وغدوت قرير العين ما دمت مع هؤلاء الناس وهم معي فلابد أنه الإفراج القريب.. ولعلهم ينتظرون مناسبة ما لذلك؟
إلى تدمر
امتلأت الغرفة (6) إلى آخرها وصعب التحرك والعيش، ففيها (37) شخصاً رغم صغرها (5×5م) وفي منتصف ليلة 8/30 – 1980/9/1 جاء السجانون فأخرجونا من الغرفة مع أغراضنا القليلة إلى ساحة المعتقل حيث وضعوا في أيدينا القيود. تمكنت خلال خروجنا من رؤية أبي سعيد، فودعته ومن رأيت من الشباب، وكأنما أودع العالم كله، فلا ندري إلى أين مكان سوف يذهب بنا.

وضعنا في باص صغير (37) شخصاً حشرنا فوق بعضنا البعض، وتربع في المقعد الأمامي شخصان مسلحان وفي آخر الباص آخرون والويل لمن يقترب منهم، وانطلقت بنا السيارة تحت الحراسة المشددة حيث كانت تتقدمها سيارة أو اثنتان وتتبعها أخرى. وتعطلت إحدى السيارات في الطريق، فتوقف الركب حتى أبدلت ثم انطلقوا بنا.. كنا نرى الشاحنات وبعض السيارات الأخرى منطلقة في الليل ومع الفجر إلى هدفها، ونظرت باستغراب وأسى إلى هذه الدنيا أهي لا تزال كما هي؟ الناس يغدون ويروحون لا يدري بحالنا أحد، ألا يدري هؤلاء السائقون بما يحمل هذا الباص الصغير من بشر حجزوا عن الدنيا ومنعوا من كل شيء، وعذبوا أشد العذاب وهاهم ذاهبون إلى المجهول ربما إلى تدمر ألا تدرون؟ هكذا في جنح الظلام يتحرك الركب المسلح يقود أشخاصاً ليسوا والله بمجرمين، هل من مخبر للأهل بما جرى ويجري؟ هل من قائل إلى أين يذهب بنا؟ تجرأ أحد المعتقلين وسأل: إلى أين تذهبون بنا؟

فقال له عنصر المخابرات مشفقاً: بعدين بتعرف، وتذكر أبا سعيد فقد قال بعد عودة عناصر المخابرات من توصيل المجموعة السابقة: إنهم كانوا متضايقين جداً من إعادة تسفير المعتقلين إلى تدمر، وأنه بدا عليهم الوجوم والحزن وأسر بعضهم بعد العودة لأحد المعتقلين: اليوم الواحد بستين.. ولم أحفل بالأمر كثيراً كما لم أعره كبير

اهتمام (ويا خبر بفلوس بكره يجيك ببلاش) كما يقول المثل الشعبي، فغداً نعرف وإن غداً لناظره قريب.
اليوم الأول
أشرقت الشمس ونحن سائرون وقد تحول اتجاه السير من شمال شرقي إلى شرقي تماماً، وغزا الأرض نور الصباح، فأي صباح صباحنا؟ (رب أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين) أي حال سوف تكون عليه بقية اليوم؟ أبداً لم نكن نتوقع ما كان ينتظرنا من أهوال.. وهكذا بدت المعسكرات على الطريق، ثم شارفنا تدمر ودخلناها مع أول النهار، وشاهدنا عن بعد الآثار الرائعة لمدينة تدمر التاريخية، وذكرت زيارة بعيدة لهذه الأماكن أين أنا الآن منها؟ مررنا بسوق تدمر وإذا الناس يغدون ويروحون وقد فتحت المحال أبوابها والمقاهي وغيرها، وكنت أنظر من نافذة السيارة (وهذا أمر نادر الحدوث ومعاملة لم يحلم بها المعتقلون بعد ذلك، حيث كانوا يجبرونهم طول الطريق على طأطأة رؤوسهم حتى يضعوها على أرض المقعد الذي يجلسون عليه وضرب الخيزرانة والكبل مستمر طوال الطريق، وقد بقي رأس أحدهم ينزّ قيحاً ودماً شهرين كاملين بعد تلك الرحلة الرهيبة. كنت أنظر إلى الناس يغدون ويروحون وكأني أقول لهم: ألا تعرفون ما تحمل هذه السيارة؟ نحن معتقلون جدد قادمون إلى سجن مدينتكم هذه.

ووصلنا إلى مدخل يحرسه عسكري بالقبعة الحمراء والسلاح الكامل.. أوقفت السيارات ولم يسمح لهذا بالتقدم حتى تقدم مساعد يضع القبعة الحمراء ويزيّن عضده بثلاث نجوم على رقعة حمراء كالدم، فتفحصّ الأوراق ثم ذهب إلى الحرس فأمره بفتح الباب وركب في السيارة الأمامية، ودخل رتل السيارات معتقل تدمر العسكري أو مركز التطهير الوطني لتصفية الإخوان المسلمين.

كانت لحظات فاصلة بين مرحلتين مرحلة الاعتقال والتحقيق وسجون المخابرات وزنازينهم الرهيبة، ومرحلة السجن العسكري الذي لم نكن ندري عنه شيئاً (والذي فاق بهوله كل وصف) سمعت من البعض ومن أبي سعيد (وما أدراك ما أبو سعيد) إن المعتقلين في سجن تدمر يوضعون في مهاجع ضخمة في كل مهجع (100) معتقل وقال: إذا كان الأمر كذلك ففي هذا تسلية لنا حيث نتعرف على الناس ونسمع مشاكلهم فيمضي الوقت، وما درى أبو سعيد أن الكلام في سجن الموت جريمة لا تغتفر، وأنه سوف يجلس بل نجلس جميعاً صامتين وجلين يشغلنا الرعب والفزع والعذاب عن كل أمر سواه..

كانت هناك قوات عسكرية تحيط بالسجن من الخارج، معها المصفحات والأسلحة والعتاد وحولها الأسلاك الشائكة، وهم باللباس المبرقع الخاص بسرايا الدفاع.
مع العذاب في سجن تدمر العسكري
دخل رتل السيارات باب الثكنة العسكرية بعد أن أذن لهم ورافق السيارة الأولى المساعد ذو القبعة الحمراء وسارت السيارات إلى الأمام شمالاً مسافة (150م) ثم دارت نصف دورة إلى اليسار ووقفت أمام باب ضخم حائل اللون. كانت الأرض أمامه

مفروشة بالإسفلت الأسود والجدران ترابية مغبرة ومن الباب الحديدي كانت تبدو درجات نازلة وأمام الباب كان يقف نفر من الجنود بالقبعات الحمر (لباس الشرطة العسكرية) أمرونا بالنزول فقمنا إلى مصيرنا نحمل أغراضنا القليلة.

وقف عناصر دورية المخابرات التي قدمت بنا وأخذ مسؤول منهم بمفتاح صغير وأخذ يفك قيودنا ويوجهنا إلى مدخل السجن، فيشير لنا الشرطة بالدخول (كانت لحظات حاسمة ودعنا فيها الدنيا والناس والحياة خارج السجن.. ونحن لا ندري).

انطلقنا راكضين حتى دخلنا غرفة إلى يسار المدخل، ووقفنا نتأمل في هذه الغرفة في جدرانها التي كانت بيضاء، فإذا هي كأنما طليت بألوان شتى: السواد – القذارة، وهناك شعارات منها: نعم لبطل تشرين والجولان.. وصرخ أحدهم بصوت قاس وتلاه بسباب وأمر حاسم بالوقوف إلى جانب الجدران، فوقفنا..

ودخل نفر من الشرطة وأخذوا يضربوننا ضربات عنيفة كانت تسمع هبداتها، كما رأينا بعض إخواننا يقعون على الأرض، وأخذنا الألم والرهبة من هذه البداية الرعيبة.

تكامل دخول الدفعة وصرخ فينا صوت يقول بحقد وزجر وسباب: ولك يا.. كل واحد يسمع اسمه يقول (حاضر) ويرمي أغراضه لهون (وأشار إلى الجهة اليمنى) ويخرج فوراً وبسرعة.

وبدأت قراءة الأسماء، وسمعت اسمي.. واندفعت ألقي بأغراضي إلى الجهة التي أشار إليها، وعدوت خارجاً. كان هناك جلاد على الباب وبيده كرباج يوجه به ضرباً إلى غرفة مقابلة. دخلت الغرفة المقابلة، كان هناك اثنان من المساعدين أمام كل منهما دفتر، ومع أحدهما ورقة يقرأ فيها الأسماء، وسجل أحدهما اسمي وعملي وعنواني، وكان قبلي شاب طالب هندسة وقد سأله المساعد الثاني عن مهنته فقال: طالب هندسة بالجامعة، فأغاظه ذلك وأثاره، وقام يزعق، فدخل عسكري بكرباج وانهال على الشاب ضرباً، وخرجت أعدو كما أمروني ووجهني حامل الكرباج إلى باب في زاوية المكان ضمن سياج حديدي وعليه جلاد كان يضرب بكرباجه كل داخل وأكلت نصيبي من الكرباج ودخلت، فإذا نفر من الجلادين إلى يمين الباب يتلقون الداخل وبأيديهم الكرابيج فيصرخون فيه ويضربونه ويأمرونه: غمض عيونك، افتح ايديك، ويغلظ فيضربونه أكثر، ثم يصفونه مع غيره إلى الحائط، ويتناولون القادم الجديد. لم أفهم شيئاً، كان رأسي يدور بألف سؤال: لم كل هذا الزعيق والأوامر: أغمض عينيك مد ايديك.. روح تعال.. وكيف يتحرك الإنسان وهو مغمض عينيه؟ هذا ما يجب أن نتعلمه، وكيف يكون التعلم؟ بالضرب الرهيب والصراخ المرعب، كانت الضربات أليمة قاسية ولكن.. والخوف من المجهول كان أكبر من الألم.. كنت أقول: (يا رب ماذا يريدون ولم كل هذا؟) ويا ويل من يأتي بحركة أو ينبس بحرف يا ويله.. ولجهلي حركت رأسي ومددت يدي أمسح عيني فانقضّ عليّ عسكري يصرخ بي مالا أفهمه وكلما نظرت إليه زاد في الصراخ، وتناولوني بالكرابيج ضرباً، وصراخاً.

حفل عذاب الاستقبال

ولما اكتمل العدد ساقونا في صف طويل متعرج لا يتركونه يسير إلا بالضرب حتى دخلنا إلى باحة كبيرة مفروشة بالإسفلت وصفونا على الجدار واحداً واحداً، وأمرونا أن نخلع ملابسنا كنا في آب فصل الحر الشديد، لذلك كانت الثياب خفيفة جداً فنزعناها بسرعة..

وجاء شخص يسمونه (البلدية) فجمع أحذيتنا وأخذها وبدأ عندها التفتيش أمسك أحدهم بشعر لحيتي ينتف منه ومن صدري الخصلة تلو الخصلة، ولما تأوهت لكمني على وجهي.

أمرونا بإنزال اللباس الداخلي ففعلنا وسلقونا بالكرابيج على مؤخراتنا مع البصق والكلام الفاجر، وبدأت الحفلة الرهيبة تشكلت مجموعتان للتعذيب وفرقة جوالة والكل مزودون بالكرابيج. أوقفونا واحداً واحداً ووجوهنا إلى الجدار وتنقض المجموعة على الواحد بالضرب الرهيب وتقوده إلى الدولاب فيضعونه فيه ويضبطون رجليه بعصا الفلقة ومن ثم ينهال عليه ثلاثة جلادين بالضرب الشديد على رجليه فكأنها النار المحرقة تكوي العظام، ويشتد الألم ويتعالى صراخ المعذب ويتأوه متألماً شاكياً، ولكن الضرب يشتد على المعتقل في دولاب التعذيب والكرابيج تطحنه فيصيح ملء الفم زعيقاً وعويلاً هو أبعد ما يكون عن صوت البشر وينفتح الفم إلى آخره فيلقمونه الحذاء ويدسونه في فمه، فإذا أبعد وجهه ركلوا رأسه وداسوا رقبته، ويعلو الزعيق والصراخ من شدة الألم والعذاب في تلك الباحة حتى يضج به المكان فينبري الرقيب العتيد يصرخ زاجراً ناهياً بصوت مدو يأمر بالسكوت: (سكوت ولك) وكأنه قائد أوركسترا يضبط النغم في حفلة صاخبة يستعمل الصراخ الناهر بدل عصا الأوركسترا فيلجم الخوف الأفواه وتختنق صرخات الألم.

تذكرت في ذلك الموقف أصحاب الأخدود والنار ذات الوقود وإلقاء المؤمنين في وقدة النار وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد، كانت عناصر الفرقة الجوالة تطوف على الواقفين المنتظرين بسيل من الضربات العارمة تجعل الواحد يحن إلى دولاب الموت أن يدركه، فسمع صوت الكرباج الثقيل (وهو عبارة عن قشاط دبابة) ينهدّ على ظهر المعذب أو على رأسه فيرتجف ويكاد يصعق، ويئن ويصرخ بالصوت المخنوق المرة تلو الأخرى.

كنت أقف ووجهي إلى الجدار أنتظر دوري في الدولاب الرهيب، وأناجي ربي: يا سميع يا بصير يا من لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، يا رب رحمتك غوثك.. هاهم الجلادون المجرمون جنود الشيطان ينقضون على عبادك المستضعفين بالعذاب.. يا الله يا الله..

وجاء دوري وطحنني الجلادون بكرابيجهم وأنزلوني في الدولاب واشتد البلاء بضرب رهيب وثلاثة من الجلادين عاري الصدور والظهور وبأيديهم الكرابيج كأنها اللهب، يقف الواحد منهم مباعدا رجليه جاثياً على ركبتيه رافعاً يده بالكرباج إلى الأعلى والوراء، حتى ترى عفرة إبطه، وينزل به كأنه الصاعقة الماحقة، تريد أن تدمّر وتحطّم ولكن لطف الله أعظم.

ويصرخ الواحد منهم بأعلى صوته وكأنه يحارب في معركة قد حمي فيها الوطيس، واحمرت الحدق، ونحن، عبيد الله المستسلمين لقضائه، لا ترحمنا سياطهم ولا ترأف بنا قلوبهم/ وكأنهم جنوا وركبتهم العفاريت والشياطين فانقضّوا علينا وقد فقدوا العقول فلا عقول.

كان الشاب الصغير إسماعيل يصرخ متألماً باكياً شاكياً مستغرباً يقول: إيش بتريدوا دخيلكن؟ أما نبيل فقد كان يعلن براءته مالي علاقة والله ما عملت شيء دخليكن أنا بريء، وهم يزودونه بالكرابيج ويلكمونه ويرفسونه ثم ألقوه أرضاً وأوسعوه ركلاً وضرباً حتى سالت الدماء من وجهه وشفتيه وغاب عن الوعي أو كاد فأدخلوه في الدولاب وأذاقوه من العذاب ثم أقاموه بعد أن تعبوا وكلّوا وأنهكوه ووجهوه إلى الجدار حيث العصا الرهيبة في الانتظار تفلق الرؤوس وتحطم الظهور وتدفع من انتهى أجله إلى القبور.

صبرت قليلاً على الضرب والتعذيب ولكن رجلي أصبحتا وكأن فيهما جمر نار يحرق العظام، فنفد الصبر وضاق بي الأمر وكدت أغيب عن الصواب وصرخت مرة ومرات ثم انفتح فمي الزعيق فما شعرت إلا وحذاء ضخم يصك أسناني ويكاد يسد حلقي ولكنني كنت في شغل عنه وغبت عن الوجود، فما دريت إلا وأنا أساق دفعاً وركلاً إلى مكان ما وأبصرت أمامي نفراً من إخواني بعضهم واقع على الأرض، والبعض يقفز أو يتحرك في حال مأساوية، دماء نازفة ووجوه ملأى بالجروح وأرجل قد تمزقت وسالت منها الدماء وصراخ يقطع الأكباد.

وصرخ فيّ عسكري جلاد، وانقض آخر بعصاه فحطم بها ظهري فوقعت بين الموت والحياة وصرخت صرخة انطلقت مخنوقة من صدري الذي ظننته قد انشق نصفين (يا الله يا الله) وبادرني آخر بالزعيق لكي أستجيب وأقوم فما استطعت ولكن الركل والضرب أجبراني على القيام فقمت وكنت أظنني لا أقوم. وجاء شخص بالماء فرشقنا به وإذا بي قرب نبيل وهو يبكي ويتمسك بي قائلاً:

- سلّم لي على أهلي أنا بدي أموت..

فقلت: اصبر يا رجل..

وإذا بالصراخ يأخذنا من كل جانب.. واستدعانا الرقيب الكبير فإذا به جالس على كرسي في الظل بارز الصدر مستقيم الظهر منفوش كالديك فأخذ يستجوبنا:

- إيش كنتو عم تحكو يا...؟

كان عقله المريض يصوّر له أشياء غريبة، لابد أننا نتآمر عليهم أو على سلامة النظام. قلت: إنه يقول لي أنا بدي موت سلّم على أهلي.

فصرخ بغضب: (كذاب ولك) إيش كنتو عم تحكوا؟

قال نبيل: والله يا سيدي هيك قلتلو..

- كذابين ولك حقراء..

ثم أشار للجلاد وقال:

(سلخن لها الكلاب..) وانهال علينا مارد عاري الصدر نحيل الوجه مليء الجسم، فكان وجهه وجه فأر وجسمه جسم حمار وإنها لسحنة معروفة ولهجة غير خافية وهو يقول: (متحكوا يا حقيرين يا...) وانهال عليّ ضرباً حتى وقعت على الأرض أصرخ، فلم يتركني حتى شفى غيظه وحقده مني وأعادني إلى مكاني مع نبيل بعد أن ضربه أيضاً ضرباً شديداً.

وجاء من يرش الماء علينا ويسمونه (البلدية) كان كما علمنا بعد ذلك، سجيناً قضائياً من سجن العسكريين يعمل هنا في الخدمة التي يسمونه (البلدية) ولا أدري ممن بدرت بادرة خير ولعلها من نوع الرأفة بالحيوانات فقال أحدهم للبلدية: اسقيه.

كانت شفتاي مشققتين من الضرب، وحلقي جافاً من العطش، والصراخ واللهاث وحالي بالغة السوء، فناولني (البلدية) سطلاً من البلاستيك فيه ماء قذر وسخ قائلاً: تفضل.. فاندفعت أشرب منه بضع جرعات ولم أعده إليه بل ناولته لنبيل فشرب وسقى شخصاً آخر أو شخصين. ثم أخذوا الماء ولم يسقوا الباقين، وكنا بلا طعام ولا شراب منذ أربع عشرة ساعة تقريباً. كانت كلمة (تفضل) ترن في سمعي وصوت واجف يقولها وكأنه يقول: اشرب يا أخي فداك روحي.

أربع ساعات من القهر والعذاب والتحطيم لا يعلم ما قاسينا فيها إلا الله والذي عاشها من نزلاء تدمر، وكل معتقل يأتي تدمر لابد أن يطبق له الاستقبال اللعين فتطحنه رحى العذاب ويذوق الموت في ذلك الدولاب، وينظر بوحشية بني البشر التي فاقت وحشية وحوش الغاب سوءاً وضراوة وغدراً.

أربع ساعات مرت والموت يحوم فيها فوقنا تصكح آذاننا أصوات غريبة رهيبة، كرابيج تعوي وتصفع الأقدام والرؤوس والظهور بلطمات هائلات يلقي صوتها الرعب والهلع في قلب أشجع الشجعان.

وساقونا بعد ذلك في صف طويل متموج واحداً واحداً ونحن منكسو الرؤوس محنيو الظهور، وهم يضربوننا بالكرابيج. أدخلونا بعد سين وجيم مهجعاً طويلاً فاندفعنا فيه إلى أقصى مكان نتراحم على الحائط أو الزوايا البعيدة بعد أن وضعنا الجرحى جانباً، وأغلق الباب وسمعنا صوت قفله وتنفسنا الصعداء وثبنا إلى أنفسنا وأخذنا نجول بأبصارنا في أجسامنا وفي جنبات المكان. وتعالت تنهدات وآهات وتوجعات وتكلم البعض، وإذا بصراخ مخيف يأتي من جهة الباب:

- ولك يا حقيرين يا... بدون صوت ولك يا... بلا صوت والله لندبحكن ونشرب دمكن يا.. بلا صوت..

وانكفأنا مبتعدين خائفين، وخمد الكلام في الأفواه وصبرنا وقتاً أطول واجمين هلعين. نظرت فيمن حولي.. كان كل فرد في حالة رهيبة من الألم والتعب والإرهاق، وإذا بأحدهم يضم آخر ويبكي بكاء مراً فانهمرت من عيني الدموع، وأمسكت بمن كان قربي ونظرت في وجهه، كان وجهاً دامياً باكياً فناديته هامساً:

- يا أخي..

كان ذاهلاً فأخذته وضممته إلى صدري. إنها الرحمة التي أودعها الله في قلوب عباده..

وناجيت ربي قائلاً:

- يا رب إن كانت عواطف الخير والرحمة قد عدمت وجفّت ينابيعها في قلوب الناس، فها هي قلوبنا تملأ الدنيا بحب الخير والشوق إليه وإلى عدالتك.. يا رب السماء وإلى رحمتك يا إله العالمين، وإن غفلت عنا الدنيا ولم يعرف بأمرنا الناس ولم يرحمنا البشر فأنت يا رب بحالنا عليم، ورحمتك أوسع لنا يا أرحم الراحمين.

التعليمات.. أو خطبة المساعد

لم نلبث إلا قليلاً حتى جاؤوا.. سمعنا صوت المفتاح في قفل الباب، فاندفعنا إلى أقصى المكان نحتمي ببعضنا بعضاً وقد أخذ الخوف مأخذه منا، وفتح الباب واندفع الجلادون إلينا يصرخون بحقد وجنون وانهالوا علينا ضرباً رهيباً بالكرابيج حتى كلّت أيديهم وحتى علا الصراخ واشتدّ الكرب وجاء صوت رفيع يأمر قائلاً:

- يكفي شرطة ثم تابع: الجميع واقفاً.

فوقف كل من له رجلان فالخوف فوق الألم، وكنا ندير وجوهنا إلى الحائط وظهورنا إليهم، وجاء الأمر: وراء در، وأمر آخر لم نطعه لغرابته: فتح عاينك، تطلع لهون، ولكن مع تكرار الأمر فتحنا عيوننا ونظرنا فإذا بضعة عشر جلاداً باللباس العسكري والقبعات الحمراء والكرابيج في أيديهم وكان المتكلم يلبس بدلة عسكرية مكوية وعلى رأسه القبعة الحمراء أيضاً وعلى عضده نجمات ثلاث، وتكلم بصوت مدو فقال:

- انتو جيتو لهون باجريكن ما حدا جابكن يا حقراء يا... بتعرفوا وين هون؟ ما بتعرفوا.. هون سجن عسكري، يعني نظام عسكري يعني بدنا نفطركم قتل، ونغديكم قتل، ونعشيكم قتل، مسموح لنا نقتل (20) منكم (كان هذا فعلاً على أقل تقدير كما تبين لنا فيما بعد) يا حقراء.. يا.. ممنوع الكلام الصوت ممنوع، الكلام مع الشرطة ممنوع، تفتيح الأعين ممنوع، السهر ممنوع، بدكن تستلموا الحكم ما هيك استلموا البطانيات يا حقراء، لولا سباط الحزب (يعني حذاء الحزب) ما شبعتوا الخبز.

- ثم أعطى بعد ذلك تعليمات معينة مؤادها أن نرفع رؤوسنا ووجوهنا إلى السقف وأن نغمض أعيننا ونقف باستعداد كلما فتح باب المهجع، وفي حضرة الشرطة والرقباء. ووضعوا لنا رئيس مهجع من العسكريين المعتقلين معنا. فإذا سمع صوت المفتاح في القفل فإنه يصرخ: انتبه.. وعندها يسارع كل واحد إلى مكانه بأقصى سرعة ويقف بحالة انتباه ويعطي رئيس المهجع إيعاز: استاعد.. فيستعد الجميع، فيقدم رئيس المهجع الصف قائلاً: المهجع جاهز للتفتيش حضرة الرقيب، ويكون الجميع بوضعية الاستعداد والوجه مرفوع للسقف والأعين مغمضة.

أنهى المساعد خطبته والتفت إلى ما حوله فأيده الجلادون بكرابيجهم وزمجرتهم وسبابهم ثم خرجوا.. كنا في موقف لا نحسد عليه، ولم يكن لنا إلا خيار الانفلاق على حسب رأيه ولكني كنت أفكر: هل مات الضمير؟ هل فقد العقل وتحطم المنطق؟ هل انعدمت القيم كل القيم؟ ولم يبق شيء.

بعد مضي حوالي الساعتين تقريباً، عاد إلينا الجلادون أيضاً وصرخ أحدهم بصوت مرعب: ولك حقراء.. وأخذوا يسبون ويشتمون.

وسارعنا نطبق تعليمات رئيس الجلادين، وذلك بأن سارعنا إلى أماكننا ووقفنا باستعداد، ورفعنا رؤوسنا إلى الأعلى وأغمضنا أعيننا!! وسلمنا أمرنا لمن بيده الأمر.

وقدم أحد المعتقلين وهو الذي سموه (رئيس المهجع) الصف قائلاً: استارح.. استاعد المهجع جاهز للتفتيش حضرة الرقيب.. وهكذا بدأت في حياتنا تلك الجملة المكررة الرهيبة حين دخول الجلادين وحين خروجهم، ورافقت هذه الجملة بعد ذلك طوال مدة وجودنا في سجن تدمر الرهيب تتكرر في الصباح والمساء، والضحى والظهر والعصر والليل والنهار.. وما أن نسمعها من بعيد حتى يسيطر علينا الخوف ويهيمن الرعب والفزع، فننطلق ضارعين متوسلين مستغيثين..

كان معنى هذه اللازمة أن جلادي سجن الموت قد جاؤوا أو قل جاء الشر والقهر والعذاب في صور غير معلومة.

ثم ما لبث أن اندفع الجلادون إلى الداخل كالوحوش الضارية يصرخون ويشتمون ويأمروننا بفتح أيدينا للضرب، ويضربوننا عليها بالكرابيج بقسوة، مع الأمر بتغميض العيون. وتعالى الصراخ من الجلادين بالنهر والسباب والزجر، ومن المعذبين بالشكاية. وكان الجلادون خلال ذلك لا يرحمون مريضاً أو طريحاً لا يستطيع القيام بل يضربونه بالكرباج بقوة وقسوة ويأمرونه بالقيام مع السباب فإذا رأوه بين الموت والحياة زادوا عليه ضرباً وركلاً وأظهروا التشفي ويصرخون:

- موت يا حقير.. الله لا يرحكم.. فطوس يا كلب..

ووقع بعض المعذبين على الأرض فلم يتركوهم بل اندفعوا يضربونهم ويرفسونهم ويأمرونهم بالقيام.

وقرع الباب.. قرعة الرقيب حامل المفاتيح، واستدعى الجلادين، فخرجوا وهم يشتمون ويكفرون ويسبون الله ومحمداً والدين والإسلام والمسلمين، وقبل أن يخرجوا عادوا وكأنهم تذكروا شيئاً فطلبوا رئيس المهجع وأمروه بالوقوف باستعداد رافع الرأس مغمض العينين، فوقف أمامهم كذلك، فاندفع إليه العسكري الجاهل الحاقد فصفعه على وجهه بقسوة ولكمه في بطنه، وانقضّ الجلاد الآخر عليه بالكرباج يضربه بقسوة حتى ألقوه أرضاً، حدث ذلك في وقت قصير، حيث أنهم اندفعوا يضربونه بسرعة وقسوة وهم يصرخون ويزمجرون وتركوه ملقى على الأرض وخرجوا فرحين هازئين. وكان هذا الشاب مثقفاً يحمل شهادة عالية في الأدب الإنكليزي، وهو أيضاً ضابط مجند في الجيش، أديب كريم ذو رجولة وأخلاق، ولكن ماذا أقول؟ إنما هي محنة وبلاء من الله يمتحن به هذه الأمة. كان هناك طعام قد أدخل ولكن لم يلتفت إليه أحد.

حالات

بعد خروج الجلادين كان الأخ (م ع) أبو أنس مغمى عليه ملقى في الزاوية وهو طالب جامعي في فرع الهندسة الكهربائية وفي السنوات الأخيرة.. وعمره (23) عاماً وقد خصوه بأكبر قسط من العذاب، ويبدو أنهم فطنوا لما ذكره عند تسجيل الأسماء عن عمله، فكان ذلك دافعاً لزيادة العذاب عليه وهذه فلتة من فلتات عبقرية الجلادين.. لا أحد يدري من أي مبدأ استوحوا القاعدة التي يتبعونها في معاقبة وتعذيب حملة الشهادات دون غيرهم، لذلك كان الأخ المهندس (ش س) يجيب إذا سأله الجلادون عن عمله بعد ذلك يقول: نصاب عواميد كهرباء.. ولم يكن ذلك ليصرف عنه العذاب، ولكنه كان يتجيه من غضبة الجلادين. دعاني بعضهم أن أقوم لأنظر حال الأخ أبي أنس..

فقمت إلى الأخ أغالب ما بي.. كان أبو أنس قد استفاق لتوّه من إغماءته وكان منهكاً مرهقاً.. قلت:

- كيف حالك يا أخي..؟

قال: الحمد لله..

وجاء شاب كان يجلس قريباً منه كان في حالة سيئة جداً: وجه متعب مشوّه، وجسم منهك وكشف القميص عن منظر مثير، ظهر تمعط جلده وتسلخ وظهرت فيه جروح غائرة ولحوم مشرشرة، وكان ينزف قيماً ودماً.. حتى صبغ القميص بل غمره..

كان هذا الشاب يدعى (ع) وهو من جهات الساحل السوري، وعمره ستة عشر عاماً..

قال: شغلي ظهري أستاذ..

ورأيت ظهره واعتصر الألم قلبي، لأني لم أكن أستطيع له شيئاً.

الطعام

وجاء أحد الأخوة يدعونا إلى الطعام، فرد عليه سليم: أنا ما بدي آكل بدي موت.. فعاتبته: لا يا أخي قتل النفس حرام، قم وكل ومن يوم إلى يوم بيفرجها الحي القيوم.

وكان الطعام عبارة عن وعاءين في أحدهما أرز مسلوق (مطبوخ) وفي الآخر مرقة ماء البندورة وفيها نوع من الخضار وبعض الخبز.

ولما لم يلتفت أحد إلى الطعام، ولم يقم أي واحد إليه، رأى بعض الأخوة أنه لابد من أن يتقوى كل أخ بشيء من طعام يسد به رمقه ويقيم به صلبه، فقام اثنان من الأخوة يتحاملان وأخذا يدعوان الأخوة بالدور إلى الطعام وكانا يقابلان بالاستغراب والزهادة والرفض، فيؤكدان الطلب ويصران عليه: لابد من الطعام ولو لقمة واحدة، ولم يكن لدينا صحون ولا ملاعق ولا أي نوع من الأوعية، فقد أخذت منها الصحون البلاستيكية والملاعق والأكواب البلاستيكية، وفراشي الأسنان وكل شيء.

الأذان

وفي هذه المرة.. جاءت الرحمة على صورة صوت غير غريب انطلق من مكان غير بعيد.. صوت مدو مجلجل.. راسخ كالجبال عظيم ليس له مثال إلا أن يكون ترتيلاً من تنزيل.. وهو يعلن أمراً بدا في ذلك الوقت والمكان غريباً رغم بداهته.. وهائلاً رغم وضوحه وفصاحته..

الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، أشهد أن محمداً رسول الله، حي على الصلاة، حي على الصلاة، حي على الفلاح، حي على الفلاح، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله.. نداء رباني سماوي إلهي يأتينا من العالم الآخر من دنيا بعدت عنا، دنيا يكاد يصعب علينا تصورها دنيا الحرية، ومن جو العبادة المسجدي النوراني ينطلق هذا الصوت في أجواء سجن تدمر الملتهبة بالحقد والغل والكيد والغش والبذاءة والأذى والعذاب، فيطعن الباطل في الصميم، ويشفي صدور قوم مؤمنين، ويسقي الظامئين الذين كاد يهلكهم العطش رشفات باردات عذاباً.. صوت أرق وأندى من مناغاة الأم لطفلها، وأحلى من صوت الحمامة للحزين..

المهجع

كان منع النظر وتفتيح الأعين يحول بيننا وبين معرفة ما حولنا من أشياء، كنا لا نعرف سوى المهجع، وكان المهجع بطول (14) م وعرض (4م) وله أربع نوافذ من كل جهة سعة كل نافذة 80 ×80سم ترتفع عن الأرض حوالي (3م) وهناك فتحتان في السقف 1×1م وكل النوافذ والفتحات مشبكة بالحديد بكثافة، وكانت أرض المهجع مغطاة بطبقة من الغبار الرملي كثيفة وهي محفرة في كثير من المواضع، وقد أمرنا الرقيب محقراً ومتعالياً:

- كنسوه بلحاكم يا...

وكانت لنا بالفعل لحى طويلة حيث أننا لم نحلق منذ مدة طويلة، لأن عناصر المخابرات كانوا يمنعون عنا أدوات الحلاقة والحلاقين..

وكانت جدران المهجع مطلية بطلاء أخضر فاتح إلى مستوى (1.5)م ثم بطلاء أبيض حتى السقف، وقد بدا واضحاً أن عملية تنظيف وتعزيل وطلاء قد جرت حديثاً للمهجع وأنه لم يستعمل بعدها أبداً، فهناك آثار وبقايا الطلاء على الأرض.

وكان للمهجع دورة مياه أخذت من طوله بعرض (2م) فيها مرحاضان أحدهما معطل ومغسلة صنبورها معطل أيضاً، والأرض في دورة المياه مشققة وكسرة.

كنت قد سمعت قبل اعتقالي بفترة وجيزة بمجزرة تدمر الرهيبة التي قتل فيها مالا يقل عن (1000) معتقل من الأخوان المسلمين، وذلك في سجن تدمر العسكري هذا، فقمت أنظر في نواحي المهجع لعلي أرى آثار ذلك الحدث الذي سمعت عنه، فكان أول ما لفت نظري الجدران. كان في الجدران وعلى مستوى (150)سم وما دون وخاصة الجهات الداخلية البعيدة عن الباب حفر صغيرة متناثرة متجمعة أو متباعدة بقطر (1)سم وقد بدا واضحاً أنها قد حشيت بالجبس وطليت بعد ذلك، وعثرت في أحد الشقوق في المنافع القريبة من الباب على ظرف فارغ لطلقة رصاص، وفي اليوم الثاني وخلال إزالتي للغبار وتنظيف المكان وجدت في الأرض المحفرة لوناً داكناً بين الأسود والرمادي، تفحصته ملياً وشممته، إنه لم يكن بعيداً

عما توقعت، بل كان شاهداً حقيقياً عما جرى في هذا المكان من جريمة.. بل كل الشواهد تحكي قصة رهيبة ليست أحداثها بعيدة، ولا غابرة بل هي قريبة العهد.

إذا هذه الأيدي التي تمتد إلينا بالأذى أيد آثمة، إنها ملطخة بالدماء.. وما يدريك ماذا يخبئون لنا؟ وهذه أفعالهم وهذه جريمتهم وهذا حقدهم..

حالات صعبة

في ذلك الوقت كان عندنا بعض الحالات الصعبة منها: حالة الأخ عزام الحمصي كان مصاباً بمرض القلب، فما أن جاء دوره في حفل الاستقبال وأنزل في الدولاب حتى ضاق صدره وتسارع نبضه وخف ضغطه وغاب عن الوعي، ولم يشفهم ما به فأنزلوه في الدولاب وضربوه ونهروه وزجروه وسبوه، ولكنهم كانوا يضربون في حديد بارد وقد أنجاه الله ولكنه لم يكن يستطيع المشي ولا الحركة مما كان يضطرنا إلى حمله، فكنا نحمله أينما ذهبنا كما نحمله إلى دورة المياه ونعيده منها، فإذا جاء الجلادون ودخلوا علينا هجموا عليه يضربونه وهو مضطجع لا يستطيع القيام ويسبونه ويحقرونه ويستعجلون موته.

وكان هناك أخ يدعى عثمان من جهات الساحل مصاب بمرض الربو، فكان إذا اشتد العذاب حوله أو باشر الجلادون بضربه أصيب بحالة اختناق فيقع على الأرض وقد تشنج جسمه وضعف تنفسه وشخصت عيناه وظهر الزبد على فمه مع ارتجاف كلي في جسمه وأطرافه، ويفقد الحس والحركة.

وكان هناك الأخ عصام وكان مشوّه الجسم والوجه، وكان ظهره خاصة في حالة مؤلمة للغاية، وقد تقيح وتورم كما ظهر الورم في أنحاء مختلفة من جسمه في قدميه ويديه ووجهه، فكان ممن يخشى عليهم من الموت.

وكان الأخ أبو سعيد مصاباً في رجليه بتمزق شديد إضافة إلى رضوض مختلفة في نواحي جسمه نتيجة التعذيب الوحشي الذي تعرض له، وقد حاولنا علاج جروحه ولكن لم يؤد ربطها بقطع الثياب إلى أن تعفن الجروح وتورمها واشتداد آلامها، حتى غدت كريهة الرائحة.

وكان الأخ أبو بدر الرجل المؤمن الصابر الذي أمره الجلادون بأن لا يفتح فمه أبداً خلال عذاب الاستقبال، فوضع يده في فمه وعض عليها وأخذوا يضربونه يقول: وأنا صامت وهم مندفعون قد أعجبهم الأمر وارتاحوا له حتى عددت ثمانين ضربة ثم تهت في العد وغبت عن الوعي، فكان أبو بدر لا يستطيع المشي على قدميه المنتفختين ورماً وقد تمزق الجلد في كثير من نواحيهما، أما يداه فكانتا زرقاوين متورمتين حتى الكوع، وكان الوجه الأنسي للساعد أسود كالحاً منتفخاً وقد تمزق جلد الرسغين وأخذ ينز بالماء والدم، فكان أن جهز قطعتي قماش يلف بهما رسغيه ليحميهما من

الضربات الجديدة. تألمت لحاله وغلبني القهر والألم وهو يروي لي قصته وقلت في نفسي: حتى الصراخ في حال الألم ممنوع؟ أيمنع الإنسان أن يصرخ متألماً؟

وهناك الأخ أبو مالك الذي كان أشد ما أثارهم أنه طالب هندسة في الجامعة، ولم يكن الوحيد ولكن آذان الجلادين التقطت هذا التعريف دون غيره، ولكننا بعد ذلك كنا حريصين على أن نبتعد تماماً عن أي تعريف حقيقي بأعمالنا، وقد ساعدنا في ذلك نظام السجن ذاته الذي كان يمنع كل الجلادين من رقباء وعرفاء وشرطة الكلام مع المساجين إلا بالنهر والضرب، وكان ذلك لغايات أخرى هي منع أية علاقة أو معرفة بالمعتقلين وظروف اعتقالهم وماهية تهمهم.

ومن ناحية أخرى حتى لا يتأثر بهم الجلادون (ويعدون) بآرائهم المتطرفة، كما أن إغماض الأعين جعل له مبرر يزيد في حقد الجلادين وهو أن هؤلاء المعتقلين مجرمون وربما ينجو منهم أحد فلا يجوز أن يروكم ولا يعرفوكم حتى لا تتعرضوا لانتقامهم.

كان الأخ أبو أنس مريضاً بعد كل ذلك العذاب، وإن كان يستطيع السير بصعوبة جداً..

وكان الأخ أسامة الشاب ابن الثامنة عشرة في حالة سيئة من التشويه والجروح.

كذلك كان المعتقل نبيل ينزف الدم من فمه وأنفه، وقد تورم وجهه حتى غابت عيناه، إضافة إلى ورم رجليه ويديه وآلام شديد في سائر جسمه.

وفي اليوم الثاني لم يكن أحد يستطيع السير إلا بصعوبة كبيرة، وكانت حبات الرمل في أرض المهجع نحس كأنها حسك الحديد ولم يكن أحد يستطيع إطباق أي من يديه لما كان فيهما من ورم ووجوهنا كانت ملأى بالخطوط الزرقاء والحمراء والهالات السوداء.

وكان الأخ المعتقل أبو نجيب مكسور الكاحل بضربة عصا، فكان لا يستطيع المشي، فإذا أجبر حجل على رجل واحدة مستنداً إلى كتف معتقل آخر.

أول ليلة في تدمر

جاء المساء ونحن جالسون كل في مكانه، يذكر الله ويدعوه ويسبحه.. وفي السابعة مساء جاء الجلادون يصرخون، دخلوا علينا المهجع وضربونا بالكرابيج وأشبعونا سباباً وشتائم وتهديداً وكفراً.. وخرجوا يغنون ويصخبون، وأدخل خلال ذلك طعام العشاء ولكن لم يلتفت إليه أحد..

اضطجعنا على الأرض دون أي وطاء أو غطاء ووضع كل واحد منا حذاءه تحت رأسه.. أخذت أفكر في حصيلة يومي من أين أبدأ؟ وأين ينتهي؟ كانت صورة سجن تدمر غير

واضحة في ذهني، وكنت أول المستهينين به. أقول لمن يبدي قلقه وخوفه من سجن تدمر: وهل هو إلا سجن كباقي السجون؟ خلوة مع الله..

لم أكن أعلم أي غدر فيه وأي كيد؟ لم نكن نظن أنه يمكن أن توجه إلينا كلمة سيئة، فإذا بنا الآن في حالة أقل ما توصف به أنها سيئة جداً من نواح كثيرة صحية ومعاشيه وأمنية وإنسانية.. كنت أشك كثيراً في أنه يمكن أن أوخذ هكذا بالظنة.

كنت أشك في أن تأخذ الدولة الناس فتعاقبهم وتسدنهم هكذا بالشبهة والظنون، على غير ذنب واضح معروف أو ثابت، ولكن التاريخ يذكر لنا أن ظلم الحكام الطاغين كان بلا حدود لا يفرقون بين برئ أو مذنب، فها هو صاحب الأخدود يلقي المؤمنين في النار وكل ذنبهم أنهم آمنوا بالله رب العالمين، ليس ذلك صورة ماضية ولكنه خط فرعوني نمرودي أبو جهلي متجدد يسير عليه كل عتل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب..

كم كنت حسن الظن بل كم كنا حسني الظن بل لم نأخذ العبرة من فعل الطغاة السابقين، ولا من القرآن الكريم وهو يقول: (كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة).

فهاهم يظهرون وها هي أيديهم المجرمة وخططهم الماكرة لا تراعي عهداً ولا قانوناً ولا مبدأ، بل تتبع قانون الحقد ومبدأ الغدر، وتتخذ سبيل الظلم والفجور.. لو درسنا كتاب الله لعرفنا ذلك من قبل..

فلا يجب أن نخدع بكلامهم اللين وبهرجهم الزائف، وها نحن نلمس النتيجة وهاهم يطعنوننا في الظهر، اللهم خذ على أيديهم وأذلهم واصرف عنا كيدهم وأخذت أدعو..

انطلق فجأة صوت يصرخ بقوة.. في وسط ظلام الليل: هوووه هوووه هوووه.. ينطلق صارخاً بقوة فيدوي في جنبات سجن تدمر العسكري الرهيب، فتجاوبه أصوات أخرى بصراخ أقوى: هييه هييه هييه.. هوووه هوووه.. هييه..

تساءلنا في استغراب ما هذا؟.. ماذا فيك بعد يا سجن تدمر من سوء تظهره؟.. وتكررت الأصوات وكثرت في أذهاننا التساؤلات..؟

وكان أحد الأخوة قد تأخر عن أداء صلاة العشاء فقام يصليها والوقت لم يجاوز العاشرة مساء.. وإذا بصوت يصرخ فيه بقسوة وحقد ولؤم: ولك حقير شو متسوي يا.. والله لأفعل.. وكأنه ضبطه في جرم رهيب.

تدمر وسجنها

تدمر مدينة تاريخية عريقة، أشهر ملوكها أذينة وزوجته زنوبيا وآثارها من أجمل الآثار في الدنيا بمعابدها الرومانية وأعمدتها الرائعة التي لا تزال قائمة على مرور الأيام.

أما الآن فهي مدينة صغيرة لا يزيد سكانها عن (10) آلاف نسمة، وتقع إلى الجنوب الشرقي من الآثار المذكورة، وفي الجهة الشرقية الشمالية من تدمر توجد ثكنة عسكرية واسعة يحرسها رجال الشرطة العسكرية ذوو القبعات الحمر، وإن السائر في جنبات تدمر التاريخية إذا اتجه شرقاً جاعلاً المدينة عن يمينه فلن يسير طويلاً حتى يجد أمامه مدرسة وملعب كرة في العراء بجانبها، ومن ثم جدراناً عالية ذات لون ترابي طويلة، ومن وراء هذه الجدران تبدو أبنية ممتدة كثيرة تساير الجدران الخارجية، وسوف يرى على أسطح هذه الأبنية التي لها سياج بارتفاع متر واحد تقريباً حارسين يتجولان أحدهما في الزاوية الجنوبية، والثاني على بعد (100م) إلى الشمال منه. ولكل منهما غرفة صغيرة يأوي إليها بعض الأحيان

ولكن أحداً لا يستطيع الاقتراب من هذه الجدران، فحولها يتمركز عدد كبير من العساكر من سرايا الدفاع ذوي اللباس المموّه وهي تابعة لرفعت أسد، وقد أقامت خيامها وأحاطت نفسها بالأسلاك الشائكة، وهيأت المتاريس ومعها المصفحات بمدافعها الرشاشة.

فما هي الأبنية الطويلة الممتدة؟ وماذا يوجد فيها؟ إنها مهاجع سجن تدمر وفيها الآلاف من المعتقلين المساكين وهم في وضع بائس رهيب، يعيشون تحت ضغط الرعب والإرهاب والقسوة، مهددين بالموت من كل جانب.

هذا هو سجن تدمر العسكري أو ما سمي مؤخراً بـ : مركز التطهير الوطني لتصفية الأخوان المسلمين. وداخل هذه الجدران والمهاجع حدثت بتاريخ 1980/6/27 أفظع مجزرة في العصر الحديث لأنها تميزت بقتل السجناء العزل المستسلمين، وقد استغرقت ساعة من الزمن، قتل فيها ألف معتقل تقريباً دفعة واحدة وأكثر هؤلاء من العلماء والأطباء والمهندسين والمحامين والمدرسين، وهم من خيرة رجال سوريا علماً ودراية.. وفيها الطلاب والأحداث الذين اتهموا بحمل السلاح في وجه حافظ أسد.

ويستقر اليوم في مهاجع سجن تدمر العسكري هذا أكثر من (5000) خمسة آلاف معتقل من كل أنحاء سوريا فيهم كبار السن (60 – 70) سنة والعجزة من مقطوعي الأطراف والمشلولين والأحداث دون سن (18) سنة وهو عدد كبير يزيد على (400) حدث وفيهم المرضى بل كلهم مرضى بمختلف الأمراض والأوبئة وأولها نقص التغذية والجرب والإسهالات والسل وغيرها.

وهؤلاء المعتقلين يعذبون في الصباح والمساء، في الليل والنهار، في كل دقيقة، بمختلف الأشكال والصور ويعيشون في رعب دائم وقهر شديد ولولا الإيمان بالله والثقة برحمته لقتلهم ما هم فيه.

على كل حال فمن أراد أن يتأكد من الأمر فإني أؤكد أنه لو أنصت وحبس أنفاسه وهو يقف في ملعب الكرة الموجود قرب المدرسة غربي السجن وفي أي وقت لسمع من بعيد من داخل جدران المعتقل السميكة صرخات وآهات وزعيقاً عميقاً يدل على آلام شديدة ورعب كبير، مما يدل على استمرار العذاب في كل الأوقات في سجن تدمر الرهيب، وخاصة في الصباح الباكر أو الضحى أو المساء، ومع ذلك فهذا ليس كل شيء، ففي صباح الاثنين من كل أسبوع وبالتحديد فيما بين الساعة السابعة والتاسعة يمكنك أن تسمع أصواتاً قوية تنطلق بين الفينة والأخرى من داخل الجدران: الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر، وقد تسمع الصوت يخمد في منتصف الكلمة فتخرج مبتورة هكذا الله أكبـ..، ولكنك لن تسمع الحشرجات الرهيبة، لأنها ليست قوية بما فيه الكفاية لتخترق جدران السجن العالية السميكة التي تحيط بسجن تدمر العسكري أو مركز التطهير الوطني لتصفية الأخوان المسلمين. وفي مكان الإعدامات يجري إعدام مجموعة كبيرة من المعتقلين يقدر عددها ما بين (30 – 80) معتقلاً في يومي الاثنين والأربعاء من كل أسبوع على الغالب.

وسوف نسمع بكل تأكيد بعد ذلك صوت محرك السيارة من نوع (زيل الروسية الصنع) وهي تتحرك حاملة الجثث إلى حفرة في صحراء تدمر ليهيل عليها البلدوزر التراب ويخفيها إلى الأبد.

فهل سيبقى ما يجري في سجن تدمر خفياً مكتوماً؟

وهل سيخرج أولئك المقهورين من سجن الموت في يوم من الأيام؟

سجن تدمر

الأصل في سجن تدمر أنه ثكنة عسكرية أقيمت أيام الفرنسيين، وقد استعمل قسم منها بعد ذلك كسجن للعسكريين المخالفين للأنظمة العسكرية كما وضع في هذا السجن أيضاً في بعض الفترات سجناء سياسيون.. وتوسّع سجن تدمر أكثر من مرة حتى بلغ عدد مهاجعه في عام 1979 (34) مهجعاً موزعة على سبع باحات ومستوصف وبه أربع غرف عادية، والمهاجع الأرضية وهي اثنان أو ثلاثة ولها مدخل خاص ومجموعة زنازين عددها عشرة وساحة خاصة للمكاتب، ومجموعة من الغرف عند المدخل الرئيسي للسجن، كما بنيت مهاجع أخرى عددها سبعة في أوائل عام 1982 فأصبح عدد مهاجع السجن (44) مهجعاً عدا المستوصف وغرفه.

وهناك المطبخ في الجهة الجنوبية الشرقية للسجن.

ويمتد سجن تدمر على رقعة مربعة من أرض الثكنة، ضلعها (125م) وتشكل الزاوية الغربية الجنوبية من أرض الثكنة.

باحات السجن منفصلة تماماً عن بعضها البعض، ويصل بينها أبواب حديدية ما عدا الباحتين (5 – 6) فهما متصلتان بممر واسع.

ومهاجع السجن من حيث البناء على نوعين الأول: قديم مبني بالحجر واطئ السقف ضيق النوافذ، معتم. والثاني حديث البناء فيه فتحات في السقف واسعة (1×1م) كانت في الأصل مغطاة بأقفاص زجاجية ولكن زجاجها تكسّر فبقيت مكشوفة تعرض نزلاء المهجع لمختلف الظروف الجوية.

ومن حيث السعة فالمهاجع على نوعين: الكبير وهو الغالب وأطواله 14×4م وفيه دورة مياه مأخوذة من طوله وعلى عرضه 2×4م فيها مرحاضان ومغسلة.

والنوع الآخر: إما صغير يتألف من نصف المهجع السابق مثل المهجعين (9 و 13) أو كبير عبارة عن مهجعين متصلين مثل (5 – 6) ويحيط بأبنية السجن جدار سميك مرتفع (4م) تقريباً من الجهات الجنوبية والغربية، وجزء من الجهة الجنوبية بينما تشكل جدران المهاجع الجدار نفسه من الجهة الشرقية وهي ليست جدراناً خارجية بل داخلية يحيط بها سور الثكنة.

وفي مربع السجن بابان فقط الأول في الجهة الجنوبية وهو واسع وصالح لدخول السيارات ولا يستعمل للمساجين إنما للأعمال الأخرى.

والباب الثاني في الجهة الشمالية الشرقية وهو بعرض (1.5)م تقريباً وينزل درجتين حيث مستوى أرض السجن أدنى من مستوى الأرض الخارجية وهذا الباب الأخير هو المستعمل لإدخال المساجين وإخراجهم، فهو باب السجن الرسمي.

فإذا دخلنا منه فسوف يقابلنا باب آخر يفضي إلى صالون، وعن يسارنا باب غرفة الانتظار ذات الجدران القذرة والعفن والشعارات (الثورية) مكتوبة بخط عريض وسوف ترى في غرفة الانتظار هذه إلى اليمين شبكاً حديدياً مزدوجاً من الأرض إلى السقف ومن جهته الثانية غرفة أخرى فهذا مكان الزيارات التي كانت سابقاً ويواجه غرفة الزيارات غرف مكاتب متصلة ببعضها وفي زاوية الغرفة الأولى طاولتان من الخشب فإذا سرنا إلى الأمام وجدنا باباً حديدياً ضمن سياج من قضبان الحديد المتشابكة، فإذا ولجناه وجدنا باحة كبيرة فيها أشجار وأزهار وبركة ماء صغيرة في الوسط وعلى جوانب الباحة التي تبلغ أبعادها 20×20م غرف مكاتب السجن والمحكمة وغيرها، وتدعى هذه الباحة باحة المكاتب وفيها غرفة الرائد فيصل غانم مدير سجن تدمر ونائبه النقيب، وفي زاوية هذه الباحة الجنوبية الشرقية نجد باباً حديدياً يفضي إلى ممر واسع طوله 4م يوصل إلى الباحة الأولى.
الباحة رقم (1) باحة الاستقبال
باحة كبيرة 25×20م وفي ضلع المستطيل الشرقي منها تنفتح أبواب المهاجع 1-2-3 ولها شرفة (2م) وفي الضلع الشمالي مهجعان متصلان تمتد نهايتهما غرباً خارج حدود الباحة ولها باب واحد وهما المهجع (5 – 6) المزدوج وطوله حوالي (30) متراً، وأن السجناء العسكريين الذين شغلوا هذا السجن فترة طويلة سابقة قد أطلقوا

تسميات معينة شاعت بعد ذلك ومنها أنهم سموا هذا المهجع (المطار) لطوله، أما ضلع المستطيل الغربي فهو عبارة عن جدار فقط يفصل هذه الباحة عن الباحة رقم (3) وفي وسطه باب حديدي. وأما الضلع الجنوبي ففيه مهجع واحد هو رقم (4) ويدعى (السينما) وكأنه استخدم سابقاً لغرض من هذا القبيل، وبين نهاية المهجع (4) والمهجع (3) في الزاوية الجنوبية الغربية ممر بعرض (4م) وفي آخره باب حديدي موصل إلى الباحة الثانية، ونزلاء مهاجع الباحة الأولى هذه هم الذين يعيشون القهر والألم كل حين، وهم يسمعون (النشيد المر) وهو صراخ الجلادين نهراً وزجراً وسباباً بأصوات قاسية عنيفة وحشية، وأصوات الكرابيج ضاربة هابدة قارعة، وصراخ المعذبين الذي يمزق نياط القلوب وذلك على مدى ساعات طوال تشمل غالب النهار وخلال عدة أيام في الأسبوع فيما يسمونه (الاستقبال) أو حفل تعذيب الاستقبال. الباحة

الثانية

وتتألف من مستطيلين يلتقيان ليشكلا زاوية قائمة رأسها في الجهة الجنوبية الشرقية للسجن، وهي تحيط بمهاجع الباحة الأولى من الجانبين الشرقي والجنوبي تقريباً.

وتشمل هذه الباحة على أربعة مهاجع وحمام السجن وهي المهجع رقم (8) ثم الحمام ثم المهاجع (9و 10 و 11) وهناك جدار من البلوط الإسمنتي يحجز المهجع (11) مع جزء من الباحة ويفصله في حيز بمفرده.

الباحة الثالثة

وفي وسط الجدار المرتفع الذي يشكل الضلع الغربي في باحة الاستقبال يوجد باب حديدي يؤدي إلى الباحة رقم (3) والتي تساوي في أبعادها أبعاد باحة الاستقبال نفسها تقريباً.

ففي الجهة الغربية من الباحة بدءاً من الشمال الغربي نجد مجموعة من الزنازين عددها (10) ثم المهاجع (18 – 17 – 16 – 15 – 14) ومن الجنوب نجد المهجعين (12 – 13) ولهما شرفة نجد امتداد المهجع الطويل (5 – 6) ثم باباً حديدياً يوصل إلى الباحة (4) وفي زاوية هذه الباحة الجنوبية الغربية ممر واسع يمتد حوالي (15م) وعلى يساره مدخل إلى المهاجع الأرضية وفي نهاية الممر جنوباً باب حديدي واسع (3م) يوصل إلى ممر عريض (4م) يقود يميناً إلى الباحة (5-6) ويساراً إلى باب حديدي كبير (4م) مغلق هو المدخل الثاني للسجن.

الباحة الرابعة

ومن الباب الموجود وسط الجدار الشمالي في الباحة الثالثة نصل إلى الباحة الرابعة وهي واسعة وفي وسطها بركة دائرية ليس فيها ماء وفيها المهاجع (19-20-12-22-23-24).

الباحتان الخامسة والسادسة

ومن الباب الواسع في زاوية الباحة الثالثة الجنوبية الغربية نصل إلى ممر عريض (4م) يتجه يميناً بعد (10) أمتار نجد باحة بعرض (20م) وطول (50م) وينفتح على الباحة (5) ثلاث مهاجع هي ذوات الأرقام (32 - 33 - 34) وعلى الباحة رقم (6)

المجاورة لها تفتح خمسة مهاجع أربعة منها على خط طول مواز لجدار الثكنة الخارجي ابتداء من الزاوية الغربية الجنوبية ويمتد شمالاً وهي ذوات الأرقام (25 – 26 – 27 – 28) وأخيراً وفي صدر الباحة المهجع رقم (31) ثم مهجع كبير في أول صف المهاجع المذكورة في الزاوية الغربية الجنوبية تماماً يدعى الورشة عرض الباحة السادسة هذه (20م) ولأسطحة المهاجع سياج يزيد ارتفاعه على متر وهناك أضواء المستوصف.كاشفة موجهة على السطح ذاته وعلى الباحة من الزوايا

ومن باب حديدي عرضه (1.5)م في زاوية الباحة السادسة الشمالية الغربية نصل إلى ممر عريض يوصلنا إلى باب باحة المستوصف والذي يوجد فيه أربع غرف ثلاث منها بأبعاد (4×4) وواحدة بأبعاد (4×8م) واقعة بين المهجع (28) وغرف المستوصف الممتدة على سويته، وكان هذا فارغاً ثم استعمل بعد ذلك كسجن للنساء.

الباحة السابعة

وفي نفس الباب في الباحة السادسة يقودنا الممر إلى باب آخر غير باب المستوصف على جهة اليمين إلى باحة مستطيلة فيها المهجعان (29) وهو ملاصق لجدار المهجع (31) الخلفي والمهجع (30) يقابله وبينهما باحة عرضها (15م) ومن بين غرف المستوصف والمهجع (30) فتح ممر إلى باحة أحدثت فيما بعد وأنشئ فيها أربعة مهاجع إضافة إلى إنشاءات أخرى ستذكر في حينها إن شاء الله.

اليوم الثاني في سجن تدمر

نعمة عظيمة من نعم الله التي لا تعد هي نعمة النوم، ارتاحت أجسامنا المنهكة واستراحت أعصابنا المتوترة وصفت أذهاننا المكدودة المرهقة بل عاش الجميع أحلاماً جيدة لا مثيل له من العذاب والرعب.

صليت الصبح في خشوع واستغراق وجلست أذكر الله وأدعوه، وأشرقت الشمس بنور ربها وغمرت الأرض بنورها الوضاء، وتسللت حزم من أشعتها المشرقة إلى داخل المهجع من النوافذ الشرقية. تذكرت نسمات الصباح الندية وأنا أخرج كل يوم من بيتنا لصلاة الصبح وأعمال البكور.. فأي عذاب ينتظرنا اليوم.. إنه اليوم الثاني لنا في سجن تدمر.

تساؤل

كانت الساعة تشير إلى السادسة صباحاً حين خيّم علينا جو من الترقب والتوجس والخوف.. الآن يأتي الجلادون كالكلاب المسعورة ومعهم آلات العذاب وكلهم حقد وسعار ولا يرحمون صغيراً ولا يوقرون كبيراً ولا يشفقون على مريض (إن المجرمين في ضلال وسعر) وليس لنا إلا الدعاء ليس لنا إلا أن نلجأ إلى الله ونلوذ به وندعوه.

وكنت أتساءل بألم وحيرة فأقول لنفسي: ما هؤلاء الناس؟ أي قسوة ركبت فيهم؟ أي بلادة وسماجة خالطت نفوسهم؟ أفي صدورهم قلوب ذات إحساس ومشاعر؟ أم أحجار صلدة قاسية؟..؟ أماتت في صدورهم القلوب؟

بل صدق الله وصدق رسوله: لهم قلوب لا يشعرون بها..

أهكذا يعمي الهوى والطمع والجشع أهكذا يعمي الدينار والدرهم..؟ أهكذا يغترّ الإنسان بالزعامة الفارغة.. بحطام الدنيا؟ أهكذا تفعل خزعبلات الكاذبين في نفوسهم الجاهلية؟

وهذا الحقد الرهيب.. على المعتقلين الأبرياء ما الذي أثاره فيهم..؟ أجبت نفسي بحسرة: ما أثاره إلا عقيدة بل عقائد باطلة فاسدة.. باطنية مكتومة.. أخفاها أهلها.. يخافون عليها من نور الشمس.. وحرارة الحق.. ولا مهرب..
إدخال الفطور
وفجأة صرخ صوت هستيري من النافذة الصغيرة في الباب: (ولك عرصات) وانتفض المهجع قائماً وصرخ رئيس المهجع (باللازمة): انتبه استاعد المهجع جاهز للتفتيش حضرة الرقيب. ووقف كل ذي قدرة على ذلك ورفعنا الوجوه إلى السقف وأغمضنا أعيننا وسرت كهرباء القلق في الأعصاب ولج القلب بالدعاء والاستغاثة.

وفتح الباب ودخل الجلادون وهم بفاحش السباب يصرخون ويشتمون وهجموا علينا يضربوننا ويرفسوننا بأرجلهم، وبدأ صوت الكرباج يلعلع في جو المهجع، وأخذت الأصوات ترتفع، واستغاث أحد المعذبين بالله قائلاً: دخيل الله، فثار الحقد الكافر في نفس الجلاد فقال له: (الله.. خذ.. هاي لألله) ثم استنكر عليه استغاثته بالله، قائلاً: إنت بتعرف الله يا كلب؟ واستغربت في نفسي لهذه المراوغة والمخاتلة السمجة وذكرت المثل: رمتني بدائها وانسلت، يرموننا بالكفر وهم الكافرون، يصموننا بالإجرام وهم والله المجرمون، وإن كنا لا نستطيع دفاعاً عن أنفسنا فإن الله يدافع عنا: (إن الله يدافع عن الذين آمنوا) وعزموا أن يخرجوا أخيراً بعد أن أذاقونا صنوف العذاب ثم طلبوا رئيس المهجع فأخذوه وبادره أحدهم بالكرباج يضربه وآخر يرفسه حتى وقع بين أيديهم مغمى عليه، وخرجوا أخيراً وصرخ رئيس المهجع بصوت ضعيف: استارح استاعد المهجع انتهى من التفتيش حضرة الرقيب. ولقد أدخل خلال هذه الحفلة من العذاب طعام الإفطار وهو عبارة عن صحن زيتون وكمية قليلة من الشاي.
ترقب
عزفت النفوس عن الطعام فلم يأكل أحد إلا قليلاً، وعزفت عن الكلام وانشغل كل واحد بدعاء أو ذكر أو تسبيح يتسلى عن آلامه ويتقوى على محنته والرعب ينشر ظلاله القاتمة في ذلك الجو المكفهر جو الجدران الكالحة والأبواب الحديدية الموصدة والنوافذ المشبكة بألف قضيب حديدي جو الصراخ الهستيري والأوامر الصارمة والعذاب والعقاب لغير ما جريرة أو ذنب، ما عرفنا ذلك قبلاً ولا سمعنا أن يعذب الإنسان لأجل العذاب.. وأن يكون هناك نظام.. للسجن يتفنن في تعذيب نزلائه. كنا في ترقب فما تكاد تسمع نأمة حتى تسري الكهرباء في جو المكان. البارحة وفي مثل هذا الوقت كنا نعيش كابوس العذاب البشع فهل انتهت محنتنا؟ إني لأشعر أن كل دقيقة بل كل ثانية تمر إنما هي محنة وعذاب لكل إنسان هنا. كنا نتساءل ما يخبئ لنا اليوم عباقرة سجن تدمر؟ الذين حكموا باستحقاقنا للعذاب والموت لأننا كما يقول كبير الزبانية: (انتو جيتوا لهون باجريكم) كيف أستنبط ذلك وعلى أي أساس أطلق حكمه وبأي منطق يتكلم؟ الله وحده يعلم.

كان بعض المتفائلين من إخوتنا قد اهتدوا إلى فكرة مؤداها: إن التعذيب يتم خلال اليوم الأول وربما بضعة أيام أخرى بعده، وبعد ذلك تعود الأمور طبيعية عادية.. ولكن صورة البغي والحقد والجهل الذي عرفناه ولمسناه في هؤلاء القوم كان يجعلنا نتوقع أسوأ الاحتمالات خاصة وأنه لا يردعهم عن ظلمهم خلق ولا دين ولا ضمير، بل هناك حقد يؤجج الشر في نفوسهم وأولياؤهم هم يمدونهم في الغي ولا يقصرون.
إرهاب ورعب
في العاشرة سمعت أصوات بعيدة أولها أصحاب الترقب وتوقعوا من ورائها أشياء وأشياء ولكني تركت كل هذه التصورات المخيفة جانباً وقلت: نسلم أمرنا لمن بيده الأمر.

ومزق جو السكون والترقب صوت غريب رهيب آثار الرعب في النفوس، كان صوت الكرباج يضرب جدار المهجع بقوة يتردد صداها الرهيب في جنبات المكان. لا ريب أنه الإرهاب الحاقد. تهيأت النفوس للموت وبلغت القلوب الحناجر كاظمين ما للمعتقلين من شفيع يطاع فقدوا الحق في الراحة والأمان، وأصبح الاطمئنان أبعد منالاً من العنقاء وفقدوا الحق في الحياة.

ودوى باب المهجع الحديدي بضربة هائلة من الكرباج الثقيل، وازدادت ضربات القلوب وأصبحت تضج في الصدور وكأنها مطارق ثقيلة (اللهم أنت القوي المعين نجنا من القوم الظالمين، اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم).

من النافذة الصغيرة في الباب صرخ صوت هستيري بحقد مجنون: ولك حقراء.. ولك يا.. ولك يا.. وصك آذاننا بأبشع ما في معجمهم من شنيع الألفاظ وفاجر القول مع التهديد والوعيد.

تحرك المفتاح في القفل وصرخ رئيس المهجع: انتبه استاعد المهجع جاهز للتفتيش حضرة الرقيب. ووقفنا حيارى مستسلمين لقضاء الله مغمضي العيون رافعي الوجوه إلى السقف وأمرونا بالخروج قائلين:

اثنين اثنين لبرا ولك كلاب.. بسرعة يا..) واندفعنا مسرعين مطأطيء الرؤوس) والأوامر التي تتوالى مع لسع الكرباج: (أسرع يا كلب.. غمض عينيك يا حقير يا..)

وأمرونا أن نسير رملاً على أطراف الباحة ثم دخل نفر من الجلادين إلى الباقين في المهجع وهم من المرضى والمصابين العاجزين عن السير وأخذوا يضربونهم ويعذبونهم.

وأمرنا الجلاد بصوته الكريه أن ننبطح على الأرض ونرفع أرجلنا قائلاً: (منبطحاً.. ارفع رجليك) وهجم علينا الجلادون بالكرابيج يضربون أرجلنا وظهورنا ورؤوسنا بضربات

شديدة وهم يصرخون مزمجرين ويسبوننا بأقذع السباب، ويكفرون بالله ويشتمون النبي صلى الله عليه وسلم.

وصبرنا على الضرب ولكن الضرب كان شديداً والألم رهيباً، فانطلق صراخ المعذبين يملأ المكان بأصوات متألمة شاكية تنفطر لها القلوب القاسية، أصوات منكرة غريبة لا تعرف فيها صوت أحد ولا تميزه كأنها آهات ثكلى أو زفرات محترقين أو صرخات متردين في هاوية.

وينبري الجلاد يصرخ بالصوت الزاجر الرهيب يأمر بالسكوت: (سكوت. سكوت يا حقير يا حقراء سكوت..) فتخمد الأصوات كلها إلا أصوات الكرابيج، ولكن الآلام لا تحتمل والموت مرّ فتعود الأصوات المتألمة إلى الارتفاع والناس بين واقع به العذاب فهو يتقلب تحت الكرباج ظهراً لبطن وبطناً لظهر وبين منتظر أن يأتيه الجلادون بالكرابيج فهو في رعب وكرب وعذاب قبل العذاب.

ويمر الوقت متباطئاً لا يريد أن ينقضي، والشمس ترسل أشعتها فتغمر المكان: ويدور في نفسي حوار: كم يتكتمون علينا ويضيقون؟ ولكن أمرهم مكشوف وسرهم مفضوح، والأرض تشهد والجدران والشمس تشهد على ما يجري تحتها من ظلم ومن ظلام، وجاء الأمر من الرقيب الجلاد: واقفاً، رملاً ثم جاء الأمر من جديد: منبطحاً ارفع رجليك يا.. وعاد الفلم وعادت الأصوات ترتفع إلى رب السماء شاكية إليه تخلي الناس عن بشريتهم وارتدادهم إلى أدنى دركات الحيوانية والوحشية، فها هم يلغون في الدم كأي وحش كاسر (إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل) ولكل شيء نهاية.
انتهت حفلة العذاب وجاء الأمر من الرقيب: واقفاً رملاً إلى المهجع، وعلى الباب وقف الجلادون يودعون الداخلين بضربات الكرباج الثقيل يصبون فيها كل حقدهم ووحشيتهم.

ودخلنا نحمل بعضاً ممن انهاروا أو أغمي عليهم أو أصيبوا، وقد ردد رئيس المهجع اللازمة وأغلق الباب وقذفونا بأشنع ما سمعناه من شتائم وسباب وفحش ووعيد بالقتل والشنق وغيره. (وانطلقت حسرات حرة وخرّ البعض ساجدين، وتبعهم الآخرون يحمدون الله الذي لا يحمد على مكروه سواه).

كانت حصيلة حفلة العذاب عدداً كبيراً من المشوهين والجرحى أصيب أبو أحمد في صدره فحُمل وكان رجلاً ضخماً ممتلئاً في العقد الرابع من عمره، وقع مغشياً عليه بين أيديهم، فلم يرحموه، ولما حُمل إلى الداخل أمرونا أن نسعفه فبادر بعض القريبين ليسعفوه، فانقضّ عليهم الجلادون يضربونهم.

وأصيب أبو سيد وقد تمزقت رجلاه ودهاه من العذاب أمر عظيم، فكان في حالة دنف وإرهاق لما أصاب رأسه وجسمه من ضرب وركل.

وأصيب أبو (ن..) فقد كسرت رجله قرب الكعب خلال وقوعه تحت أيديهم، ولكنه رغم الكسر قام يحجل على رجل واحدة حتى دخل المهجع، لا يكاد يشعر من الخوف بألم رغم أنه يعاني من ألم شديد.

وأصيب الأخ عزام الذي أقعده عن الخروج مرض القلب الذي ثار عليه يوم الاستقبال، فلم ينج اليوم منهم رغم عدم استطاعته الخروج، حيث دخلوا عليه وعذبوه وضربوه حتى غدا بين الموت والحياة.

وأصيب عصام.. ضربوه على ظهره حتى سال منه الدم وانتكأ ما كان قد التأم من جروحه.

ولم يكن هناك أحد إلا وأصيب إصابات مختلفة.

ترى: ما هذه الحفلة التعذيبية، إنهم يقولون أنها تنفس!!

ربنا إننا مسّنا الضر وأنت أرحم الراحمين..

استلقى كل في مكانه مرهقاً في حالة شديدة من الألم والسوء، وكنت أدعو ربي قائلاً: (ربنا إننا مسنا الضر وأنت أرحم الراحمين).

وأخذ كل واحد يتفقد من حوله ويتعرف على حال إخوانه، كان الكلام قليلاً جداً إلا عبارات ضرورية للاطمئنان عن الحال، ولكن أية حال صعبة أو احتياج إلى معونة أي أخ لا يتوانى عن مد العون لإخوانه، يتبادر الجميع إلى ذلك ويحرصون عليه.

فتحنا أعيننا وأخذ كل منا يلملم نفسه ويتلمس مواضع الألم ويتعرف على الإصابات، ومع ذلك كان كل منا يردد الكلمة الفاصلة الحمد لله.. الحمد لله.. الحمد لله رب العالمين.. يا رب إنا لك حامدون وبنعمتك وعنايتك ولطفك معترفون.. يا رب فاجعلنا من الصابرين المحتسبين.

وبادر بعض الإخوة إلى السجود وأخذت أذكر بعض من حولي قريباً كان أو بعيداً: أن يسجد لله رب العالمين..

تقف عقارب الساعة فلا تكاد تتحرك، والزمن لا يسير إلا ببطء شديد ونحن نستعجل الدقائق والثواني لتمضي ولينقضي النهار ويأتي الليل، فنحن نعيش كل دقيقة من النهار في ترقب وتوجس ورعب، وينهك أعصابنا ويضنينا أكثر من آلام أجسادنا الممزقة، ويكاد يقضي على ما نتمسك به من صبر وثبات، وكان ذكر الله البلسم الشافي والدواء الناجع لقلوبنا، ولولاه ما استطعنا الحفاظ على قوانا النفسية.

..فأصوات المعذبين وهم يصطرخون تقرع الأسماع وتقري في الأعصاب طول الوقت

كان أجمل صوت في الوجود نسمعه بل أحلى دقائق تمر بنا ونستروح فيها رائحة الجنة، ونجد فيها متعة عظيمة وهناءة وسعادة إيمانية غامرة إنما كانت دقائق الآذان ذلك الصوت الندي الذي كانت ترتاح له أسماعنا وتحن إليه قلوبنا وهو يردد نداء الله ..أكبر الله أكبر

وننصت خاشعين متبتلين نتملى كلمات الآذان ونرددها بخشوع لا نود أن تنتهي، إنه الصوت الوحيد الذي يخترق حواجز السجن ويتجاوز الجدران والحراس ليصل إلينا رقيقاً رخيماً كأنه الندى، فتشربه قلوبنا العطشى ونستشف منه أحوالاً ونتخيل صوراً ..ومواقف غالية في قلوبنا

دخلات تعذيب

جاء الجلادون بعد الثانية ظهراً بقليل، فطافوا علينا بالعذاب وسبونا وحقرونا كالعادة، ..لا يرحمون مريضاً ولا عاجزاً وأدخلوا إلينا ما يدعونه طعام الغداء

ثم عادوا في المساء وفي ظلام الليل فدخلوا المهجع وضربونا وعذبونا وهم يضحكون ويهزؤون ويلعبون وبعذابنا يستمتعون، ويمضي النهار ونحن على حال أليمة لا تهدأ ..رغم أنا ساكنون، ولا نستريح كان الهم كبيراً والقهر قد فاق التصور

جاء الليل وثار التساؤل والخوف من جديد: ما هذه الأصوات المرعبة؟ التي تقلق ليلنا وتنغص علينا ساعات نومنا، ولكن كشف بعد ذلك سرها فهان أمرها، فقد عرف أنها ليست إلا وسيلة اتخذها الحرس فيما بينهم ليحافظوا على اليقظة والانتباه والحذر ..(وهم يحرسون مكاناً هاماً خطيراً) فكانت هذه الأصوات الهستيرية

الظلم

..أي ظلم هذا الذي نعانيه في سجن تدمر

إنه ظلمات.. يوم القيامة.. مقيت وكريه، مر ممجوج لا ترضاه النفوس السليمة ولا .القلوب الحيّة والحقد عمى وضلال وتيه

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً فالظلم مرجعه إلى الندم

تنام عينك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تنم

وإنا لا نجد لنا ملجأ إلا إلى الله، فنحن نضرع إليه وندعوه بالدعوة التي ذكرها الرسول صلى الله عليه وسلم حين قال: اتقوا دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله ..حجاب، يرفعها الله فوق الغمام.. ويقول: وعزتي وجلالي لأنصرنّك ولو بعد حين

اليوم الثالث: (الأحلام)

اليوم هو اليوم الثالث في سجن تدمر العسكري..

الأحلام هنا من نوع آخر.. صافية وضيئة معجبة، إنها نافذة لنا إلى الدنيا –التي فقدناها- إلى الحياة التي كنا نعيشها.. وأبدلنا الظالمون بها هذا الجحيم البشري، ففي هذه الأحلام نستشعر الراحة التي حرمنا منها، ونلمس السعادة التي فقدناها، فنجد في الأحلام سلوى وبشرى. في هذه الليلة رأيت والدي وبعض أهلي وأخذت يد والدي فقبلتها، وكلي احترام وحب له، وهو يدعو لي.. كان ذلك في وضوح عجيب..

ويحدث الإخوة في المهجع كل بما رآه من طيب الأحلام والرؤى. قال أحدهم: "جئت الآن من بيتنا من عند أمي والأولاد، كنت بينهم سعيداً هانئاً. قبلت أمي ورأسها وبكيت سروراً".

هنأت هذا الأخ على رؤياه: قلت عسى أن يجعلها ربك حقاً، وما ذلك عليه بعزيز، وأمسكت دمعة ترقرقت في عيني، فإني مشتاق إلى رؤية أمي الحنون المصابرة، مشتاق أن أقبل يديها وأبللهما بالدموع.

قال الأخ أبو عبدو ساخراً: ما هي إلا أحلام، لم يبق لنا في هذه الدنيا شيء (مستحب مقبول) سوى الأحلام، فعيشوا في الأحلام فموتكم والله قريب، على أيدي هؤلاء المجرمين في هذا المكان اللعين.

فقلت له: يا أبا عبدو لئن كانت أحلاماً فإنما هي –وبحمد الله أحلام جميلة، ورؤى صادقة صافية مبشرة، وإنها لنعمة عظيمة من الله- ولن نموت حتى ينتهي أجلنا وإنا نؤمن بقدر الله ونثق أن لنا آجالاً لن نجاوزها ولكن ثقتنا الأكيدة بالله: إن لنا عودة إلى الحياة والجهاد، وأن لنا مع الظالمين حساباً..

الفطور – وبالحذاء

وفجأة جاء الجلادون يفتحون أبواب المهجع ووصلوا إلى الباب فأسرع رئيس المهجع يصرخ باللازمة: انتبه استاعد المهجع جاهز للتفتيش حضرة الرقيب.

ووقفنا باستعداد جامدين رافعي الوجوه إلى الأعلى، مغمضي العيون كالعادة.

واندفع الجلادون إلى الداخل وبدؤوا يضربوننا والويل لمن فتح عيناً أو تحرك حركة..

وكان صوت صفع غريب يدوي في المهجع مع آهات مكتومة، ووصلني الدور فأخذت صفعة.. بل خبطة هائلة على وجهي وهكذا سار الصفع والضرب للجميع بالترتيب مع

السباب والشتائم حتى انتهوا وخرجوا وهم يهددون.. فتحنا أعيننا ننظر ما حلّ بنا.. كان على وجه كل واحد منا خطوط ودوائر حمراء وزرقاء.. بم كانوا يضربوننا؟ وجاء الجواب: بالحذاء رأى بعضهم أحد الجلادين (وهو بثياب مدنية) يحمل بيده حذاءً سميكاً ويضرب به الوجوه بأقصى ما يستطيع من قوة، وقد حفظ من كلامه خلال ذلك قوله (وهذا أشرف من لحاكم يا..) وكان لنا جميعاً لحى طويلة لأننا لم نحلق منذ شهور، فالحلاقة ممنوعة في معتقلات المخابرات وكان (الحذاء) قد ترك بصماته واضحة على وجوهنا فما هي حفلة العذاب الصباحية هذه؟

لقد تبين لنا أنه الفطور.. نعم الفطور، فبحجة إدخال كمية يسيرة جداً من الطعام، كانوا يدخلون علينا ويعذبوننا كل يوم في مثل هذا الوقت من الصباح الباكر، فياله من فطور!!

التنفس

الأصوات في سجن تدمر العسكري غريبة، صراخ قاس يتنادى به الجلادون من عناصر جهاز السجن مع السباب الفاحش والشتيمة والتجديف، وهذا أمر طبيعي بالنسبة لهم –وكأنهم كما يقول المثل العامي: (محط كلام) وصوت الكرابيج المرعب وصراخ الألم وعويل المعذبين، كل ذلك كان يشكل الجو العام للسجن.. كان ذلك غريباً غير مفهوم لدينا ماذا يجري في هذا المكان؟ وعلى أي نظام تسير الأمور؟ وماذا ينبغي أن يفعل؟ كان ذلك كله معميات.. مجهولات مخيفة.. ليس لها أي جواب..

وفي التاسعة والنصف تقريباً نشطت حركة في الباحة تنبه لها ذو الحذر والترقب، وقام رئيس المهجع بسرعة يصرخ "باللازمة" انتبه.. استاعد.. المهجع جاهز للتفتيش حضرة الرقيب..

وفتح الباب وصرخ فينا صوت منكر يأمرنا بالخروج قائلاً: لبرا ولك.. ولك يا.. تنفس.. بسرعة يا.. رملاً يا.. لم نكن ندري ما التنفس..

خرجنا مسرعين ونشطوا لعذابنا كالبارحة (منبطحاً.. ارفع رجليك) وهجم علينا الجلادون يضربوننا بالكرابيج على أرجلنا ومختلف أنحاء أجسامنا..

كان هناك صوت رفيع عرفناه.. إنه صوت المساعد أحمد.. صاحب الخطاب الشهير.. وكان له غرام بأن يدع التعذيب يشتد أوره، وهو يحرض الجلادين سراً ويشير إليهم خفية بتشديد الضرب وقوة الجلد.. فاذا ارتفعت حمى العذاب واشتدّ أوارها وصلينا بها صرخ بصوت مدو: (يكفي شرطة) فيقفون يسيراً ثم يشير إليهم أن يبدؤوا من جديد ليقوم دائماً بدور المنقذ.. ومع ذلك كان خوفنا أقل واحتمالنا أكثر.. إلا المرضى والعاجزين فإن حالهم قد ساءت كثيراً..

وهكذا تبين لنا أنه حفل يومي فها هو يتكرر معنا للمرة الثانية، وهم يسمونه (التنفس) لم أسمع في حياتي عن مثل هذا التنفس..؟ والتعذيب هنا لا ينقطع عنا،

وأي تعذيب؟!! لا نكاد نودع الجلادين غير مأسوف عليهم حتى نستقبلهم من جديد، فلا أهلاً ولا سهلاً بل: أخزاكم الله..

في الحادية عشرة والربع دخلوا علينا وضربونا وعذبونا وأدخلت خلال ذلك كمية من الخبز ثم مضوا، وفي الثانية جاؤوا فدخلوا علينا يضربوننا ويعذبوننا وطلبوا اثنين لإدخال الطعام، فضربوهما وعذبوهما أيضاً..

وأدخل بعض طعام قليل، كنا نتمنى أن لا يأتوا إلينا وننجو من حفلات العذاب هذه ونستغني عن طعامهم وخبزهم (والله الغني) لا نريد كل ذلك ولينصرفوا عنا، وتراهم نشطين دائماً لتعذيبنا مندفعين كأنهم في حفل جنوني.

الحلاقة في سجن تدمر

في الساعة الثالثة تقريباً، وفي وقت ظننا فيه الأمان ولما يمض على العذاب حين إدخال طعام الغداء إلا قليل، جاءنا الجلادون فجأة..

وصرخ رئيس المهجع باللازمة: انتبه استاعد المهجع جاهز للتفتيش حضرة الرقيب.. لم نستطع أن نصدق أنهم جاءوا هكذا بسرعة ولكن الباب فتح.. وقذف الرقيب بأوامره مع السباب الشنيع.. (برا ولك حقراء.. برا بسرعة يا.. كللكم.. ولا واحد يبقى في المهجع)..

ودون مخالفات كنا نعاني من العذاب والضرب وغيره، فكيف مع المخالفة؟!! فنفذنا الأمر، وأسرعنا خارجين، نحمل المرضى والمصابين.

وأخذ الجلادون يسلقوننا بالكرباج.. من لدن الباب ثم قادونا في رتل أحادي يمسك كل منا بظهر الذي أمامه ويسير مطأطئ الرأس محني الظهر.. والضرب شديد والجلادون حولنا كالكلاب المسعورة يصرخون (هنت متطلع يا حقير.. هنت مترفع راسك يا.. ولك لك) وأدخلونا من أبواب وأخرجونا من أخرى، ونحن مغمضو الأعين لا نعرف أين نذهب، وكلما وصلنا باباً اشتد الضرب علينا عنده ومررنا بعدة أبواب، ولم نكن ندري نهاية المطاف ولا أين المستقر..

سلمنا الأمر إلى الله سبحانه، والتجأنا إليه وتوكلنا عليه..

حتى جاؤوا بنا مكاناً ضيقاً.. متطاولاً فيه من جهة اليمين أعمدة وشرفة واسعة قدرنا ذلك مما لمحناه من ظل، وأجلسونا دون الشرفة في مكان كأنه ساقية إسمنتية، وأخذ نفر من الجلادين يطوفون علينا ويضربوننا بالكرابيج على رؤوسنا وظهورنا بقسوة وحقد.. وكان نفر آخر من الجلادين من ناحية أخرى يقومون بعمل آخر، فكنا نسمع أصوات التعذيب والضرب لنفر منهم بصورة أقسى وأرهب.. والجلادون يصرخون بوحشية..

كانوا يأخذون الواحد فيضربونه ويعذبونه ويحقرونه، وهو صامت أو متأوه متحسر، أو صارخ مستغيث 0إذا اشتد العذاب- وبعد أن ينهكوه يسلمونه لآخرين.. كنا نسمع أوامر تملى على هؤلاء مثل: قعود.. قرفصة.. قرب.. لا تتحرك.. أغمض عينيك يا.. وقف.. وأوامر: تعال لهون.. وكلمات ساخرة هازئة: سلقاه.. عطرو لها الحقير.. بودرو لها الكلب.. مع ألفاظ بذيئة ويعقبها صراخ التألم والاستغاثة من المعتقل وتوسل وعويل..

وأخذ الشيخ أبو سيد، فكان يضرب ويعذب. عرفنا ذلك من صوته المميز، وكان له لحية طويلة.. وسأله الجلادون عن عمله: فأجاب بشيء لم أسمعه عرفت بعد ذلك أنه قال لهم إن عمله إمام مسجد، فأحنقهم ذلك وأحفظهم، فأخذوا يضربونه ويسبونه ويشتمونه، ثم وصموه بأنه يعمل عمل قوم لوط وأمروه أن يقول ذلك عن نفسه –أي يقوم بعمل قوم لوط في مكان كذا لمكان الجامع الذي سماه- وما زالوا يعذبونه ويضربونه حتى قال ما أرادوا فسبوا المساجد ووصموا روادها بالفاحشة مما يعف اللسان عن ذكره.

وسمعت صرخات وآهة من الشيخ أبي سيد وكلمات هزءوا وسخرية من الجلادين مثل (شوى – ولعت..) وانتشرت رائحة الشعر المحترق، علمنا بعدها أن الجلادين قد أحرقوا لحية الشيخ بقداحات الغاز، وأخذ أيضاً شاب صغير فعذب حتى تعالى صراخه واستغاثاته..

وجاء دوري فأخذني اثنان من الجلادين فضرباني على ظهري ورأسي بالكرباج وعلى يدي ورجلي.. ثم دفعا بي إلى مقعد محطم فأجلسوني عليه ويداي خلف ظهري وعيناي مغمضتان، وأخذ شخص يحلق لي شعر رأسي بعنف وبسرعة ثم دفعني وأمرني بالقيام، فما كدت أتحرك حتى تلقاني جلاد، فضربني ووجهني دفعاً إلى حائط قريب حيث وقفت وعيناي مغمضتان، ويداي خلف ظهري، وما لبث أن تناولني شخص آخر، وضع على وجهي معجون حلاقة، وأخذ يدلكه بالفرشاة وهو يسب ويجدف ثم دفعني دفعة شديدة إلى الحائط وجذبني آخر وهو يصرخ في وأخذ يحلق لي لحيتي بسرعة غريبة كنت أشعر معها أن شيئاً غير قليل من جلد وجهي قد كشط أو اقتطع، عدا الجروح في هذه الجهة أو تلك، وفرغ مني سريعاً، فأخذني نفر من الجلادين وعملوا لي حفلة (نعيماً) وهي ضرب شديد بالكرابيج على اليدين وغير اليدين إلى آخره..

كلنا نعرف الحلاقة عملية محببة كلها لطف وأدب، فإذا بالحلاقة في تدمر عملية غامضة مرعب فيها العذاب والضرب والإيذاء، وفيها التنكيل والجرح والتشويه والإذلال.

لما كنا في (كفرسوسة) في معتقل المخابرات العامة، طلبنا أكثر من مرة أن يسمحوا لنا بالحلاقة سواء بأدوات نحلق بها أو حلاق يقص شعورنا، فماطلوا وسوفوا ومنعوا ذلك عنا..

وكان نصيبنا وقدرنا أن تكون لنا أعظم حلاقة عرفناها في حياتنا، حيث نالنا من العذاب والألم ما الله وحده به عليم، وقصّ شعرنا جميعه وحلق لحانا سوى نتف هنا وهناك، وجروح غائرات وهكذا عدنا إلى المهجع حالقين مشوهين.

ولم نكن قد رأينا بعضنا ونحن بغير تلك اللحى الشقراء والسوداء، فإذا بنا نصبح جرداً مرداً لم يكد أحدنا ليعرف أخاه، وفي غمرة هذا الاستغراب نسينا آلمنا ومتاعبنا وعذابنا وحمدنا الله على النجاة والسلامة من تحت أيدي الجلادين والحلاقين، وأخذنا نتذكر ما جرى لكل منا من آلام وأهوال وعذاب وجروح.

لكن الأمر العجيب هو ذلك اللطف الإلهي فقد كان أكثر من أحرق شعره وجهه وهو أبو سيد يبدو وكأنه لم يصب بشيء.

الانتقال إلى مهجع جديد

بعد عودتنا إلى المهجع من الحلاقة التي استمرت ثلاث ساعات تقريباً، لم يمض إلا ساعة من الزمن حتى عاد إلينا الجلادون.. ونحن في حيرة وألم لا ندري متى يذهبون ولا حتى يعودون ولا ماذا يريدون؟ والأنكى من ذلك والأشد سوءاً هو أنهم دائماً ساخطون غاضبون.

فتح الجلاد باب المهجع وأمرونا أن نخرج بسرعة مع أغراضنا، فحملنا أغراضنا وحملنا المرضى والمصابين، وخرجنا بسرعة وقادونا ونحن مغمضو العيون وهم يصرخون فينا ويشددون علينا ويضربوننا بشدة بتهمة تفتيح أعيننا.

مررنا بعدة باحات، وولجنا عدة أبواب ثم أدخلونا مهجعاً جديداً يشبه سابقه إلا أنه معتم واطئ السقف قليل النوافذ ضيقها.. وغاب الجلادون قليلاً ثم عادوا وأدخلوا علينا عدداً من المعتقلين الجدد وقد بلغ عددنا في المهجع حينذاك (60) معتقلاً ولم يكن هؤلاء المعتقلون الذين انضموا إلينا بأحسن حالاً منا.

اليوم الرابع

أية سكينة تتنزل في القلوب، وأية حياة وروح وراحة، من خلال النوم والأحلام يفوز بها المعتقل المعذب في سجن تدمر العسكري. إنها النعمة العوض، خوف ورعب وعذاب واستغاثة ولجوء، والنتيجة سكينة وصفاء وروحانية وإيمان، شاهدت في الرؤيا والدتي الحنون فقبلت يديها، وكانت راضية تدعو لي.

كنت سعيداً بهذه الرؤيا التي تسعد القلب وتثير فيه الحنين والشجن، وأملت من هذه الرؤيا خيراً.. فإني أعرف بركة دعاء أمي ورضاها.. كم من مرة نجوت من ورطات ومآزق ببركة دعائها. توهمت كثيراً أن الحلم حقيقة فكنت مغضباً متحسراً أريد أن أعود إلى الحلم الجميل وأبتعد عن الواقع المرير، فأية رحمة إلهية هذه؟! إنها تثبيت للنفس وتقوية للروح.. بل هي كرامة اختص الله بها من عاشوا المحنة من أمثالنا..

في الساعة السادسة والنصف صباحاً سمعنا صوت حركة الجلادين وصراخهم، فتسمّر كل منا في مكانه، وضم عليه ثيابه، ووقف رئيس المهجع وحضّر نفسه للقاء غير المبارك وبحث كل واحد عن أي شيء يلوذ به من الجلادين والعذاب، فلم يجد له ملاذاً إلا الله، فانطلق يدعوه ويلهج بذكره: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم. وأخذ آخرون يقرؤون آية الكرسي وقل هو الله أحد وياسين.. يتعوذون بها من شر الجلادين، واقتربت خطا الجلادين من المهجع وصرخ رئيس المهجع باللازمة (انتبه استاعد المهجع جاهز للتفتيش حضرة الرقيب) وفتح الباب..

كنا نقف صفاً متصلاً على جوانب جدران المهجع ووجوهنا مرفوعة إلى الأعلى والأعين مغمضة، وكانت دماؤنا تغلي ترقباً وتوجساً وخوفاً من هذه الوحوش الجبلية التي تحمل لنا أطواداً من الأحقاد التاريخية.

خرج اثنان منا بناء على أمر الجلادين، فأدخلا طعام الإفطار بعد أن أخذا نصيبهما من الضرب خلال ذلك، ثم دخل الجلادون باندفاع وأخذوا يضربوننا بكرابيجهم بقسوة وعنف وسباب فاحش طاف الجلادون علينا بالضرب الشديد ونحن مغمضو العيون لا يدري أحدنا متى يأتيه الدور..

وأتاني الدور، وهبدني الجلاد بالكرباج على صدري فانطويت على نفسي وملت إلى الجدار، فضربني مرة ثانية وثالثة ورفسني بقسوة على بطني، ولما كدت أقع على الأرض صرخ بي وأمرني بالوقوف.

وخرجوا أخيراً وهم يسبون ويشتمون ويهددون ويمرحون، وأغلق الباب وصرخ رئيس المهجع باللازمة المفروضة: استارح استاعد المهجع انتهى من التفتيش حضرة الرقيب..

خرّ البعض ساجدين لله وحرك البعض الآخر أيديهم محتجين وأشاروا إلى أن الجلادين في الساحة قريبون فماذا بأنفسكم وبنا تصنعون..؟

في التاسعة والنصف استنفرنا في المهجع، فقد قرب موعد التنفس اليومي، كنت لا أبالي كثيراً بمثل هذه الاستعدادات ولكن كثيراً من الأخوة المعتقلين في المهجع كانوا مرهفي السمع ينصتون ويتأولون ما يسمعون.. وفي مهجعنا الجديد تبدو الأصوات أقرب.. قال بعضهم: هناك فتح مهاجع هناك تعذيب.. أنصت مع المنصتين فسمعت فعلاً صراخاً بعيداً إنه في الساحة الأخرى.. كما سمع كثيرون بل الكل سمعوا ما سمعنا.. فتلفت بعضنا إلى بعض وتفاهمت النظرات بصمت.. يعبر عن ألم وقهر.. كان أمراً غير معقول.. لم يستطع أي منا أن يجد له مبرراً.. إلا صورة من الظلم والحقد والانحراف لم نعرف لها مثيلاً..

تحدث بعض المتنصتين هامساً.. فقال: (بلشوا) أي ابتدأوا بالتعذيب. أنكر البعض على المتخوفين هذا مستهينين، وقالوا هذا شيء بعيد، فأجابوهم: إنكم ترونه بعيداً ونراه قريباً. دخلت الأصوات باحتنا، وسمعت بعض التحركات الغريبة، فعم الخوف والقلق والتوجس نفوسنا.. لقد جاء الجلادون.. الفاجرون..

وسمع صوت دبيب الأرجل العارية الحافية راكضة على أرض الباحة، ولعلع صوت الكرباج اللعين.. في ضرب المعذبين.. يتألمون ويصرخون ويستغيثون. ما أفظع وأشنع ما يفعل هؤلاء الحاقدون الفاجرون..

وما أصعب وما أقسى أن تكون شاهداً على تلك الجريمة، وها نحن نعيشها بدقائقها وننتظر دورنا في السحق والتقتيل لا تملك دفعاً ولا ممانعة.

ونشطت عملية التعذيب واشتدت.. وملأ جو المكان صراخ جماعي أليم يفتت الأكباد والجلادون ماضون في صراخهم وضربهم وهزئهم..

ومضى الوقت بطيئاً زاخراً بالألم، وكأن اللقطة أعجبت المشاهدين فهي تعاد ببطء شديد وتعاد وتعاد وأدخل نزلاء المهجع رقم (8) وأخرج الجلادون نزلاء المهجع رقم (9) المجاور لنا فعذبوهم أيضاً ثم أدخلوهم..

كان كل واحد من المعتقلين في المهجع في تحفز وخوف يتلفظ بأحر ما في قلبه من دعاء واستغاثة..

صرخ رئيس المهجع: انتبه استاعد المهجع جاهز للتفتيش حضرة الرقيب.

فتح الباب.. ووقفنا كالعادة.. باستعداد جامدين مغمضي العيون.. ننتظر قضاء الله..

وصرخوا فينا بقسوة: (لبرا ولك حقرا.. لبرا ولك كلاب.. تنفس..) وخرجنا مسرعين واحداً واحداً..

اللهم لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك.. لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا.. عليه توكلنا وعليه فليتوكل المتوكلون..

استرقت النظر وأنا أخرج من الباب.. كان رئيس المهجع في أول الرتل الراكض رملاً.. كان مطأطئ الرأس محني الظهر ووراءه الجميع، كل واحد يدفن رأسه في ظهر الذي أمامه، صورة من الذل والمهانة لم أرها ولم أسمع بها.. لا بين الأسرى لدى إسرائيل ولا لدى هولاكو ولا في حال العبيد لدى نيرون والرومان..

ولعلع صوت الكرباج.. مع أول خارج من باب المهجع.. ولما تكامل خروجنا جاء الأمر: ..منبطحاً ارفع رجليك.. وبدأ حفل العذاب.. بين هدوء واحتدام

وهجم الجلادون علينا يضربوننا بالكرابيج ويسبوننا ويشتموننا ويدوسوننا بأرجلهم ويرفسوننا في صور مريعة من القسوة والعنف وعدم الرحمة.. وعلا صراخ الألم، وأصوات المعذبين، وهجم علي جلاد كالبغل، فنالني من أذاه ما الله به عليم، وصرخت بصوت مبحوح، حتى كللت ثم أذن الله بالفرج، وجاء الأمر بدخول المهجع.. ..ووقف اثنان من الجلادين على الباب يضربون الداخلين

دخلنا المهجع.. وأغلق الباب.. وصرخ رئيس المهجع باللازمة.. استلقى كل منا في ناحية أو تكوم في زاوية، فكتم التنهدات والحسرات والآلام حتى ابتعدوا عن الباب.. ..وخر البعض ساجدين وتبعهم الباقون، وسجدت لله أحمده وأشكره

كنت أمثل لحالنا وحالهم: بصورة شعبية معروفة في منطقتنا، تحكي تبجح الجبان :حيث يقول متحسراً ومتفاجراً يظهر بطولته في تأديب الخصم

أخ لو كتفوا لي إيديه ورجليه.. وأعطوني عصا غليظة.. وقالوا لي ميل عليه.. فكنت أعجب من هؤلاء المتبجحين بالرجولة والشجاعة.. وهم من أجبن الناس، ومن أخس ..الأوباش، أهكذا الرجولة تكون؟

..ولكن التنفس هكذا يكون في نظام سجن التصفية الجسدية للأخوان المسلمين

ذهب الجلادون بعد ذلك إلى المهجع الذي يلينا، ففتحوا بابه وأخرجوا نزلاءه فأخذوا يعذبونهم ويضربونهم ونحن نستمع في إشفاق وألم وقهر، ولا نملك سوى الدعاء بحرقة إلى الله.. نسأله أن يرحم المعذبين ويشل أيدي الظالمين، في أي زمان وأي مكان، تحدث هذه المظالم وهذه الوحشية؟ وفي ظل أي قانون أو دستور؟ (إنه زمن .(الضياع

شغل كل منا بنفسه وتصوراته، وذكره ودعائه كان البعض ينصتون ويحسبون.. وآخرون يقرؤون ويرتلون.. وآخرون يسبحون.. وأبو بدر ماض في قراءته وترتيله لا .يلتفت إلى شيء

شكا البعض أنهم لا يستطيعون قراءة القرآن الكريم.. في ظل هذه الأجواء المكهربة بالرعب والإرهاق، ونحن لا ندري ما يحدث لنا بعد ساعة.. وأصوات المعذبين التي تذيب القلوب القاسية.. وأصوات الجلادين الكريهة.. وصوت الكرباج المرعب لحن جهنمي لا يكاد ينقطع، ونحن نجلس في سكون، حائرين، مترقبين، خائفين، ساهين، والمتنصتون يؤولون الأصوات.. ويحللون.. ويتصورون ما يحدث وما سيحدث؟

يقولون سيأتي الجلادون.. ويصدقون.. وكل لقاء لنا مع الجلادين حار فعواطفهم الملتهبة تجاهنا يترجمها الكرباج بقوة وشراسة بعد اللسان السليط..

التفقد

في الساعة الثانية بعد الظهر جاء نفر كبير من الجلادين وأخذوا يدخلون مهاجع الباحة، وكانوا يبقون في المهجع حوالي ربع ساعة حيث تعلو الأصوات ويعلو صراخ المعذبين والجلادين معاً، ثم جاؤوا إلينا ففتحوا الباب وصرخ رئيس المهجع باللازمة المعروفة ودخلوا كالأبالسة هذا يصرخ من هنا وذا من هناك، فما فهمنا إلا أمراً واحداً من صراخهم وضربهم وهو أن نصطف اثنين اثنين، فانطلقنا بين الضرب والركل نصطف، وكلما كاد الصف ينتظم بعثره الجلادون، فكان وقتاً عصيباً رهيباً حتى جاء الفرج من الله وعدّنا الرقيب على ما يبدو ثم انطلقوا خارجين لم نفهم لهذه العملية معنى سوى أنها نوع من العذاب ولكن أحد المعتقلين وهو عسكري سابق كان قد أمضى مدة من الزمن في سجن تدمر هذا، قال: هذا هو التفقد.. تساءلنا وما هو التفقد؟ قال: كل يوم يأتون في الساعة الثانية حيث يجب أن نكون جميعاً مصطفين اثنين اثنين فيعدنا الرقيب.. تساءل أحد الأخوة قائلاً: ولماذا كل يوم ما دام لا يأتينا جديد، ولا يذهب من عندنا أحد والباب مغلق؟ هل يخافون أن يخترق أحدنا الجدار ويخرج؟

وهكذا كانت أيامنا في سجن تدمر ملأى بالعذاب والقهر والإرهاب، لا يدعنا زبانية السجن نرتاح أو نهدأ، إلا بضع ساعات من الليل، فكنا نطلبها حثيثاً قائلين: أدركنا يا ليل الأمان. كما كان أحد الأخوة المعتقلين يقول إذا حلّ الظلام وأمنا إغارة الجلادين: يا سلام يا ليت الأيام كلها ليل، ولن يبدو هذا غريباً إذا علمنا ما حلّ بهذا الأخ وما أصابه نتيجة العذاب والإرهاب.

أبو مازن في فخ المخابرات

كان أبو مازن نموذج الإنسان الوادع المسالم الأديب، مخلصاً في عمله، محبوباً بين زملائه ورؤسائه، يزينه خلق كريم ولطف ودماثة، كان موفقاً في اختيار الزوجة الصالحة، الودود الولود وله منها الآن أربعة أولاد وكان لا يغيب عن بيته ولا يسهر خارج المنزل إلا نادراً..

قام بخدمة إنسانية من خلال عمله في مشفى الدولة بإدلب، حيث نقل رسالة من معتقل محطم جيء به إلى المستشفى للعلاج إلى أهله، ثم فوجئ بالمخابرات تطلبه فسلّم نفسه إليهم دون أي تردد، وإذا به يقع في فخ التحقيقات والتعذيب حتى وصل أخيراً إلى سجن تدمر، وهنا أصيب الأخ بمرض عصبي يفقده إمكانية السيطرة على نفسه وخاصة حين حضور الجلادين، وخلال حفلات التعذيب..

الثقة بالله

ومع كل ذلك ورغم حالنا الصعبة هذه وما كنا فيه من عذاب وإرهاب فإن ثقتنا بالله كانت بلا حدود، وكان كثير من المعتقلين يقولون بثقة واطمئنان: لا تراعوا فإن الفرج قريب، فكلما اشتدت المحنة كان الفرج أقرب، فما يأتي الفجر إلا بعد اشتداد الظلام،

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (إن النصر مع الصبر، وإن الفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسرا) فمهما اشتد ظلم زبانية سجن تدمر وطغيانهم فإن لكل شيء نهاية، وسوف تأتي نهاية كل ذلك قريباً بإذن الله..

كنس الباحة

في يوم 1980/9/17 تسللت بعد الفجر إلى المنافع (المرافق) من أجل الوضوء نعم تسللت لأن الزبانية يراقبوننا وخاصة عند الفجر، ويحظرون علينا الحركة أو الذهاب إلى المرافق لمنعنا من الوضوء والصلاة.. وكانت هذه أقسى مشكلة، أن نمنع من الصلاة بالإكراه وبالإرهاب وبالعذاب، لماذا هذا الإصرار على محاربة الصلاة والعبادة؟

لقد أجبرتنا حفلات العذاب الرهيبة التي أنزلت بنا جراء الصلاة على الحرص على التخفي بصلاتنا.. قال الأستاذ أبو أسامة: إن هؤلاء قد أعلنوها من قبل حرباً على الله.

منذ يومين كان أحد الزبانية يراقبنا سراً دون أن ندري، واستطاع أن يضبط أحد الأخوة وهو يصلي فأخذ يصرخ فينا ويسبنا ويهددنا بالويل والثبور.. ورغم أن الوقت كان عصراً وليس من عادة الزبانية الحضور في مثل هذا الوقت، فقد جاء عدد منهم وهم في أشد الغيظ والحمية وبأيديهم الكرابيج، فصرخوا فينا وسبونا ثم فتحوا باب المهجع وأخرجونا إلى الباحة تحت الضرب الشديد، وأمرونا بكنس الباحة بأيدينا العارية، وكانت هذه حجة ووسيلة لتعذيبنا وضربنا، فبينما كنا نقوم بكنس الباحة المحفورة والملأى بالرمل والأوساخ كان الزبانية يجولون ويصولون وينقضون علينا ويضربوننا أعنف ضرب، وكان من الزبانية عريف طويل القامة ممتلئ الجسم ذو صوت أجش منكر يدعونه (شعبان) كان أكثرهم وأنشطهم في الضرب والعذاب، وكان يظهر واضحاً من لهجته أنه نصيري.

حفلات التعذيب

في يوم 1980/9/22 ورغم مرور أكثر من عشرين يوماً على وجودنا في سجن تدمر، فإننا لم نكد نعرف شيئاً عن أمور هذا السجن المليء بالغرائب والأهوال..

اليوم ومنذ الصباح الباكر التقطت آذاننا أصوات أشياء تلقى على أرض الباحة، وبعد مدة يسيرة سمعنا من جديد حركة في الباحة وأصوات الجلادين وهم يصرخون ويضربون في همجية كالعادة.. ورغم كل الظنون والافتراضات فقد بقي الأمر مجهولاً.. واستمرت الحركة والضرب والعذاب في الباحة، وكنا نعيش دقائق الضرب والتعذيب والآلام رغم أننا ضمن المهجع لا نرى ما يجري ولا نعلم عنه إلا تلك الأصوات التي نسمعها، فندرك منها قسوة العذاب وشدة وقع الضربات على المعذبين بل ونعرف المعذبين أنفسهم، ويشتد بنا القهر والحرقة لما يحل بهم ونشرع في الدعاء لهم ونبكي وتنهمر دموعنا ألماً لما يصيب هؤلاء الأطهار من ظلم وبغي وعذاب..

..وبدا لنا أنهم يأتون بنزلاء بعض المهاجع بالتتابع وقد استمر العذاب طوال هذا اليوم

الجمعة 1980/9/23
أي ظلم هذا وأي بغي فقد عاد الزبانية اليوم إلى ما كانوا عليه بالأمس من تعذيب المعتقلين، وعدنا نعايش هذا القهر والألم وكنا ننتظر أيضاً أن يحين دورنا في العذاب، وهل نحن إلا بعض من هؤلاء المعتقلين الذين يعذبون؟

استمر العذاب رغم أن اليوم جمعة وهو يوم العطلة الرسمية، ولكن الزبانية على ما يبدو لا عطلة لديهم ولا يراعون حرمة يوم الجمعة المبارك، وبينما كان صوت القراء والمؤذنون ينطلق من مآذن مدينة تدمر إيذاناً بحلول وقت صلاة الجمعة كان الزبانية يهزؤون بالتلاوة وبالآذان، ويثابرون عل غيهم في ضرب المعتقلين وتعذيبهم، واختلطت أصوات ضرب الكرابيج وصراخ المعذبين وتجديف الزبانية مع أصوات تلاوة .آيات القرآن الكريم ومع الآذان المنطلق من مآذن مدينة تدمر، فيا غيرة الله
30/9/1980
تبين لنا أن حفلات العذاب الرهيبة التي كانت تنشط طوال يومي الخميس والجمعة ويوم السبت في بعض الأحيان، ويستمر فيها تعذيب المعتقلين منذ الصباح وحتى .المساء، تبين لنا أنها عمليات حلاقة تتم لنزلاء مهاجع سجن تدمر بالتناوب
رجال الغد
يوم 1980/10/1 كنا نسمع في المهجع المجاور عند تقديم الصف وترديد اللازمة صوت غلام صغير دون الخامسة عشرة وهو يصرخ بصوته الرفيع باللازمة انتبه استاعد المهجع جاهز للتفتيش حضرة الرقيب، ثم نسمعه يردد وهم خارجون بصوت باك استارح استاعد المهجع انتهى من التفتيش حضرة الرقيب، فيهفو قلبي إلى ضم هذا الغلام إلى صدري وحمايته من كيد هؤلاء الظالمين، كان يثير في قلوبنا الحنان والعطف، وكان الجميع يثيرهم هذا الصوت الرقيق الذي ما كان يجب أن يسمع بسيرة هذا المكان حتى لا تؤذي مشاعرها الرقيقة وأحاسيسه الطفولية البريئة، ولكن الجلادين كانوا يهوون ضرب هؤلاء الأطفال بقسوة وعنف، ويهوون تعذيبهم وتقتيلهم، ففي فترة الحلاقة البارحة كانت هناك أصوات مختلفة تصرخ متألمة شاكية، وكان بينها الصوت الطفولي الرقيق لعله هذا أو غيره فالأطفال هنا كثيرون.. كان الطفل يبكي ويصرخ والجلاد يضربه، وسكت فترة ليعاود الصراخ من جديد ثم يتبعه بعد ذلك صوت طفولي آخر يتوسل إلى الجلاد بلهجة حلبية كنت أحدث نفسي والدموع تنساب من عيني: أي مرارة تزرعونها أيها الظالمون في قلوب هؤلاء الصغار الأبرياء؟ ثم ماذا ستحصدون بعد ذلك..؟
يوم 1980/10/3
العذاب في سجن تدمر مستمر لا ينقطع، يبدأ منذ الصباح الباكر وربما من الفجر، ويستمر هنا وهناك بصورة أو بأخرى وصوت الكرباج اللعين وصراخ المعذبين وعويلهم .لا تغيب عن الأسماع في هذا المكان الرهيب

وفي الساعة التاسعة من صباح اليوم وبينما كنا نسمع أصوات العذاب ونحن في خوف وألم حصل ما كنا نتوقعه، فقد شعرنا بالزبانية وهم يدخلون باحتنا ويبدؤون بتعذيب نزلاء المهاجع المجاورة، وكانت صورة العذاب اليوم غير ما ألفناه سابقاً في صورة عذاب التنفس والحلاقة أو غيره.. وجاء دورنا أخيراً بعد أن عشنا مع عذاب إخواننا وقتاً طويلاً، وضرب الجلادون الباب الحديدي ضربة قوية ارتجّ لها المكان ثم فتحوه وصرخ أحد الجلادين بصوت هستيري: ولك حقراء.. أنذال.. والله لأفعل.. وتلفظ بأشنع السباب ثم صرخ: بالشورت يا حقراء..

وبعد تردد يسير استوعبنا معه الأمر. بادرنا بنزع ثيابنا بعد أن كان كل منا قد لبس كل ما لديه من ثياب لتدفع عنه شيئاً من أذى الكرباج، ودخل الجلادون علينا فضربونا ضمن المهجع في هجمة عذاب منكرة ثم أخرجونا إلى الباحة ونحن عراة وأخذوا يعذبوننا بالكرابيج اللعينة، يضربوننا على أجسامنا العارية، وطلب الجلادون رئيس المهجع فأخذه كبير الجلادين (المساعد أحمد) ودخل به إلى المهجع واستمر العذاب والضرب بمختلف الأشكال والصور.. منه أنهم أمرونا أن نجلس القرفصاء وننظف أرض الباحة وأخذوا يطوفون علينا ويضربوننا أشد الضرب على أجسامنا العارية.. وكانوا يأمروننا أن لا نصرخ وإلا ضاعفوا لنا العذاب، وكان ممن شددوا عليه الضرب والعذاب، المعتقل أبو الورد فاستغاث بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم قائلاً: (دخيل محمد) فأخذت الجلاد حمية الجاهلية، وصرخ غاضباً مستهيناً: مين هادا محمد يا كلب؟ وانقض على المعتقل يضربه بقسوة بالغة، دخلنا المهجع أخيراً ونحن منهكون، فوجدنا كل ما في المهجع من حاجيات قد نبشت وقلب عاليها سافلها، وتكومت هنا وهناك في صورة غريبة من اللخبطة مما أدهشنا وحيرنا.. وقام كل منا يبحث عن ثيابه وسط هذا الخليط ليستر جسده، وبصعوبة كبيرة تمكن كل منا من جمع حاجياته..

أخبرنا رئيس المهجع أن المساعد قام بعملية تفتيش دقيقة شملت كل المهجع وتسببت في هذه الفوضى، ولما تفقدنا حوائجنا تبين لنا سرقة مبالغ كبيرة من النقود وعدد كبير من الساعات أذكر منها:

- مبلغ 1350ل. س + ساعة يد إلكترونية للمعتقل محمد سعيد.

- مبلغ 900 ل. س + ساعة يد عادية للمعتقل أبو إبراهيم، كانت النقود في دفتر صغير أحمر اللون.

- مبلغ 500 ل. س للمعتقل أبو عبيدة.

- مبلغ 325 ل. س + ساعة يد أورينت للمعتقل مالك.

ولم يعثر لها على أثر رغم البحث الشديد، وبدا واضحاً أن فقدان هذه الأشياء ضمن المهجع مستحيل ونحن محصورون ضمن جدران أربعة، وفطن رئيس المهجع إلى أن المساعد كان خلال عملية التفتيش يدس يده في الثياب ويدقق في الجيوب، وأنه – أي رئيس المهجع- لم يكن يجسر على أن يرفع بصره إليه ليدقق ويعرف ماذا يفعل، ولكنه تذكر أنه شاهد الدفتر الأحمر الخاص بالمعتقل أبي إبراهيم في يد المساعد خلال التفتيش.. إذن فقد وضح الأمر وعرف السارق، ولكن دون أية فائدة فمن يستطيع الاعتراض على شيء تجاه كبير الجلادين؟

ولكن كبير الجلادين كان يعرف على ما يبدو أننا سنكتشف أمره، لذلك بادر هو وزبانيته إلى الهجوم علينا، فما شعرنا إلا والزبانية قد حضروا وفتحوا باب المهجع ودخلوا علينا وأخذوا يجلدوننا بعنف وقسوة.. كان على رأسهم كبير الجلادين يحمل بيديه الاثنتين عصاً غليظة طويلة أخذ يضربنا بها.

الحلاقة

فوجئنا اليوم 1980/10/8 بالزبانية وقد أتوا إلى مهجعنا وهم ثائرون، فصرخوا فينا وفتحوا باب المهجع وأمرونا بالخروج بسرعة.. فخرجنا نعدو ونحن لا ندري أي مصيبة تنتظرنا.. وفي الباحة وقفنا في صف عند أحد الجدران واحداً واحداً ووجوهنا إلى الجدار، وأخذوا ينقضون علينا ويضربوننا ويأخذون بعضنا فيوقعون بهم أشد العذاب، خلال ذلك وقع أحد المعتقلين على الأرض مصاباً بحالة تشنجية عصبية فهو يضطرب ويختلج.. وجاءه أحد الجلادين وأخذ يضربه ويرفسه ويصرخ فيه ويسبه، ثم صرخ فينا قائلاً: مين كلب منكم دكتور؟ فلم يرد عليه أحد، ثم صرخ قائلاً: اثنين يشيلوه عالمهجع.. فحملناه إلى المهجع وأخذنا نحاول إنعاشه، ثم جيء بمعتقل آخر مغمى عليه فوسد إلى جانب الأول وبقيت مع اثنين آخرين نعتني بهما حتى انتهت حفلة العذاب، وجيء بزملائنا فأدخلوهم إلى المهجع، فلما رأيناهم تبين لنا أنه قد حلقت رؤوسهم ووجوههم، وأي حلاقة! فقد كانوا مجرحين منهكين من الحلاقة والعذاب، فذهب كل يغسل جروحه ويداوي إصاباته..

وبعد أن هدأت الحال قليلاً أخذ كل يحدث بما لقي من العذاب والضروب وبما عانى من آلام.

قال الصيدلي (ع. م) ضربوني على يدي (15) كرباجاً وعلى رجلي مثل ذلك، ثم أخذوا يرفسونني، وأخيراً صعد على ظهري وأنا منبطح على الأرض جلاد ثقيل كالبغل وأخذ يقفز فوق ظهري ويدعس عليه.. أيقنت أن ظهري قد تحطمت عظامه وأنني لن أقوم بعدها أبداً، وكان هذا الأخ قصير القامة نحيف الجسم رقيق الحاشية يقول: ولكنني قمت بعد ذلك وأنا لا أكاد أصدق نفسي.

وقال الأخ المعتقل الأستاذ (أ. ع) تولاني جلاد فاجر أمرني أن أمد يديّ الاثنتين إلى الأمام وأخذ يضربني عليهما.. ولم أحص عدد الضربات لأنها كانت كثيرة، وكنت رغم الألم الرهيب أجبر نفسي وأمد يدي إلى الضرب حتى ملّني الجلاد ورفسني

وضربني وقال: انصرف بقى يا كلب. ويقول الأخ المعتقل: ولكن يدي قد عطبتا وأراني يديه فإذا بهما متورمتان زرقاوان مجرحتان.

وحدثني الأخ (م. خ) من قرب دمشق قال: ابتليت بجلاد رهيب ضربني على يدي حتى كلّ ثم ألقاني أرضاً، فضربني بالكرباج على رجلي حتى كلّ أيضاً، ثم صعد على ظهري يرفسني برجليه، فلما ضقت بذلك تحركت من ألمي فألقيته عن ظهري فاغتاظ مني وجاء يرفسني ويرفع رجله "بالبوط" الضخم ويوجه الكعب الحديدي وينزل به بقوة في منتصف ظهري حتى لقد ظننت أن ظهري قد كسر وأني لن أقوم حياً، ولكن لطف الله هو الذي أنجاني..

وكان زملاؤنا يتساءلون: لماذا لم تحلقوا أنتم الثلاثة؟ فنتبسم ونلوح بأيدينا ونقول: أنجانا الله من هذه المصيبة.. قال بعض الأخوة: ولكن كيف إذا شاهدكم الجلادون وأنتم بلا حلاقة، ماذا تقولون؟وكثرا الاقتراحات علينا كما أننا أخذنا نقلب الأمر على وجوهه ماذا سنقول للجلادين؟؟ وأي حجة تنفع عند هؤلاء المجرمين؟؟ ولكن المعتقل المهندس "بسام" اندفع يقول راداً كل الاقتراحات: لن نقول شيئاً.. "إن الله يدافع عن الذين آمنوا" فالله يدافع عنا..

وكان الرأي الفصل، وسلمنا أمرنا إلى الله، وقد أنجانا الله سبحانه.. ومضت الأيام ولم ينتبه الجلادون إلينا ولم يسألونا شيئاً عن هذا الموضوع.
يوم 1980/10/11 أبو بدر ورأسماله
كان أبو بدر لا يتوانى عن متابعة قراءة آيات القرآن الكريم، فهو يرتلها باستمرار مشغولاً بها عن كل شيء.. يرجو بها ويأمل ويدعو ويستغيث، وفي مختلف الظروف والأحوال تراه مستغرقاً مشغولاً بها عن كل شيء حوله.. مما يشغل الناس من خوف ورعب يشل التفكير.. والحواس.. وكانت الأحوال قاسية والأمور صعبة.. فالمهجع في حميا خوف ورعب دائمين، لا يكاد يهدأ أوراهما..

يبدأ الرعب قبل الفطور الذي تحدث فيه أمور أليمة وصور قاسية من العذاب والضرب، ثم تتوالى دخلات العذاب فلا تكاد تنقضي واحدة حتى تنتظر الثانية.. ولا تكاد تنقطع أصوات التعذيب وضرب الكرابيج وعويل المعذبين، فلا نسمع شيئاً من ذلك إلا اشتد علينا الأمر وأخذنا الألم والقهر وتهيأنا للمصيبة في أنفسنا..

ولا يكاد الشيخ أبو بدر (أسامة خواشكية) ينتهي من فطوره ويرد على بعض السائلين حتى يأخذه ما يأخذ الجميع من التحفز والقلق والخوف، فيبادر إلى لف معصميه بقطعتي قماش للوقاية من آثار الكرابيج وإلى آيات الله يتلوها.. وهكذا يعرض أبو بدر عن كل ما حوله من أحداث.. ومن خوف وقلق ورعب وينشغل بما هو فيه من تلاوة، فإذا جاءنا الجلادون، قام ولسانه لا يزال مشغولاً بالذكر والدعاء والاستغاثة، فإذا انقضى العذاب وذهب الجلادون وثبنا إلى أنفسنا، نرى أبا بدر ثابتاً

على قراءته وتلاوته فإذا أخرجته من جو القرآن بسؤال لم يبخل عليك بالجواب.. وتراه مطمئناً إلى رحمة الله.

قلت له مرة: ماذا تفعل طوال الوقت يا أخي أبا بدر؟..

قال: أشتغل برأس مالي..

قلت: وما رأس مالك هذا؟..

قال: ياسين، والواقعة، وتبارك ونوح وعم والنازعات.. وغيرها..

قلت: بارك الله لك في هذا الرأسمال، ورزقك منه أكثر وأكثر..

قال: أما الآن فلا أستطيع الحفظ في هذه الحال.. نسأل الله اللطف.

وقال أبو مصطفى: جيد أنك تستطيع القراءة يا أبا بدر، فإنني والله لا أستطيعها خاصة في حالات الشدة والخوف ولكني أسبّح الله وأدعوه دون انقطاع..
الحمام
كل شيء في سجن تدمر العسكري مسخر لتعذيب المعتقلين وإرهابهم حتى الحمام! فبعد أن مضى علينا في سجن تدمر هذا قرابة شهر ونصف لم نر فيه الحمام ولم نتمكن من الاغتسال إذا بزبانية السجن يأتوننا في 1980/10/13 ليقودونا إلى الحمّام، فتحوا باب المهجع وصرخوا فينا: "بالشورت يا كلاب" ثم أمرونا بالخروج وبعد أن قاموا بتعذيبنا وضربنا مدة طويلة في الباحة أجبرونا على كنس أرضها المحفرة بأيدينا العارية تحت الضرب الشديد أخذونا إلى ما يدعونه (الحمّام) وهو مكان في زاوية الباحة التي تقع مهجعنا فيها، وكان هناك عدد من الكابينات لا يجاوز عددها العشرة فوقها صنابير مياه، فأمرونا بالدخول إليها للاستحمام، ولكنهم لم يتركونا سوى دقيقتين أو ثلاث ثم صرخوا فينا آمرين بالخروج، وهجموا علينا يضربوننا ونحن نركض باتجاه المهجع، وقد وقع بعضنا على الأرض تحت سياط الجلادين فياله من حمّام؟
يوم 1980/10/12
جاء الزبانية وفتحوا باب المهجع لإدخال الفطور فلما خرج اثنان من المعتقلين لإدخال طعام الفطور انقضوا عليهما وضربوهما، ثم دخل الزبانية إلى المهجع وضربوا عدداً من المعتقلين وهم يسبون ويشتمون بألفاظ قبيحة، ولم يكن طعام الفطور سوى بضع علب جبنة محفوظة وكمية قليلة من الشاي كانت حصيلة أحدنا منه لا تتجاوز قطعة واحدة مثلثية من جبن (لافاجكيري) وكأس صغير من الشاي البارد.

وكنا نود لو تركنا الزبانية من شرهم فلا نريد منهم أي طعام..

زيارة

زار مهاجع السجن اليوم ضابط ذو رتبة كبيرة رجح بعض المعتقلين أن يكون مدير السجن نفسه، وكان محاطاً بعدد كبير من الحرس الخاص، وما كانت زيارته إلا لضرب المعتقلين وتعذيبهم بنفسه.

فتح باب المهجع ودخل المساعد رئيس الجلادين ومعه عدد كبير من الجلادين، توزعوا في أرجاء المهجع ثم دخل الضابط وحوله عدد كبير من الحرس الخاص يحيطون به، وتولى المساعد تقديم الصف منادياً: (استارح، استاعد، تهيأ).

وأخذ الضابط يمر بالمعتقلين فيسأل كلاً منهم عن سبب اعتقاله ثم يشتمه ويضربه، بينما يقوم اثنان من الحرس الخاص بالإمساك به والمعتقل مغمض العينين، جامد مستسلم لقدر الله.

وكان نموذجاً من القسوة والدموية، حيث كان يهدد المعتقلين بالشنق والقتل.

يوم 1980/10/16

وقع المحذور الذي كنا نتوقاه جهدنا، فقد ضبط الرقيب عدداً من الأخوة المعتقلين وهم يذهبون تباعاً إلى المرافق، فصرخ فيهم وسب وشتم وتوعدهم قائلاً: (الصبح بفرجيكن يا.. يا حقراء).

وجاء الزبانية فأخرجونا جميعاً إلى الباحة، وضربونا وعذبونا طويلاً كان الأمر خطيراً أنمنع من الصلاة؟

يوم 1980/10/17

خلال حفلة عذاب التنفس هجم عليّ الجلاد وأخذ يضربني على رجلي وجسمي وكان بجانبي أبو عبدو، وإذا بعدد من الجلادين ينقضون عليه ويضربونه ويعذبونه ويتناوبون على ضربه، فإذا وقع أقاموه وكلما ضربه واحد منهم تلقاه آخر.. حاول الفرار منهم ولكنهم أمسكوا به وما زالوا به حتى أنهكوه وحينما دخلنا المهجع بعد نهاية حفلة عذاب التنفس، كان الأخ أبو عبدو في حالة سيئة.. كان يلهث بقوة والكدمات تملأ وجهه، كما تبين لي أن الزبانية قد ضربوا الأخ المعتقل أبا أحمد حتى وقع مغشياً عليه، وأدخل محمولاً بأيدي زملائه.

وكان من الزبانية عريف يدعى (شعبان) كان يحمل بكلتا يديه عصا ضخمة يحطم بها المعتقلين، وقد ضرب المعتقل أبا موسى وهو شاب رياضي مفتول العضلات بالعصا على صفحة وجهه ضربة قاسية ألقت به أرضاً.

النقيضان

أمر يشتد له العجب ويثير في النفس الاستغراب والتساؤل كيف؟ ولم؟.. كيف يتواءم الضدان ويتوافق المختلفان؟ ضيق وكرب وعذاب نعيشه نحن المعتقلين هنا في سجن تدمر العسكري الصحراوي منقطعين عن الدنيا جميعها وعن الناس كلهم

ضمن المهجع.. والباب الحديدي مغلق أربعاً وعشرين ساعة في اليوم لا يفتح إلا لهجمة شرسة أو حفلة عذاب رهيبة، وقد آلى جهاز السجن على نفسه أن لا يترك للمعتقلين ساعة من الراحة والأمان في ليل أو نهار، وأن يملؤوا حياتهم عذاباً وإرهاباً وقهراً، حتى عششت الرهبة والقلق والتوتر في جو المكان وفرخت، وعاد السجن وباحاته ومهاجعه ميدان عذاب وإرهاب لا ينقضي، تنبض نسماته بالعذاب وتصطفق أبوابه بالرعب ويمتلئ جوه بعويل المعذبين وأنات البائسين.. فما تنقضي محن المعتقلين فيه، كأن أيامه ظلمات بعضها فوق بعض والمنقذ الوحيد للنجاة هو الموت.

في هذا المكان الرهيب وفي هذا الجو القاتم توجد طيور صغيرة الحجم ندية الصوت كثيرة الحركة والتنقل، إنها العصافير تستيقظ باكراً لتسعى وراء رزقها دون هم ولا غم، تشدو بأصواتها الجميلة مع بعضها ويعلو صياحها ثم يتفرق كل إلى حالة آمنة مطمئنة سعيدة فرحة تبني أعشاشها وتضع بيضها وتربي أفراخها، فهي في اجتماع وانتشار وتناج وصياح وغدو ورواح في حياة هانئة وأصوات فطرية وحركات ممتعة مسلية.

كيف يجتمع المتناقضان ويأتلف الضدان: الخوف والأمان، في هذا المكان؟ إلا أن الله في خلقه شؤوناً!

أيتها الطيور الصغيرة الوادعة، ما أسكنك في هذا المكان.. العاتي الرهيب حيث القهر والآلام والأحزان لا تنقضي، حيث الظلم والتجبر، حيث الموت بصورته الكالحة.. حيث انقلب بعض بني البشر ذئاباً ووحوشاً مفترسة وحيوانات مؤذية، أفاعي وعقارب تلدغ وتعض وتنهش أليس لك أيتها الطيور الوادعة في غير هذا المكان حياة؟ أم أنك لنا سلوى وتعزية؟

غارات وقمل

لم يكتف زبانية سجن تدمر بما يوقعونه بنا من عذاب طوال ساعات النهار، بل تفتقت أذهانهم عم صور أخرى للعذاب ينزلونها بنا في أواخر الليل وتحت جنح الظلام.

فوجئنا ليلة البارحة بأصوات صراخ وعويل جماعي ينطلق فجأة من أحد مهاجع السجن القريبة، رغم أن الوقت كان بعد منتصف الليل، وغلت الدماء في عروقنا غضباً وقهراً من هذا البغي والعدوان الذي يمارسه الزبانية الأنذال، الذين لم يكتفوا بكل حفلات العذاب اليومية فجاؤوا في الليل يعذبوننا وينغصون علينا هذا الوقت القليل الذي نرتاح فيه من بغيهم وفجورهم.. وكان الأعجب من كل ذلك ما ذكره أحد المعتقلين من أن أحد الجلادين قال مهدداً: (ظبطوا يا كلاب بدنا نجيكم غارة ليلية).

اكتشفنا منذ بضعة أيام أن القمل منتشر بين المعتقلين في مهجعنا وبكثافة كبيرة.. كان ذلك مقرفاً حقاً ولكنه واقع حاصل لا يمكن إنكاره، كثر الحديث بيننا عن أسباب وجود القمل ومصدره، وتبين لنا أن السبب هو ما نحن فيه من تضييق وحرمان من

وسائل وإمكانيات النظافة والاغتسال، وأن هذه الحال تحتم وجود القمل وانتشار مختلف الأمراض السارية.

وكانت الوسيلة الوحيدة الممكنة لمكافحة القمل هي "التفلية" حيث يقوم كل منا بخلع ملابسه والبحث عن القمل فيها والتخلص منه، وكنا نجد القمل وقد تغلغل في طيات الثياب وهو منتفخ البطن بما امتص من دم، ثم تبين لنا انتشار نوع آخر من القمل بيننا هو قمل العانة (ضبوع) وهو قمل من نوع آخر لا يصيب إلا منطقة العانة وما حولها، حيث يلتصق بأصول الشعر ويضع بيوضه عليها، ولم يكن من السهل معالجة هذا النوع من القمل، لأنه كان أشد سوءاً من سابقه.

العيد

كان يوم 1980/10/20 هو أول أيام عيد الأضحى المبارك، أمل بعض المعتقلين أن يذكر العيد بمعانيه السامية طغاة بلادنا بلزوم وضرورة الصفح عن المعتقلين الأبرياء، ولكن خاب فألهم، فها هم الزبانية لا زالوا على ماهم فيه من بغي وشر لم يلتفتوا إلى العيد، ولم يفهموا من معانيه السامية شيئاً.

وفي الساعة الثانية ظهراً جاء زبانية السجن إلى مهجعنا لإجراء التفقد اليومي ولإدخال طعام الغداء، وحينما خرج اثنان منا لإدخال طعام الغداء ويسمونهما (السخرة) ضربوهما بعنف، ثم دخل الزبانية المهجع، وبينما كان الرقيب يعدنا كان نفر من الزبانية مندفعين في تعذيبنا ثم أخذوا اثنين من المعتقلين: الأول رقيب سابق في الجيش ويدعى مبارك، والآخر فران في مدينة ساحلية، وأخذوا يتفننون في تعذيبهما، ثم أجبروهما على غمس رأسيهما في (الشاكرية) وهي لبن مغلي كان لا يزال شديد الحرارة، وبعد خروج الزبانية بادرنا إليهما وغسلنا رأسيهما بالماء، فأما الأول فقد سلق جلد رأسه باللبن المغلي وتنفط ثم أخذ بعد ذلك ينز بالماء والقيح وكان الأخ المعتقل يشعر بآلام شديدة وبقي مع ذلك دون علاج.

أما المعتقل الثاني فقد أصيب وجهه ببعض الحروق، وحمى الله عينيه من الأذى، كانت الإصابات التي تقع بنا من الكثرة بحيث اعتدنا أن نتوقعها في كل حين، ونبادر إلى تشجيع المصاب وتثبيته، وكنا نعتبر أن هذه الإصابات أوسمة فخار لا ينالها أي واحد، هكذا بسهولة، وأنه سيكون لها الوزن الراجح في ميزان العدالة الربانية، فهي الأجر في الآخرة والعافية والسلامة في الدنيا بإذن الله.

بعد تناول طعام الغداء البسيط، جلس كل منا في مكانه وقام بعض الأخوة يوزعون "دوسير العيد" وهو مقدار يسير من الفاكهة شبه الفاسدة، وكانت حصة المعتقل حوالي نصف موزة وبضع حبات من العنب وجزء من تفاحة.. كان هذا يذكرنا بالفاكهة المحرمة علينا في هذه الأيام والتي لا نرى منه إلا ما يذكرنا بها فقط، أو ما يمكن أن يستعمل للشم (شم ولا تذوق).

ورغم كثرة وإحاطة البلاء بنا في سجن الموت في تدمر، ورغم بعدنا عن أهلينا في هذه المناسبة الكريمة، التي يلتقي فيها الأحباب، فإننا شعرنا بالرضى والاطمئنان يغمران قلوبنا، حتى كنا نشعر أننا في كنف الله وتحت ظل رحمته، مغمورين بلطفه وكرمه، محاطين بعنايته سبحانه، وشعرنا كأن فيضاً من السعادة يحيط بنا، حتى تمثلت بقول الله سبحانه: "إخواناً على سرر متقابلين) دون أن أستطيع تحديد مبعث ذلك أو مصدره، أهو السعادة بمجالسة الأخوة والأحباب أم هو الشعور بالأمان أم هو روح من عند الله غمر ذلك المكان التعيس البائس، فأحال وحشته أنساً، وظلمته ضياء، وضيقه سعة ورحابة، فالحمد لله على كل حال..

الظلم والغيرة الإلهية

الجلادون في سجن تدمر العسكري لا يقيمون للخير والصلاح وزناً.. ولا يعيرون انتباهاً لكرامة كريم أو كبر مسن.. أو ضعف مريض.. أو حرمة بريء مسكين، فهم قساة، غلاظ.. عتاة.. وأسيادهم يؤزونهم ويمدونهم في الغي ويزينون لهم عمل الشر والفساد.. سلبوا إرادتهم وشوهوا أفكارهم، ووجوههم إلى ما يريدون من أغراض دنيئة.. والحكام المتسلطون على رقاب العباد بالقهر يعبثون في الأرض والبلاد ظلماً وفساداً، لا إيمان يضبطهم ولا أخلاق تردعهم، ولا شرف ولا ضمير ولا مروءة.. همهم الكرسي.. والمال.. والزيف.. والضلال.. والمعتقل المسكين ليس له –في سجن تدمر العسكري- قيمة أو اعتبار ولا حرمة ولا كرامة ولا حقوق، فلا حق للمعتقل في التملك ولا في العيش ولا الطعام ولا الأمان، ولا حق للمعتقل في أي شيء..

فقد كل ذلك على عتبة السجن، وهو داخل ومجرد بقائه حياً إنما هو تفضل (غير مقصود) لأنه لم يمت حتى الآن.. ولأن جهاز السجن والمسؤولين، غير مهتمين أصلاً بقتله فوراً.. لأنه ليس مثيراً له من جهة.. (ولو كان لقتل رغم أنفه.. شنقاً حتى الموت أو عذاباً).. ومن جهة أخرى أنه يبقى رقماً في الحساب.. الذي يجب أن يصفى.. عن قرب، التصفية هي الأساس تصفية هؤلاء وهذه الرؤوس وما تحتوي من أفكار.. لقد كان هؤلاء المعتقلون يرفعون الرأس عالياً.. ويتحدون.. بأفكارهم ومنطقهم وإيمانهم.. معتزين.. متفاخرين، فلئن لم يستطع الطغاة قهر الفكرة بالفكرة فسيقهرونها بالكرباج والبطش حتى تنمحي وتزول.. هكذا يظنون.

إن الطغاة يعبدون المادة ويرون أن القوة هي الأصل فيجب أن تحترم وتقدس.. أما ذلك المسكين الذي أوقعه سوء حظه في أيدي الطغاة ولم يعرف كيف يتملقهم ويسبح بحمدهم ويمجد سلطانهم، فسيعرفه الكرباج قيمته وسيعلمه العذاب والخوف والجوع هنا في سجن الموت كيف ينحني ذليلاً صاغراً أمام القوة الغاشمة وليأكل مبادئه وليخلصه تدينه وربه، لقد قالها الطغاة وأعلنوها بكل صفاقة وتبجح وغل.

قالوا: سنجعل المعتقل حيواناً أعجم تحركه الغرائز فقط فيها وحدها يجب أن يعيش.

أحد الرقباء النابهين، حفظ عن أسياده حديثاً شجياً، ففي الحلاقة وبينما هو وزملاؤه الجلادون في أوج انبساطهم يضربون ويعذبون المعتقلين، قدح زناد فكره وأخرج للمعتقلين مكنون سره فقال يبين لهم كيف سيعيشون وكيف يتصرفون.. وما يراد بهم ومنهم. فقال: (لا نريد منكم عقولاً ولا أفهاماً إنما نريد غرائز فقط.. سيدكم هنا أبو سمرة الكرباج وأخوه الدولاب).. ثم أمر عدداً من المعتقلين أن يقبلوا الكرباج باحترام وتقديس..

نظام سجن تدمر العسكري لا يعترف للمعتقلين فيه إلا بأنهم أرقام لا أسماء لها، ويهتم بإعطائهم قسطاً وافراً من العذاب يومياً في الصبح والضحى والظهر والمساء وما بين ذلك لا يقر نظام السجن للمعتقلين بأنهم بشر أحياء ولا أنهم متهمون أبرياء حسب القاعدة التي يرددها بعض الأغبياء في العالم من أن (المتهم بريء حتى تثبت إدانته)!! بل هو قد طور هذه القاعدة إلى (أن المتهم مدان يجب تصفيته) نظام تدمر يحرم على نزلائه الأمان والراحة.. ويحرم عليهم الكلام والنظر ويحرم السؤال والحركة ويحرم الاحتجاج على تصرف الجلادين.. فتصرف الجلادين قانون نافذ.. ونظام السجن يعتمد على الكرباج والدولاب والعذاب والإرهاب وغاية نظام السجن.. المعلنة الواضحة هي تحطيم السجناء وتصفيتهم، بعيداً عن الأعين، ومن ناحية أخرى فإن نظام السجن ثوري استمد ثوريته من بين صخور الجبال الساحلية العالية، فهو لا يلتفت إلى كل ما وهبه الله للإنسان من كرامة وما حباه من نعم، وما جعل له من حقوق وحرمات، فكلها في اعتبار الطغاة من المخلفات والمعوقات حتى غدا التنفس في سجن تدمر (قطعاً للنفس).

يخرج الجلادون المعتقلين للتنفس في الباحة بالدور ومهجعاً وراء مهجع ومدة التنفس من 20 – 30 دقيقة ومعلوماتنا عن التنفس والنظام والجلادين والعذاب تجعلنا حتى في وقت الهدوء خائفين قلقين كيف لا.. والكرباج لا يغيب من أيدي الجلادين.. فإذا أخرجنا إلى الباحة سارعنا راكضين مطرقين تدور (حسب الأوامر) في جنبات الباحة أو نجلس القرفصاء متراصين منحني الظهور دون حركة أو همسة.. الجلادون يضربوننا بقسوة لا يرحمون.. ومن أصيب فبقدره ومن قتل فقد انتهى أجله، وينال القاتل الثناء ويحيا بالإكرام والمنح..

وفي هذا الوقت تطول الدقائق والثواني ويصبح لها قيمتها ذكراً واستغاثة عذاباً وإرهاباً وصبراً واحتساباً..

أتأمل الأرض أمامي وأرى حبات الرمل وأطراف الجدران السفلى، أي وضع غريب نحن فيه؟ وأي ظلم هذا الذي يقع بنا؟ ولكنني أشعر أن الله معي، بل إن كل شيء في هذا الكون معي.

حبات الرمل معي.. تحدثني وتؤيدني وتغضب لي بل لنا أجمعين، فحبات الرمل هذه ليست ظالمة لو كانت مخيرة لما رضيت أن تكون في جدار يحجز الناس عن حياتهم

وعن معاشهم ظلماً وغشماً ولكنها مسيرة، فلو نطقت لاحتجت ولملأت الدنيا صراخاً وأعلنت احتجاجها على الظالمين، وتأييدها للأبرياء المستضعفين، ولو استطاعت أن تكون قذيفة حق قاتلة، لوجهت نفسها إلى رؤوس الجلادين وأسيادهم المجرمين فحرقتها، وقامت بواجبها في ضرب الباطل المتبجح حتى تذيقه الصغار والمحق.

وهذه الجدران والأحجار التي فيها تحتج على ما استخدمت فيه من طعن الأبرياء تحتج على موقعها.
يوم 1980/10/27
في الساعة الثامنة صباحاً بدأت عمليات الحلاقة في باحتنا، وباحتنا هي المكان الذي اختاره الزبانية لهذه العمليات، حيث يجلبون إليها نزلاء المهاجع على التوالي، فيجرون لهم الحلاقة وعذابها في هذا المكان، لأن باحتنا هذه بعيدة عن أطراف السجن المواجهة لمدينة تدمر، وبالتالي فإن أصوات العذاب وصراخ المعذبين يكون أبعد عن أسماع الناس في الخارج.

ولكن دور الحلاقة وصل اليوم إلى مهاجع باحتنا، وبدئ بالمهجع رقم (8) ونشطت عمليات التعذيب وأخذنا نسمع أصوات المعذبين وهم يصرخون متألمين مستغيثين بأصوات تمزق القلوب، وكنا نعيش معهم في قهر وعذاب شديدين، وكان الدعاء هو متنفسنا الوحيد، فكنا ندعو الله سبحانه ونفزع إليه ونستغيث به، نستعجل قضاءه في الظالمين وانتقامه منه المجرمين، وفرجه للمستضعفين، وكان جميع الأخوة في المهجع على لسان واحد، يدعون ويستغيثون في إلحاح وتبتل، كما أننا هيأنا أنفسنا للعذاب، فلبسنا كل ما لدينا من ثياب، ولف الأخ أبو بدر معصميه بقطعتي قماش، كل ذلك استعداداً لحفلة العذاب التي تقترب منا. أخذت أتجول في أطراف المهجع وأنظر من خلال قضبان النوافذ الحديدية إلى السماء الزرقاء بألم، وكنت أقول لنفسي: ها هنا يصنع الرجال فكما تصهر النار المعدن وتنقيه من خبثه، فإن المحن والشدائد تصقل القلوب وتنقيها من خبثها وتخرجها نقية صافية..

كان حفل العذاب في الباحة لا يزال على أشده، وصراخ المعذبين ونهر الجلادين مستمران، وصوت الكرباج اللعين كأنه مطارق ثقيلة تدق برتابة، وكانت أيدي الأخوة المعتقلين مرفوعة إلى الله يدعونه بحرارة، ودموع الرحمة والألم والقهر تنهل من عيونهم وتداعى إلى ذهني شطر بيت من الشعر انطلق به لساني: دأبي التوسل حاشا أن تخيبني، فأخذت أردده غي استغراق..

بدا في السماء صفاء غريب أخذ يظهر من بعيد كأنه نور يطل على الوجوه، شعرت بالسكينة تغمر كل شيء، وأحسست بالرضا والطمأنينة بذكر الله.

كان في الباحة فتى يعذب وهو يصرخ: (أنا بدي أموت) ورجل كبير السن يصرخ متألماً مستغيثاً: (دخيل الله، دخيل الله) وفجأة سكتت الأصوات وانقطع صوت الكرباج وتوقف حفل العذاب..

وجاء دورنا في الحلاقة فأتى الزبانية إلينا وأخرجونا إلى الباحة وقال أحد الجلادين: لا تخافوا ما في قتل. ولم نصدق آذاننا، وقد عشنا أكثر من ثلاث ساعات مع عذاب إخواننا، ولكننا شاهدنا الكرابيج ملقاة على الأرض ودسناها بأرجلنا العارية، وكبرنا في سرنا (الله أكبر، الله أكبر) ومرت تلك الحلاقة بسلام دون عذاب لأول مرة ولآخر مرة أيضاً دون أن ندري لذلك سبباً.

يوم 1980/11/1

تبدلت عمليات التعذيب وتباعدت شيئاً ما وأخذنا نراقب ما يجري، كان هناك تبدل في المعاملة، ولكن عمليات التعذيب لم تقف إنما تبدلت صورتها، حيث صار الزبانية يتخيرون من يروق لهم من المعتقلين خلال التنفس أو غيره، فيضربونه ويعذبونه أو ينقضون علينا في هجمات منكرة فيضربون هنا وهناك. وكان بطل عمليات التعذيب في هذه الأيام العريف الحاقد الجلاد "شعبان" صاحب الصوت الأجش الذي لا يهدأ له أوار، ولا ينطفئ له حقد، وكان يتخير من بين المعتقلين كل من يعتقد أن له مكانة أو فضلاً، ويوقع به أشد العذاب، وهذا جزء من خطة غسيل الدماغ والتصفية الجسدية في سجن تدمر.

يوم 1980/11/11

أيقنا أن ما يجري في السجن من تبدل في المعاملة ومن شدة عذاب وقسوة إنما هو وليد أهواء متقلبة يسيطر عليها حقد غريب ومرض نفسي عجيب، فبعد هدوء نسبي اشتدت حميا الزبانية للعذاب وللإيذاء فجأة، فما سنحت لهم فرصة إلا وانقضوا علينا كالوحوش الكاسرة يضربوننا أشد الضرب غير السباب الفاحش البذيء والتهديد والوعيد.

ليلة البارحة جاء الزبانية في أول الليل ودون أن يفتحوا باب المهجع صرخوا فينا وسبونا وشتمونا وأمرونا بأن نقف باستعداد ونرفع أيدينا إلى الأعلى ونبقى كذلك والويل لمن يخالف هذه الأوامر، وهكذا أمضينا الليل كله ونحن على تلك الحالة، والزبانية يمرون ليراقبونا وليوسعونا سباباً وفحشاً.

وكانت تلك الوقفة عملية تعذيب شديدة مؤلمة تورمت بسببها أرجلنا وأنهكت أجسامنا، ولكننا انتهزنا الفرصة لتلاوة القرآن، والإكثار من ذكر الله ومن الدعاء والاستغاثة.

وفي الليلة التالية منعنا الزبانية من النوم أيضاً، وأجبرونا على الوقوف في صف خماسي وسط المهجع، وأخذوا يراقبوننا ويتجسسون علينا ليضبطوا من يجسر على الجلوس، وقبل منتصف الليل شعرنا بالزبانية يتلصصون علينا، فلم نعبأ بهم، فاندفع أحد الزبانية يصرخ من النافذة الصغيرة الموجودة في الباب (الشراقة): ولك حقراء والله لأفعل، وأخذ يقذف بالكلام الفاحش الرخيص ويهدد ويتوعد (والله لأعدمكن يا منحطين يا كلاب، ولك والله لأشرب من دمكن.. ولك المشانق جاهزة يا حيوانات، ولك الكلاب ماعم تأكل جثثكم يا حقراء) وكان يشدد في كلامه ويصر على أسنانه

وهو يقذفنا بهذا الكلام مظهراً ما في قلبه الأسود من الغل والحقد الرخيص! كان بريق الدم يلمع في نبرات صوته كأنه وحش جائع يبحث عن فريسة.
يوم 1980/11/20
كان اندفاع الزبانية إلى الشر وما يظهر منهم من حقد وغل وفجور يوحي بأن وراء الأكمة ما وراءها، ولكن مهما بيتوا لنا من شر وغدر فإنا لم نكن نبالي بهم ولا بما يبيتون، لأننا وطّنا أنفسنا على التسليم لقدر الله، وصار الموت في سبيل الله هو أقصى ما نتمناه خاصة وأن فيه الخلاص من بلاء السجن وبغي الزبانية الأنذال.

جاء زبانية السجن في أول الليل والظلام قد خيم على الوجوه، فقرعوا باب المهجع بضربة كرباج قوية دوى لها المكان، وصرخ أحدهم: (ولك عرصات، اسمعوا، اللي بيطلع اسموا بقول حاضر)، وقرأ قائمة طويلة من الأسماء تزيد على ستين اسماً، كان من بينها أسماء ثمانية من الأخوة المعتقلين في مهجعنا، وأسماء سبعة وثلاثين معتقلاً من المهجع المجاور (كما علمنا بعد ذلك) وقال الجلاد لمن نودي بأسمائهم: (حضروا حالكن ولك، بكرة عندكن محاكم).

فالتبس الأمر علينا لأننا فيما نعلم قد عرضنا جميعاً على المحكمة الميدانية في معتقل كفرسوسة بدمشق والتي كان قاضيها النقيب سليمان حبيب، ولكنه لم يبلغ أياً منا أي حكم إنما كان كلامه مجرد تهديدات خفية، وإشارات عابرة، حتى ظننا أنه ربما تجري محاكمتنا هذه المرة بصورة أخرى تكون أكثر واقعية، ولعله أن يكون فيها شيء من الإنصاف والعدالة. كانت الوصية الأولى لهؤلاء الأخوة هي أن يكشفوا للمحكمة المزعومة ما جرى معهم سابقاً من عذاب، وما استخلص عناصر المخابرات منهم من اعترافات بالإكراه، ثم ما يجري هنا في سجن تدمر من ظلم وبغي وإجرام، كما أوصيناهم أن يسربوا ما استطاعوا من أخبار السجن وما يجري فيه، إلى الناس، ليعرفوا وليدركوا ما يرتكب في حق أبنائهم من سوء.

حضر أولئك الأخوة المطلوبون أنفسهم ولبسوا ثيابهم وصرّوا الأغراض القليلة التي كانت لديهم استعداداً للرحلة المجهولة.. تسحّر أغلبهم ونووا الصيام وقاموا يصلون..

وفي الساعة الرابعة صباحاً قبيل الفجر جاء الزبانية ففتحوا باب المهجع وطلبوهم، فربطوا أيديهم وعصبوا أعينهم واقتادوهم خارج المهجع.

ومع أنه بدا لنا في حينه أن هؤلاء الأخوة مأخوذون للمحاكم من أجل محاكمتهم، ومثل هذا يعد نصراً كبيراً خاصة إذا كان في المحكمة ظل عدالة، إلا أن قلوبنا كانت منقبضة جداً، وبكينا لفراق هؤلاء الأخوة وللمجهول الذي كان ينتظرهم.

كانت هذه المحاكم لغزاً لم نكتشفه إلا بعد مدة طويلة، وبعد أن حاول كثير من الأخوة المعتقلين التغطية عليها إشفاقاً على إخوانهم، ولكن الحقيقة المرة تكشفت وظهرت بجلاء ووضوح، فكان من يطلب بعد ذلك باسم "محاكم" يدرك أنه ذاهب للقاء

ربه، فيودع إخوانه وهو ثابت الجنان ووجهه مشرق بالابتسام، ولسانه يترجم عن قلبه: يا مرحباً بلقاء الله.
يوم 1980/11/23
ثلاث دفعات من المعتقلين تصل إلى سجن تدمر أسبوعياً على الأقل، ويتلقاهم زبانية السجن بوسائلهم الجهنمية، فينظمون لهم حفلات العذاب والتحطيم، ويرتفع صراخ المعذبين واستغاثتهم على مدى ساعات طوال تشمل أحياناً غالب النهار وبعضاً من الليل.

اليوم ومنذ الفجر بدأت حفلة العذاب لمجموعة من المعتقلين القادمين حديثاً إلى سجن تدمر، واستمرت حفلة العذاب حتى منتصف النهار، والزبانية ماضون في سوء ما يصنعون، لا تصل أصوات المعذبين واستغاثاتهم إلى آذانهم ولا تؤثر في قلوبهم المتحجرة بل على قلوبهم أكِنّة وفي آذانهم وقر، وفي بصائرهم عمى فهم لا يبصرون، فقدوا طبعهم البشري وحسّهم الإنساني، وغدوا آلات صماء عمياء، فكم حطموا من فتى ماجد مؤمن، وكم اعتدوا على رجل مسن كريم فاضل، وكم عذبوا من طفل أو غلام رقيق وادع، وكم أهانوا من عالم جليل وكسروا عظامه وأحرقوا لحيته، وكل ميزة خيرة يتميز بها المعتقل سواء أكانت هذه الميزة شهادة عالية أم منصباً رفيعاً أو درجة علمية أو صفة صلاح وتقى، فإن لها عند زبانية سجن تدمر تأثيراً عكسياً، فبدلاً من تقدير صاحب الميزة واحترامه عليها فإنهم ينقضون عليه ويعذبونه أشد العذاب، وكأن ميزته هذه ذنب اجترحه حتى أن الزبانية يزيدون في عذاب المعتقل الطويل لطوله والقصير لقصره، والبدين لبدانته وعلى هذا فقس، مما لا يفطن له إلا إبليس في أحكامه.

كنا ننتهز فرصة ابتعاد الزبانية عنا فنتحدث فيما بيننا همساً، ويتعرف كل منا على قصة أخيه وكيف اعتقلته المخابرات، وعن السبب الذي أدى به إلى الاعتقال، ورغم أن أسباب الاعتقال كانت متفاوتة كثيراً وأن أغلبها تافه بسيط، فإن النتيجة كانت الإرسال إلى سجن التحطيم سجن تدمر.

ورغم تباين مستويات المعتقلين في مهجعنا من النواحي الفكرية والعلمية والنفسية والاجتماعية وغير ذلك، فقد صهرتنا المحنة في بوتقة الألم والقهر والعذاب والإرهاب، فصفت قلوبنا من الأكدار وتقاربت أرواحنا وتآلفت وتلاحمت في شعور واحد ونبض واحد، وهمّ واحد، فهي تعاني حرقة الألم ومرارة الظلم وحسرات القهر، وتعمرها حرارة الإيمان وعزيمة الثبات وصدق الإنابة إلى الله، مع الشعور بعناية الله ولطفه. واستمطار رحمته والتطلع إلى عدالته والأمل بفرجه ونصره
يوم 1980/12/4
قام زبانية سجن تدمر بعملية تجميع ضموا فيها نزلاء كل عدة مهاجع إلى بعضهم البعض، وذلك لأن أعداد المعتقلين في المهاجع قد تضاءلت بعد أخذ تلك الأعداد الكبيرة باسم (محاكم) ولأن زبانية السجن بحاجة إلى مهاجع فارغة يضعون فيها الأعداد الكبيرة من المعتقلين الذين يؤتى بهم إلى سجن تدمر لأنهم يحرصون أن لا

يخلطوهم بنزلاء السجن السابقين مدة من الزمن حتى يطبقوا عليهم برامج العذاب والتحطيم المقررة لهم.

وهكذا فقد ضم نزلاء مهاجع الباحة الثانية إلى بعضهم بعضاً، ووضعوا في مهجع واحد هو المهجع رقم عشرة، فارتفع العدد فيه من أربعين معتقلاً إلى مئة وخمسة عشرة معتقلاً، وقلّت حصة المعتقل من أرضية المهجع، ولم يعد هناك إمكانية للراحة في النوم أو غيره نتيجة الزحام الشديد.

زادت الكثافة كثيراً بعد عملية التجميع، وضاقت المهاجع بساكنيها، وفي مهجعنا كما في كل المهاجع نبتت مشاكل مختلفة وأشدها كان مشكلة المنافع والمراحيض، فكان الوصول إلى المرحاض أمراً صعباً، فكانت تحدث أزمات شديدة على المراحيض ابتداء من الاستيقاظ في الساعة السادسة.

من بداية الوقت يكون قد اصطف عدد كبير للوصول إلى المراحيض، ويمضي الوقت الساعة والساعتين وقد لا يصل الدور لكثيرين مما جعل الأمر مشكلة حقيقية ملحة.. حتى غسل الوجه واليدين أصبح مشكلة تحتاج إلى نظام وترتيب وانتظار.

وبات النوم عسيراً في هذا الزحام الشديد (ولم ندر أن ذلك الوضع على ما فيه من سوء وضيق ومشاكل يعد نعمة كبرى، لما سيصير إليه الحال بعد ذلك، وبالتحديد بعد نصف عام..).

وكان بعض الأخوة المعتقلين يقومون بضبط أمور المهجع وتنظيمها بروح أخوية خالصة، فهم يقومون بترتيب الدور للمنافع وتحديد صورته، كما يقومون بتوزيع الطعام، بعد أن تدخله السخرة من خارج الباب، وينظفون الأواني ويرتبون عمليات الغسل والتنظيف وغيره، وكان انضباط الأخوة وتعاملهم الأخوي وتحملهم لمختلف المضايقات والصعوبات آية في التعامل الحسن، فقد كانت روح الأخوة تحل جميع المشاكل وتتجاوزها.

2/1/1981

هلّ عام 1981 جعله الله عام خير وفرج ورحمة لبلادنا العزيزة وللمعتقلين في سجن تدمر وفي غيره من المعتقلات والسجون؟

الزبانية هذه الأيام لم يعودوا قادرين على التوغل داخل المهجع لضربنا وتعذيبنا، كما كانوا يفعلون سابقاً، وذلك بسبب ازدحام المهجع بالمعتقلين، ولكنهم كانوا يضربون السخرة التي تخرج لإدخال الطعام والمعتقلين القريبين من باب المهجع، كما ينتهزون مناسبات التنفس والحلاقة للاعتداء علينا بالضرب والعذاب، وصار التنفس يومين في الأسبوع والحلاقة أسبوعياً للوجه، وشهرياً للرأس، والحمّام أسبوعياً ولكنه كان حماماً بالاسم فقط.

12/1/1981

جاء زبانية سجن تدمر فطلبوا المعتقلين الأحداث مواليد 1963 وما بعد، فجمع هؤلاء الشباب أو الغلمان الصغار من بيننا، وكان في مهجعنا منهم حوالي خمسة عشرة غلاماً منهم عماد طالب في الصف التاسع، وأبو عبدو وعمره اثنا عشرة عاماً، وكانوا نشيطين مندفعين يتولون غالب أعمال الخدمة في المهجع، ويقدمون أنفسهم فداء لإخوانهم في حال العذاب، وكان هذا التقدير منهم لإخوانهم الكبار، وهذه الشجاعة والفداء مثار إعجابنا وفخرنا، حتى كنا ننظر إلى أنفسنا خجلين ونحن نراهم بهذا الثبات وهذه القوة، فأحزننا وأهمنا أن يؤخذ هؤلاء الأحباب من بيننا، وخاصة حينما علمنا أنهم سوف يوضعون في مهاجع خاصة وحدهم، فخشينا عليهم أن يصيبهم جراء ذلك مكروه في حياتهم ومعيشتهم أو في أفكارهم، وليس بينهم كبير ذو خبرة يرجعون إليه ويسترشدون برأيه، ولما لم يكن بأيدينا أن نصنع لهم شيئاً فقد سلمنا أمرنا إلى الله وسألناه سبحانه أن يتولاهم برحمته ويحوطهم بلطفه وعنايته، ويحفظهم من كل سوء.

20/1/1981

ظهرت منذ أيام إسهالات شديدة بين عدد كبير من الأخوة المعتقلين دون أن نعرف لها سبباً، سوى أن الطعام ملوث وغير نظيف..

أبلغنا مسؤولي السجن بما نعانيه، فكان رد الزبانية: (خليكن تموتوا يا كلاب) واشتد أخيراً المرض على عدد من المعتقلين منهم المعتقل مصطفى قاسمو، وهو رهينة عن أخيه المتواري، والأخ مصطفى راشد ذي النون الدمشقي وغيرهما، وغدا هؤلاء الأخوة نحيفي الأجسام شاحبي الوجوه.

21/1/1981

ترافق الإسهال الشديد بقيء متكرر لدى الأخ مصطفى راشد منذ البارحة، وساءت حاله أكثر واشتد عليه الدوار والدوخة حتى لم يعد يستطع القيام، فكان الأخوة يحملونه باستمرار إلى المراحيض ليتمكن من قضاء الحاجة، ولما أبلغ رئيس المهجع زبانية السجن عن حالة الأخ الخطيرة، كان جوابهم السابق ذاته: (خليكن تموتوا كلكم يا عرصات) وتفاقمت المشكلة أكثر حين لم يعد الأخ المريض يتمالك نفسه من التقيؤ والتبرز لا شعورياً ملوثاً ثيابه وأغراضه، وكان يشعر بألام وتيبس في مفاصله وأطرافه.

وفي المساء وحينما حلّ الظلام كان الأخ المعتقل مصطفى راشد ذي النون في سكرات الموت، وبلغ بنا الألم مبلغه فضربنا باب المهجع حتى حضر الحارس الذي على السطح فأبلغناه بأن أحد المعتقلين يموت، فسبنا وشتمنا وجاء الزبانية بعد مدة فأخبرناهم عن حالة الأخ فطلبوا إخراجه إلى الباحة، فحملناه على بطانية وأخرجناه إليهم وراقبناهم من وراء الباب المغلق، فتبين لنا أنهم لم يحاولوا إسعاف الأخ أو معالجته، وأنه ترك حتى مات ثم حمل من هناك إلى مثواه المجهول، فعليه رحمة الله ورضوانه، في الوقت نفسه كان معتقل آخر قد اشتد عليه القيء والإسهال حتى أنه لم يعد يتماسك نفسه تماماً.

أثارت وفاة المعتقل مصطفى راشد واشتداد مرض الإسهال والقيء على أخوة آخرين الأسى والقلق في نفوسنا، فها هو ذا الموت قد اختطف واحداً منا وهو في سبيله لاختطاف آخرين ما دام هذا المرض مستفحلاً بيننا دون أن يسمح لنا زبانية تدمر بأي علاج.

24/1/1981

إن وزر ما يجري في سجن تدمر ليس على الزبانية بشكل أساسي، بل إنه من تخطيط رجال السلطة الطائفيين، وما هؤلاء الزبانية إلا أدوات منفذة فقط.

أول البارحة وبعد أن اشتد مرض الإسهال والقيء على عدد من المعتقلين في مهجعنا، قرر بعض ذوي الخبرة الطبية من الأخوة المعتقلين أن ما نعاني منه ما هو إلا جائحة وباء الكوليرا، وأننا معرضون جميعاً لخطر الموت بهذا الوباء.. فقرر الأخوة إبلاغ مسؤولي السجن عن الوضع صراحة، متحملين ما قد ينالهم من بغي الزبانية واعتداءاتهم، ولكن الزبانية الجبناء أرعبهم وباء الكوليرا فلم يترددوا هذه المرة في استدعاء طبيب السجن وهو طبيب شاب حديث التخرج قليل الخبرة، فاستعان بطبيب آخر أكبر سناً وأكثر تجربة، وهو طبيب مستوصف مدينة تدمر، فجاءا وكشفا على المرضى واستجوبا عدداً منهم، وكانت كل الدلائل (التشخيص السريري) تشير إلى أن هذه الحالات وباء الكوليرا..

بادر الطبيبان باتخاذ بعض الإجراءات، فعزل المصابين بالإسهال مباشرة، وأعطى للمدنفين منهم -أكياس السيروم- إضافة إلى الدواء المناسب، كما أخذت مسحات شرجية لهؤلاء وأرسلت للمختبر ولكن توقفت اليوم كل هذه الإجراءات فجأة..

لماذا حدث ذلك؟ لم نكن نحتاج إلى كثير تفكير لندرك أن مدير سجن تدمر لم يرضه أن يعامل المعتقلون معاملة إنسانية، فأمر بإلغاء كل صورة من صور المعالجة الواقعية، والاكتفاء بالمعالجة الشكلية وبما يوزعه الممرض من علاج بسيط.

كان من ألوان العذاب التي أنزلها بنا زبانية سجن تدمر خلال الحلاقة أمس، إن الزبانية كانوا ينقضون على مجموعة المعتقلين الواقفين قرب الحائط للحلاقة، فيضربونهم بالكرباج واحداً واحداً ثم يتخيرون واحداً وراء الآخر فيأخذونه ويلقونه أرضاً وينزلون به ألوان العذاب والضرب، وقد أخذ الزبانية الأخ المعتقل أبا أنس فضربوه بقسوة حتى أغمي عليه نتيجة إصابته بضربات قوية على رأسه وجبهته، فأمر الزبانية بحمله إلى المهجع.

وأخذ الزبانية المعتقل أبا جميل وعمره (50) عاماً فضربوه وعذبوه ثم أخذوا المعتقل أبا عبد الرحمن وعمره (40) عاماً فضربوه أيضاً، ثم أوقفوهما تجاه بعضهما، وأجبروهما على أن يصفع كل منهما الآخر بالتناوب، وكان أبو جميل أصلع الرأس،

فكانوا يجبرون أبا عبد الرحمن على ضربه على صلعته، ومن قصّر في ضرب الآخر فيا ويله.

وكان الزبانية يطفئون أعقاب السكائر في رقابنا ووجوهنا، ويحرقون أصابعنا وآذاننا بقداحات الغاز.

وقد أطفأ أحد الزبانية سيكارته في عين الأخ المعتقل أبي مصطفى.

بعد انتهاء الحلاقة، أبلغ رئيس المهجع الرقيب (رئيس الزبانية) بأن المعتقل المصاب في حالة خطيرة، فصرخ فيه الرقيب بغضب: (خلي يموت.. لبوطي..) وكان الأخ أبو أنس لا يزال مغمى عليه، ولما صحا من إغماءته بعد مدة طويلة كان يردد بصوت ضعيف "الحمد لله.. الحمد لله" ولكنه بقي فاقداً للذاكرة مدة من الزمن، حتى منّ الله عليه بالشفاء رحمة منه سبحانه ومع كل ما نالنا في عمليات الحلاقة المرعبة الرهيبة، فإننا مطالبون بأن ندفع عليها أجرة محددة حسب العدد وإلا..

الكفر البواح
ألفاظ السباب الفاجر، والكفر والتجديف شيء عادي متداول لدى زبانية سجن تدمر وهم على ذلك معتادون، فهم لا يتخاطبون بينهم إلا بهذه الطريقة، بل أكد أحد الأخوة أن هذه الصورة من التعامل منتشرة في كثير من المواطن والبيئات في بلادنا، وخاصة في كثير من قطعات الجيش، فهذه خطة من الإفساد يرعاها ويدعمها طغاة بلادنا.

كان الزبانية خلال عمليات العذاب يسوموننا بها يجدفون ويسبون ويستهينون بالذات الإلهية وبمحمد صلى الله عليه وسلم، فقد سمع أحد الزبانية معتقلاً يستغيث بالله، فصرخ فيه باستهانة: (مين هادا الله) فرد عليه المعتقل: (هو الخالق الرازق، هو الكريم العظيم، هو العزيز الجبار القهار، هو رب السماوات والأرض مالك الملك وملك الملوك ذو الجلال والإكرام) وفوجئ الجلاد بهذا الجواب، فصرخ بالمعتقل وأمره بالسكوت وكان بعض الزبانية خلال مناسبات العذاب يصمنا بإدعاء الشرف فيقول: (مستهزئاً) أشراف مكة يا عرصات).. وكان ينقض (بالكبل) فيضرب حرّ وجوهنا فهذا الانحلال الخلقي والفساد ناتج عن فقدان القيم وتزعزع العقيدة وفسادها، لدى هؤلاء الناس وأمثالهم.

القيم التي ينادي بها طغاة بلادنا عبر عنها نفر من شبابهم الذي يعد نفسه مثقفاً أنه مبهور بالغرب وحضارته الزائفة، يراها مثله الأعلى حتى في زيفها وفجورها وإلحادها وتحللها من كل الفضائل والأخلاق، إنها قيم عبادة المال والنساء والكأس والمتع الحرام.

تراهم يلبسون جميل الثياب، فيعجبك مظهرهم فإذا تكلموا تأسفت لما ترى من انحطاط أخلاقهم وتدني أفكارهم، وإذا أدركت سوء طويتهم وبشاعة أعمالهم وتصرفاتهم صدمت، فأي سوء في حسن، ترى فيهم مصداق قوله تعالى "ثم رددناه أسفل سافلين" وإذا قلت لأحدهم: اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم وبئس المهاد، وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل، والله لا يحب الفساد.

السخرة الشهرية – سرقات نظامية 1981/2/20

جاء الزبانية يصرخون بحقد وأبلغوا تعليماتهم لرئيس المهجع، طلبوا منه أن يجمع فوراً مبلغ (20) ل. س عن كل معتقل في المهجع، ولم يعطوا أي توضيح أو تعليل لهذا الطلب، بل أشفعوا طلبهم بمزيد من السباب والشتائم.

وقام رئيس المهجع بجمع المبلغ المطلوب، وكان كثيرون لا يملكون أي نقود، ومع ذلك فقد أجبرنا على الدفع عن الجميع، فكان يدفع الذي معه نقود عن المفلس، وهكذا قبض الزبانية المبلغ كاملاً (2000) ألفي ليرة سورية عن مائة معتقل هم نزلاء مهجعنا، وكثر التساؤل حول هذه النقود، والغاية من جمعها. قال بعضهم مستنداً إلى معلومات سابقة: إنه النقل من سجن تدمر إلى سجن آخر، وهذه أجرة السيارة (وهذه إشاعة انتشرت في السجن، أشاعها جهاز السجن ذاته) ولكن أحداً لم يشعر بالأسف لأنه سيفارق سجن تدمر رغم ما هوّل بعضهم عن سجن القامشلي العسكري وسوء المعاملة فيه.

وجاء الزبانية مرة ثانية فطلبوا مبلغ ليرتين عن كل معتقل، فجمع لهم المبلغ تفادياً لشرهم وأذاهم.

نصيري في سجن تدمر

كان من المعتقلين معنا في سجن تدمر العسكري معتقل نصيري، وكانت قضيته عبارة عن نقل سلاح بقصد الكسب والربح، ونتيجة وصول بعض هذا السلاح إلى مجاهدي الأخوان المسلمين فقد غضب عليه المسؤولون من جماعته، وحكموا عليه بالمؤبد في محكمة المزّة، ثم ساقوه إلى سجن تدمر، وتعرف عليه أبناء طائفته هنا فجعلوه رئيس مهجع، وتعاون معهم في نقل أخبار المعتقلين وتصرفاتهم وخاصة مراقبة المصلين والوشاية بهم، وقد منع المعتقلين في مهجعه رقم (10) من الصلاة وتسبب لعدد منهم في تعذيب وضرب موجع، بل خطر مهالك. ولما طال به الأمر لان جانبه قليلاً.

عقوبة على الصلاة 4/3/1981

جاء الرقيب فواز.. من على السطح يراقب المعتقلين، ويضبط المصلين في الرابعة والنصف صباحاً، وضبط بعض الذاهبين إلى الدورة، فاستشاط غضباً.. وصرخ بحقد وسبّ وشتم: (ولك حقراء.. ولك شو متسوي هنت.. ولك..).

وبادر كل منا إلى الاضطجاع، وهدد فواز وتوعد: الصبح بتشوفوا يا حقراء والله لربيكم يا.. يا حقيرين يا..

كان بعض الأخوة يرون أن نصلي جهراً، وأن لا نلتفت إلى تهديدات الجلادين.. وكان معلوماً لدينا أن عقوبة الصلاة رهيبة، ولا يمكن التكهن بنتائجها، وكنا موقنين أنه لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا، ولكن ترك اتخاذ الأسباب عجز وغباء..

وفي الصباح حين إدخال الفطور جاء فواز مع نفر من الجلادين ومعهم الكرابيج مدلاة فدخلوا علينا، وطافوا بيننا وأخذوا يضربوننا ضربات شديدة رهيبة، وحيث أننا كنا مغمضي الأعين حسب التعليمات، فلم نكن ندري بما يحدث إلا أننا كنا نسمع الأصوات والجلبة والصرخات الوالهة، وصوت الكرباج وهو يدق جسماً صلباً، كان لهذه الضربات صوت مختلف.

فلا هي من الهابدة على الظهر ولا الصافعة على اليد أو الجسد العاري، بل كأنها ضرب على الجدار الكتيم، وأتاني الدور فدار رأسي بضربة هائلة وغامت عيناي ودار بي المهجع، فتهاويت على الأرض تلتها (كما عرفت بعد ذلك) ضربات أخرى.

مضى بعض الوقت حتى صحوت إلى نفسي، كان أحد المعتقلين يمسح وجهي بالماء، فحاولت أن أجلس فشعرت برأسي يضج بألم شديد، وأذناي قد فقدتا حاسة السمع، فهما تدويان بطنين مستمر، علمت أن كثيرين من المعتقلين مصابون أكثر مني، وقد شجّت رؤوسهم فهي تنزف بالدم، فالحمد لله على كل حال. فقلت في نفسي مخاطباً الجلادين: ما تضركم صلاتنا؟ وما يزعجكم منها..؟ أين حرية العقيدة، أين الحرية الشخصية؟ يا من تتبجحون بالحرية؟!!

9/3/1981

مع بداية الشهر الجديد آذار، جاء الرقيب أيضاً يطلب جمع مبلغ (10) ل.س عن كل معتقل فيما سماه (بالسخرة الشهرية) وفهمنا أننا يجب أن ندفع في رأس كل شهر مبلغ (10) ليرات سورية أتاوة لزبانية سجن تدمر.

وفي السابع من آذار جاء الرقيب وطلب جمع مبلغ ليرتين عن كل معتقل للزينة، ولم يرض بإعفاء المفلسين، فدفع المبلغ تاماً، وهكذا نشطت عمليات جمع النقود من المعتقلين نشاطاً عجيباً، وعجزت بعض المهاجع عن تأمين كل هذه الطلبات وأعلنت إفلاسها، فكان الجلادون يتشددون في الطلب ويهددون بالتفتيش لاستخراج النقود، وقال الرقيب مرة وهو يشتم: إن كل هذه المبالغ تذهب "لتحسين الطعام" للسجين فأي تحسين وأي طعام؟ وقال بعض المعتقلين: الدولة أفلست فلم تعد تستطيع تقديم الطعام، فهي تجمع هذه النقود لتأمين الطعام.. وقال آخرون غير ذلك.. ولكن الرأي الصحيح أنها سرقات منظمة تحت ظل الكرباج وأن حاميها حراميها.

العجيب في الأمر أن جهاز السجن بعد جمع مبلغ (2) ل.س من كل معتقل في السجن للزينة.. وزعوا على كل مهجع من مهاجع السجن صورة لحافظ أسد مع حبل من حبال الزينة، وكان لابد من لصق الصورة في مكان ظاهر، وكان أمراً مضحكاً مبكياً

فقد كانت هذه الصورة مثار تذكير للناسين من المعتقلين في كل حين، فكنا نصب على صاحب الصورة وأخيه، قسماً كبيراً من خالص دعائنا، ولا ننساه من اللعنات كلما رأينا الصورة في ليل أو نهار..
اجمعوا أموالكم
رأى أحد الأخوة رؤيا جميلة بديعة مبشرة حرنا في تأويلها: رأى الأخ النبي صلى الله عليه وسلم يطل عليه من الفتحة الموجودة في سقف المهجع، فكلمه الأخ وسلّم عليه وسأله ملهوفاً: يا رسول الله متى الفرج؟ يا رسول الله متى النصر صلى الله عليك؟ فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم: الفرج قريب والنصر قريب، اجمعوا أموالكم..

فأولها بعض الأخوة أن نجمع ما عندنا من مال فنصرف منه بشكل جماعي لأغراض المهجع وحاجات المحتاجين، وقد فعلنا في مهجعنا ذلك، فجمعنا غالب المال الموجود وجعلناه في أيدي نفر من الأخوة ليصرفوا منه.. ولكن السخرة الشهرية أتت عليه ولم يبق منه شيء.

وهكذا بدا يقيناً أن المال مهما كان مبلغه فسوف يستهلك خلال فترة يسيرة (في ظل نظام السرقة المنظمة هذه) حيث أن من لديه مال كان مجبراً على دفع مبلغ (10) ل.س شهرياً عن نفسه، وأن يدفع عن كل من ليس معه نقود في المهجع، وكان أغلب الأخوة بعد شهرين أو ثلاثة من (السخرة الشهرية – السرقة المنظمة) بغير مال..

وفطن بعض الأخوة إلى تأويل الرؤيا، فوعوا أمر النبي أنه يوصيهم بحفظ أموالهم وعدم التفريط بها، فأمسكوا أيديهم وأخفوا بعض المال بعد أن ذهب أكثره ولم يبق إلا أقله، وعملية السخرة الشهرية (السرقة) مستمرة، وهكذا استخلص الرقباء كل ما استطاعوه من أموال المعتقلين.
مرض الجرب يغزو معتقلي سجن تدمر العسكري 17/3/1981
ظهر مرض الجرب وانتشر بين المعتقلين في سجن تدمر العسكري الصحراوي منذ مدة ليست قصيرة، وكان ذلك نتيجة لأمور كثيرة لعل أهمها: عدم إمكانية النظافة، من اغتسال وغسيل ثياب بشكل واف، وعدم نشر الغسيل وتجفيفه تحت أشعة الشمسي والهواء الطلق.. حيث أن الباب مغلق طوال اليوم علينا وعلى المعتقلين في جميع مهاجع السجن، والكثافة التي اشتدت أخيراً بدرجة كبيرة.

إضافة إلى جو الإرهاب والخوف الذي كان يشلّ حركتنا خلال غالب النهار، فنبقى جاثمين كل في مكانه نسمع أصوات العذاب والمعذبين، وننتظر دورنا.. ونفكر في مصيرنا. شكا أبو جميل أنه لا يستطيع النوم في الليل من الحكة، وأراني مواضع من جسمه كانت مليئة بالبثور الصغيرة، وكان الجلد أحمر مخدشاً، كما شكا قبله معتقل آخر من إصابة فطرية وتمعط والتهاب بين أعلى فخذيه، ولم يكن هناك أي علاج..
اليوم جاء ممرض السجن فطلب مرضى الجرب لأول مرة.. وتجاسر بعضهم فأعلنوا

عن أنفسهم. كان مهجعنا خمسة من المصابين.. جمع مرضى الجرب من جميع المهاجع، فوضعوا في المهجعين 9 – 10 بعد إفراغهما وعولجوا بمادة تسمى بنزوات البنزويل فدهنوا بها أجسامهم مرتين ثم أخذوا إلى الحمام ثم أعيد كل معتقل إلى مهجعه بعد ذلك، وقد تحسنت حالهم إلى حد كبير كان في جعبة القادمين من مهجع الجرب في المرة الأولى هذه أخبار كثيرة مثيرة مع أنها لم تكن بذات أهمية ولكن (الغريق يتعلق بحبال العرمط) كما في المثال الشعبي، ولم يكن في هذه الأخبار جديد إنما هي أمور كان يتسلى المعتقلون بتداولها ومع ذلك كان بعضها مثيراً إلى حد بعيد. كان الأخ ابن الخمسين عاماً بعد عودته من مهجع الجرب يحمل في حقيبته رؤيا جميلة.. كان يحدثنا بها والدموع تملأ عينيه، وتنهمر على وجنتيه في تأثر شديد وسرور وإيمان وتسليم بقول أحد الأخوة الصالحين إنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وتحدث إليه فقال له: (يا فلان بشروا أهل تدمر (معتقلي سجن تدمر) بالجنة) يقول أبو جميل رضينا يا رسول الله، رضينا يا رسول الله، تكفينا هذه البشرى.

15/4/1981

أخذت دفعات تالية من مرضى الجرب فوضعوا هذه المرة في المهجع 28 في الباحة السادسة، وكانت عدة مهاجع في هذه الباحة لا تزال فارغة.

وأخذ الممرض يمر في كل شهر على المهاجع، فيأخذ المرضى إلى مهجع الجرب فيعالجون هناك ويعودون إلى مهاجعهم. وكانت الإصابات تتوالى فإذا عولج بعض المصابين ظهرت الإصابات في أعداد أخرى.. وقد أصبت بهذا المرض فغزا الجرب جسمي ولم أعد أطيق الغطاء في الليل، حيث تثور الحكة وتشتد مع الحرارة والدفء، فكان يكشف الغطاء عني لا شعورياً دون إرادتي، مما أدى إلى إصابتي بمرض في الكلى جعلني أبول دماً. أعلمت رئيس المهجع فنقل الأمر إلى الرقيب، فلم يرد عليه إلا بالسباب.. كالعادة.. فخرجت مع المصابين بمرض الجرب فأخذنا الممرض إلى المهجع (28) مهجع الجرب في ذلك الحين وهناك عرضنا على طبيب نصيري شاب حديث التخرج، فردّ كثيرين لأنه لم يكن يهتم بفحصهم أو علاجهم، وكنت من هؤلاء، وقد شكوت إلى الطبيب ما بي من مرض الكلى فلم يردّ عليّ.. وقال لي بعض الجلادين الذين كانوا مع الطبيب (بعدين ولك).. وأعدت إلى المهجع بدون علاج، وخرجت مرة أخرى للمعاينة والكشف، وكانت بثور عديدة قد ظهرت في أماكن كثيرة من جسمي.. فقبل الطبيب أن أعالج، وكان الذي يشرف على علاج المعتقلين هو الممرض الذي يدعى أبو بسام.

كان بعض المعتقلين يشكون من إصابات شديدة من الجرب، وقد امتلأت أجسامهم بالدمامل المتورمة المقيحة في الساعدين والرجلين والأماكن المستورة مثل منطقة العانة. كما رأيت أحد المصابين بالجرب وهو حلبي ويدعى (م-ص-ج) كان يعاني من إصابة جرب لم يعرف لها مثيل قبلاً. فقد كانت منطقة الآليتين وما فوقها دملاً واحداً

متصلاً متقيحاً نازفاً.. وحدثني أنه منذ أكثر من شهر ونصف لا يستطيع النوم ليلاً من الحكة الشديدة الحارقة، فهو يدلس باستمرار ويكشط في هذه الدمامل حيث يسيل منها القيح والدم، ورأيت يديه فإذا أصابعه مبرية ملساء مصقولة لماعة قد براها الحك المتواصل.

وكان هناك عدد كبير من الأحداث قد جيء بهم من مهجعي الأحداث (31 – 32) اللذين وضعوا فيهما وكانت إصابات الجرب فيهم كثيرة وقوية.

عولجنا من مرض الجرب وأعدنا إلى مهاجعنا، ولكن المرض لم يغادرني رغم أنه هدأ عدة أيام ولكنه عاد كأنشط ما يكون.

كانت طريقة العلاج كالتالي: يدور الممرض أبو بسام مع نفر من الجلادين على المهاجع، فيخرج مرضى الجرب ويرسلهم إلى مهجع الجرب رقم (28) وهناك يخرجون بالشورت إلى الباحة حيث يجري الكشف والمعاينة عليهم من قبل الطبيب غالباً، وبعض الأحيان من قبل الممرض وحده فقط، ويعاد من تكون إصابته غير واضحة، ثم يؤخذ المرضى بالشورت إلى الحمام في الساحة الثانية فيتركون في الحمام ما بين 4 – 7 دقائق ثم يعيدونهم إلى المهجع، ويأتي الممرض فيأمر بإخراجهم بالشورت إلى الباحة حيث يوزع عليهم زجاجات الدواء وهو (محلول بنزوات البنزويل) ويعطي لكل زجاجة (4 – 5) أشخاص، فيدهنون أجسامهم بما فيها خلال وقت يشير ثم يدخلهم إلى المهجع ويأخذونهم إلى الحمام في اليوم التالي ويعاد الدهن مرة ثانية مع حمام آخر، وبعض الأحيان يعاد الدهن مرة ثالثة بعد بضعة أيام، وفي تمام الأسبوع يعادون إلى مهاجعهم. لقد عشت في مهجع الجرب أياماً لا زلت أذكرها في نفسي، كانت مليئة بالغرائب والمشوقات، والتقيت فيها بمجموعة طيبة من الدعاة الإسلاميين والرجال الطيبين، والمربيين والنوابغ، وضباط مسرحين وطلاب أخذوا من مدارسهم، ومهندسين وأطباء وعمال.

المكيدة تنقلب على أصحابها

وكان مما علمت وسرني كما سرّ غيري.. أخبار مهجعي الأحداث فقد علمت أن الأحداث قد وضعوا في مهجعين هما (31 – 32) وأن هؤلاء الشباب قد صعب عليهم الأمر للوهلة الأولى واضطراب الحال بعض الوقت، ولكن قام من بينهم من ضبط الأمور ونظموا الأعمال وشدوا العزائم، وقووا الهمم حتى انتظم أمر الأحداث في كلا المهجعين، وصلح حالهم وظهرت فيهم أخلاق الإيثار والتضحية والبذل، ففي الطعام يؤثر بعضهم بعضاً، وفي التعذيب يفتدي بعضهم بعضاً، وفي الشجاعة ينافس بعضهم بعضاً، بل وفي التقى والصلاح والحكمة حتى فاقوا الشيوخ في كل شيء.

تقييم لإجراءات علاج الجرب في سجن تدمر العسكري الصحراوي 16/4/1981

لاشك أن مهجع الجرب والعلاج الذي قدم فيه، كان له تأثير لا بأس به في تهدئة المرض ووقفه جزئياً، كما خفف من آلام المعتقلين الرهيبة في ناحية واحدة على الأقل من نواحي معيشتهم الملأى بالآلام في سجن تدمر العسكري، وهي ناحية الأمراض عامة ومرض الجرب خاصة، ولكن العلاج كان قاصراً لا يعالج المرض بشكل

جذري صحيح بل يعالج أعراض المرض ويترك كافة النواحي الهامة الأخرى، مثل وقف سريان المرض، التأكد من إجراءات النظافة والتطهير أو تأمينها، تأمين البيئة الصحية السليمة.

وهذه الأمور هي أساس العلاج في مرض الجرب خاصة.. وفي الأمراض السارية عموماً.. ومع ذلك فما زالت الظروف البيئية والنظافة سيئة جداً، والمعتقلون محجوزون في المهاجع الضيقة في زحام شديد يسهل معه بل يتأكد سريان مرض الجرب وغيره من الأمراض المعدية، حيث يتم انتشارها بأكثر من وسيلة، ولا يتأمن في هذه المهاجع أي شيء من وسائل النظافة إضافة إلى عدم إمكانية تطبيق النظافة والتطهير اللازمين لذلك كانت بيئة صالحة لمرض الجرب مسهلة لانتشاره وقوته.

ولعل أهم شيء أن يستمر العلاج بشكل دائم لاستمرار العدوى وعدم توقفها، وهذا ليس مجهولاً لدى جهاز السجن العسكري أو الطبيب.. حتى لقد سمعت بأذني الطبيب يكفر ويجدف لأن أحد المرضى الذي عولج قبل شهر فقط، يأتي الآن مصاباً بالجرب من جديد.. ولو درى هذا الطبيب لكفر بعمله وعلاجه القاصر الناقص الفاشل، وعلم أنه إنما يضحك بذلك على نفسه.

لذلك لما توقف العلاج في منتصف عام 1981 لم تمض سوى فترة بضعة أشهر حتى رأينا مرض الجرب وقد أصاب كل المعتقلين في المهجع بل وكل نزلاء السجن بدرجات متفاوتة، علماً بأن عدد المعتقلين في ذلك الحين كان يقارب خمسة آلاف معتقل رغم أن مرض الجرب هذا مرض قديم وسيط وسهل العلاج.

ومع ذلك فإن الألوف المؤلفة من المعتقلين في سجن تدمر العسكري تعاني منه آلاماً رهيبة تقضّ مضاجعهم وتذيقهم العذاب في الليل والنهار..

والإنسانية المغفلة غافية على هدهدات السلام والحرية والأمان.

قد يكون ما يجري إهمالاً أو نكاية ولكنه يبدو دائماً في صورة القصد مع سبق الإصرار والتصميم، وليس مرض الجرب بالمرض الوحيد الذي يعاني منه نزلاء سجن تدمر، بل هو حلقة من سلسلة من الأمراض السارية وغير السارية والإصابات.. ويبقى كل ذلك دون علاج.. أو يعطي بعد ذلك علاج قاصر لا يسمن ولا يغني من جوع..

من أخبار مهجع الجرب.. الإعدامات

كان من أخبار مهجع الجرب خبر بدا غريباً غير معقول أو مقبول في حينه، وكان مفاده أن عمليات إعدام تتم هنا في سجن تدمر.. وإن ما يسمونه (المحاكم) حينما يطلبون بعض المعتقلين عند الفجر، ويأخذونهم مع أغراضهم ويقولون لهم أنتم مطلوبون (محاكم) فهذا الطلب إنما هو الإعدام.. وكان معنى هذا الكلام رهيباً.. فسارعت كما سارع كثيرون غيري إلى ردّه وتكذيبه في الحال.

كان معناه أن كل أولئك الذين أخذوا باسم محاكم وهم عدد ضخم قد استشهدوا ومضوا إلى بارئهم، وهذا ما حاولنا نفيه واستبعاده، ولكن كان هناك أدلة تؤيده أهمها:

- التكبير الذي يسمع بعد أخذ هؤلاء المطلوبين (محاكم) بفترة ساعة أو ساعتين، وقد سمعه المعتقلون في عدد من المهاجع..

- وهناك حادثة أخرى مؤيدة، ففي أحد المهاجع تواعد أحد الأخوة المعتقلين مع إخوانه، وهو يعلم أنه معرض للإعدام: إن كان هناك إعدام، على أنه إذا طلب (محاكم) كالعادة، ووجد أنه الإعدام، فسوف يعلن لهم عن ذلك بأن يصرخ بأعلى صوته: أنا فلان بن فلان أموت في سبيل الله..

وقد طلب هذا الأخ بعد ذلك (محاكم) قبيل شروق الشمس، فلما أخذ تنصت زملاؤه في المهجع، فلم يلبثوا بعد ذلك أن سمعوا صوته ينادي بقوة: أنا فلان ابن فلان أموت في سبيل الله.

- ومن الأدلة على ذلك أن الجلادين كانوا يعصبون أعين المطلوبين (محاكم) ويوثقون أيديهم إلى الخلف.

- كان الأمر خطير جداً، ولم يكن من السهل تصديقه، لذلك كنت أبحث عن مبرر لرفضه، وقد حاول آخرون أن يموهوا على الأمر كله.. ولكن الأمر كان يتوضح أكثر وأكثر حتى غدا جلياً ظاهراً.

واعتذر المموهون بأنهم خافوا من تأثير الخبر.. على الشباب.. وما يثيره من رعب واستفظاع، وجاء هذا الخبر مكملاً لكأس الظلم المريرة.. فها هم الطغاة يسفكون الدم الطاهر البريء ظلماً وجوراً وراء الجدران السميكة، وفي سرية وخفاء.. شأن الجبناء.

كشف هذا الأمر وزال عنه الخفاء واللبس، تفصيلات دقيقة واضحة، فبدا كريهاً مرعباً، إنه الموت يتخطفنا، يتخطف المعتقلين في سجن تدمر.. شباب وادعون، طاهرون، مستقيمون، ورجال كرام أبرار صالحون، رحمكم الله أيها الشباب الغض إنكم كالبراعم لما تتفتح أكمامها بعد فجاءتها اليد المجرمة فاقتطعت الغض الرطب واعتسفت الحياة الثرة الغنية الطاهرة، وأراقت الدم الزكي، فرحمكم الله أيها الشباب المؤمنون.

كم تفاءلنا أن تكون هناك محاكمات فعلية يحاكم فيها أولئك الذاهبون فتنصفهم، وكنا ننتظر أوبتهم ونتواعد معهم على اللقاء، ونأخذ العناوين فإذا هو ذهاب لا أوبة بعده

ولا لقاء مع أولئك الأحباب في الدنيا، ولكن اللقاء في الآخرة في جنة الخلد إن شاء الله.

وكان ممن أخذ في الفترة السابقة عدد كبير من الأخوة أذكر منهم:

1 – الشيخ محمد خير زيتوني/ حلب – إمام مسجد – 40 عاماً.

2 – الأستاذ رياض جعمور/ حماة – 30 سنة – مهندس.

3 – حسن الصوراني/ معرة النعمان – 30 سنة.

4 – عمر حوا/ اللاذقية – 30 سنة.

5 – محمد مصدق طرابلسي/ حمص – مدرب رياضي – 25 سنة.

6 – عزام خزندار/ حمص – طالب – 28 سنة.

7 – أسامة خواشيكة/ دمشق – إمام مسجد – 40 سنة.

8 – عبد المعطي حلموشي/ حمص – طالب – 18 سنة.

9 – عرفات يونس/ دمشق – طالب – 20 سنة.

10 – محمد رنكوس/ دمشق – موظف – 35 سنة.

11 – أسامة لبابيدي/ حلب – طالب – 19 سنة.

12 – بسام نابلسي/ حمص – مهندس – 30 سنة.

مذبحة تدمر الكبرى في حزيران 1980

كان من أخبار مهجع الجرب أيضاً خبر مفاده اعتقال ضابط طائفي كبير في الأردن يدعى عدنان بركات مع بعض عناصر سرايا الدفاع، الذين ذهبوا إلى هناك بقصد اغتيال رئيس الوزراء الأردني مضر بدران، وخلال التحقيق معهم اعترفوا بأنهم مرسلون من قبل رفعت أسد لهذه الغاية، واعترفوا بأنهم شاركوا في مجزرة تدمر بأنفسهم، وأنهم قبضوا على ذلك مبلغاً من المال، وقد أخبرنا بهذه الحادثة أخ دمشقي، وأخبرنا أن هذه الاعترافات عرضت في التلفزيون الأردني وأن السلطة الحاكمة في سوريا قطعت التيار الكهربائي لمدة ساعتين عن مدينة دمشق وما حولها في وقت إذاعة هذه الاعترافات، وعرضها التلفزيون الأردني ولكن الكثيرين كانوا

قد استحضروا مولدات كهربائية خاصة لتلافي مثل هذه الحالة المتوقعة، كما سجلت المقابلة التلفزيونية هذه على أشرطة الفيديو وأخذ الناس يتناقلونها بينهم.

نحن هنا في تدمر لسنا بحاجة إلى مزيد من التفاصيل، فإن الأخبار والشواهد ظاهرة حاضرة تحكي تلك القصة الرهيبة.

في آخر شهر حزيران وبالتحديد في يوم 26/ حزيران 1980 جرت محاولة لاغتيال حافظ أسد من قبل عناصر الحماية الخاصة به، وأذيع بعدها أنه أصيب في رجله اضطربت الأحوال بشدة في دوائر المخابرات والمعتقلات والسجون، وقف كل شيء بانتظار نتيجة الحادثة.

في زنازين المخابرات كان المعتقلون في شك مما يجري وفي عجب من هذه الحالة الغريبة التي هيمنت على دوائر المخابرات، وفي معتقل كفرسوسة بقي المعتقلون دون طعام على مدى أربع وعشرين ساعة لا يلتفت إليهم أحد ولا يسأل عنهم، والأبواب مغلقة والكل صامت، حتى أفاق المذهولون إلى أنفسهم.

وفي سجن تدمر بدا الاضطراب واضحاً في تصرفات جهاز السجن في ذلك اليوم، وصدرت الأوامر بتعذيب المساجين واندفع الزبانية وأغلبهم من النصيريين يسومون المعتقلين صنوف الضرب والإيذاء بشكل وحشي، أدى إلى حدوث إصابات كثيرة بين المعتقلين.

كما جرى تعذيب عدد من المهاجع خلال عملية الحلاقة، وقد كان التعذيب خلالها رهيباً، فكانوا يأخذون كل معتقل على حدة فيعذبونه ويستعملون أدوات الحلاقة فيصلمون الآذان أو يشقونها، ويقطعون الأنوف وغير ذلك، فيدخل المعتقل المهجع وهو في حالة سيئة بل بالغة السوء، وقد يحمل حملاً حيث يجري له رفاقه بعض الإسعافات.

وكان المعتقلون في حالة اندهاش وحيرة ورعب بالغ لما رأوه من عنف دموي، وهكذا بات المعتقلون شر ليلة وقد جاءهم الجلادون في الليل فضربوا بعض المعتقلين وأوقفوهم جميعاً على رجل واحدة والأيدي مرفوعة إلى الأعلى، وأسمعوهم شنيع الكلام والسباب، وأجبروهم على هذه الوقفة طوال تلك الليلة.

وقد اتخذت الاستعدادات ووضع مخطط لصلي المعتقلين بعذابات رهيبة في اليوم التالي.

وفي اليوم الثاني وصلت إلى المطار القريب مجموعة من الطائرات المروحية حوالي عشر طائرات تحمل عناصر من سرايا الدفاع المسلحين بلباس الميدان الكامل، وكانوا حوالي (200) عنصر مع ضباطهم، وكان لديهم الصلاحيات التامة بأن يدخلوا

سجن تدمر العسكري ويقتلوا كل من فيه من المعتقلين الذين يبلغ عددهم حوالي (1000) معتقل ومعهم أمر صريح بذلك وجاء (80) عنصراً إلى السجن للقيام بالمهمة وترك الباقون كاحتياط.

كان مدير السجن على علم مسبق بالأمر وقد اتخذ التدابير اللازمة، فأمر بإجراء تفقد لموجود السجن وضبط عددهم، وقد قال أحد الرقباء من زبانية السجن للمعتقلين في بعض المهاجع هازئاً بهم: (حضروا حالكن بدنا نفرج عنكن) وهو يعلم أن الموت سيحصدهم بعد قليل.

كان عدد مهاجع سجن تدمر في ذلك الوقت حزيران 1980 (34) مهجعاً موزعة على سبع باحات، ولكن لم تكن جميع هذه المهاجع ملأى بالمعتقلين، بل كان المشغول منها (20) مهجعاً وفي كل مهجع ما بين (30 – 100) معتقل، وكان مجموع المعتقلين في السجن (1000) معتقل تقريباً.

وهكذا استلمت قوة سرايا الدفاع مفاتيح السجن فور وصولها دون أي صعوبات.

وفي الممر الواسع بعد باب السجن الرئيسي الثاني المجاور للمطبخ في أقصى الجهة الجنوبية من السجن وقفت سرايا الدفاع هناك وأخذ قائدها يوزع المهمات على عناصره، وقسمهم إلى مجموعات عدد أفراد المجموعة حوالي (15) عنصراً وانطلقت المجموعات لتنفيذ عملية قتل المعتقلين الموجودين في سجن تدمر..

كان المعتقلون في حالة سيئة بعد عمليات التعذيب التي جرت لهم في اليوم السابق، وكانوا في حالة قلق وتوجس ورعب، كان الأمر بالغ الخطورة وقد رأوا من حقد الجلادين النصيريين وشراستهم وتمتعهم بالعذاب ومناظر الدم ما هالهم.. فانطلقوا يدعون الله ويستغيثونه ويسألونه حسن الختام.

بدأت عملية الإبادة والقتل للمعتقلين في مهاجع الباحات (3 – 5 -6) وهو القسم الجنوبي الغربي من السجن، فكان عناصر السرايا يفتحون باب المهجع ويأمرون المعتقلين بالابتعاد عن الباب إلى آخر المهجع، ثم يدخلون ويبدؤون بإطلاق النار عليهم، وارتفعت حينئذ أصوات المعتقلين في هذه المهاجع بالتكبير مع صراخ التألم مختلطاً بأصوات إطلاق الرصاص.. في أحد هذه المهاجع انقض معتقل كان يختبئ في المرافق القريبة من باب المهجع على العساكر من الخلف، واستخلص من أحدهم بندقيته فقتله بها وأصاب اثنين آخرين بجراح، ولكن العساكر الآخرين تكاثروا على المعتقل وأخذوا يطلقون النار عليه حتى قضوا عليه.

وانطلق جنود سرايا الدفاع يفرزون المعتقلين المكومين في المهاجع ويقضون على من يجدوا فيه بقية حياة حتى أفنوهم عن آخرهم.. وتجمعوا أخيراً ثم انطلقوا إلى

الباحات الثلاث الباقية وهي ذات الأرقام (1 – 2 – 4) وهي تشكل القسم الشمالي الشرقي من السجن، وفيها عشرة مهاجع على الأقل ملأى بالمعتقلين..

وكان بعض المعتقلون في مهاجع هذه الباحات قد سمعوا أصوات إطلاق النار وبعض الصراخ والاستغاثات، ولكن لبعد المسافة وانفصال الباحات بعضها عن بعض لم يتأكد لديهم شيء، وإن كانوا على خوف وحذر لما لمسوه من شراسة الجلادين ومظاهر الحقد في تصرفهم، ولم يكن في إمكانهم لأن يعملوا شيئاً سوى الالتجاء إلى الله سبحانه بالدعاء والاستغاثة، وطلبوا من الله سبحانه أن يقبلهم شهداء في سبيله.

وقال بعضهم لبعض: الملتقى في جنة الخلد إن شاء الله، وبكى بعضهم وهم يدعون الله أن ينصر المسلمين ويخزي الظالمين المجرمين.

وحيث أن المهاجع في هذه الباحات معتمة واطئة السقف فقد خشي جنود السرايا دخولها على المعتقلين، خاصة بعد ما جرى معهم في المهاجع السابقة، فقاموا بإخراج المعتقلين مع أغراضهم الشخصية إلى الباحة رقم واحد وجمعوهم في زاويتها الشمالية الشرقية، ثم انقضوا عليهم وأصلوهم وابلاً من رصاص بنادقهم الرشاشة حتى قضوا عليهم، وتعالت خلال ذلك الاستغاثات وصراخ التكبير وكلمات الشهادة، ولكن عدداً من المعتقلين هؤلاء تمكن رغم الرصاص المنهمر من مغادرة الباحة إلى داخل أحد المهاجع، فلحق بهم جنود السرايا إلى داخل المهجع وقتلوهم عن آخرهم.

وفي الباحة رقم (4) أخذوا يفتحون أبواب المهاجع ويلقون بقنبلة إلى داخلها ثم يدخلون عليهم ويقتلون من بقي حياً من المعتقلين. وفي الباحة رقم (2) أخرج جنود السرايا المعتقلين من المهاجع الأربعة وجمعوهم مع أغراضهم في زاوية من الباحة محصورة ليس لها منفذ وذلك مقابل نهاية المهجع رقم (8) ذي الشرفة الواسعة، ثم انقض العساكر عليهم فأصلوهم وابلاً من رصاص بنادقهم، وألقوا عليهم قنابل حارقة فاشتعلت النار في ثياب المعتقلين وأجسادهم وهكذا حتى أفنوهم عن آخرهم.

واندفع عساكر سرايا الدفاع المملوءين بطولة زائفة هم وضباطهم اندفعوا إلى أكوام الأجساد البشرية يقلبونها ويبحثون عمن فيه بقية حياة فيقتلونه ذبحاً أو طعناً بالحراب، حتى اصطبغت أيديهم وثيابهم بالدماء، ثم غادروا السجن أخيراً إلى المطار عائدين.

وهكذا وخلال ساعة واحدة من عمر الزمن في صباح 1980/6/27 قتل قرابة (1000) معتقل.

وامتلأت مهاجع وساحات سجن تدمر برائحة الدم والموت، والمئات من الضحايا مكومين مضرجين بالدماء، فقام جهاز سجن تدمر باستحضار سيارات عسكرية

شاحنة ضخمة، واشتركت عناصر الخدمة في السجن (البلدية) مع عناصر جهاز السجن في عملية تحميل الجثث ووضعها في السيارات مع الأغراض وسرقوا خلال ذلك كل ما وجده معهم من ساعات ونقود، ونقلت الجثث إلى صحراء تدمر حيث أفرغت في حفر كبيرة، ردمت بواسطة البلدوزر وكان بعضها لا يزال فيه بقية حياة.

ولكن بقي الدم الزكي يغمر الأرض في كثير من نواحي السجن، ويتجمد فوقها إضافة إلى آثار كثيرة مختلفة.. فأحضر جهاز السجن مجموعات من عناصر الخدمة (البلدية) قامت بتنظيف مهاجع السجن وساحاته من الدماء وبإزالة كل ما يمت إلى الجريمة بصلة، وقد جرى ترميم عام لمهاجع السجن وطليت جدران المهاجع بطلاء مناسب يستر ما تحته من آثار الجريمة ولكن هيهات.. فحتى الدماء أبت أن تزول في كثير من الأماكن في الحفر والزوايا، لتبقى شاهداً على الجريمة لا ينمحي. وقدر الله أن ينجو من هذه المجزرة الرهيبة بضعة عشر معتقلاً أعمى الله بصر المجرمين عنهم.
الدفعات 1981/4/25
في استمرارية مرعبة تأتي أفواج المعتقلين من كل أنحاء سوريا حيث ترسل فروع المخابرات العسكرية من تجمع ما لديها من المعتقلين الذين انتهى التحقيق معهم ترسلهم مباشرة إلى سجن تدمر العسكري، وقد تبين لنا أن هذا الإرسال يتم دورياً ولكل محافظة يوم معين ترسل فيه المعتقلين إلى سجن تدمر كالتالي:

السبت: محافظة حلب.

الاثنين: محافظة اللاذقية.

الثلاثاء: محافظة دمشق.

الأربعاء: محافظة حمص.

الخميس: محافظة إدلب.

ومع ذلك قد تتغير المواعيد عند الضرورة، وكان المعتقلون القادمون من مختلف الأعمار والفئات، ففيهم الصغير والكبير، والطالب والموظف، ورجل الأعمال والعامل، وكان يغلب عليهم فئة المثقفين من الطلاب وحملة الشهادات، ويتراوح عدد المعتقلين في الدفعة ما بين 25 – 80 معتقلاً، وكان حفل تعذيب الاستقبال الرهيب ينظم لهم سريعاً، وغالباً يبدأ التعذيب مع الصباح الباكر، فيتجمع الجلادون بعدد مناسب ويأخذون هؤلاء القادمين إلى باحة الاستقبال أو التعذيب الباحة رقم (1) المشهورة، وهناك يعرونهم من ثيابهم تحت الضرب الشديد، ثم يضربون كل واحد في الدولاب حتى ينهكوه ثم يضربونه بالعصا الرهيبة فيحطمونه، وهكذا حتى تنتهي

الدفعة، وخلال التعذيب الفردي يتم تعذيب جماعي حيث يطوف مفر من الجلادين بالكرابيج فيضربون المعتقلين دون كلل.

وخلال هذا الحفل التعذيبي الرهيب تشتد الأصوات أصوات الصراخ والعويل من المعذبين، والاستغاثات وطلب الرحمة وتشتد بالتالي أصوات الزجر والسباب والتجديف، وتكون أصوات الكرابيج اللاسعة كصوت المطر المتساقط لا تقف ولا تهدأ.

وكنا نسمع من مهجعنا أصوات العذاب والعويل طوال اليوم، وبعد هذا العذاب الشديد كانوا يأتون بالمعتقلين المعذبين فيضعونهم في المهجع رقم (1) ويتركونهم فيه عدة أيام وهم في حالة مؤلمة من الإنهاك، ويتعاورونهم بالعذاب والضرب بين الحين والحين، وقد مات أحد هؤلاء المعتقلين بعد حفل تعذيب (الاستقبال) بيوم واحد وكان عمره حوالي أربعين سنة، ويبدو أنه قد نال يوم الاستقبال عذاباً شديداً، وضرباً أليماً حيث أنه لم يكن قادراً على السير، فحمله رفاقه لأنه كان في حالة شديدة من الانهيار، وكان يتساءل: لوين..؟ فإذا ضربه الجلادون استغاث بالله، فيزيدون عليه ويشتدون.. وقد أبلغ زملاؤه عن موته زبانية السجن وأخرجوه لهم على بطانية، وكانوا يحسدونه على هذا المصير وهذه النجاة من بغي الظالمين.

كانت الكثافة تشتد في مهاجع سجن تدمر حتى استغرقت كافة المهاجع الفارغة في السجن.. وملئت المهاجع (26 – 27 – 28) وكان يستعمل الأخير منها في شهري شباط وآذار الماضيين كمهجع للمصابين بالجرب.

وبعد امتلاء كل المهاجع الفارغة أخذ جهاز السجن يجمع المعتقلين فيبقيهم في المهجع (11) بضعة أيام تحت وطأة العذاب الشديد ثم يوزعونهم على المهاجع.
الناجون من المجزرة
في الفترة ما بين أواخر عام 1980 وأوائل 1981 كان في أحد مهاجع الباحة السابعة ستة عشر معتقلاً فقط لم يخلطهم جهاز السجن بغيرهم من المعتقلين لذا لم يعرف تماماً من هم (وإن كانت هناك إشاعة تقول أنهم هم الذين نجوا من مجزرة تدمر الكبرى) وقد نقلوا بعد ذلك إلى جهة غير معلومة.

نساء في سجن تدمر
وضع في غرف المستوصف المعتقلات من النساء، وكان عددهن حوالي عشرين امرأة، وقد كن قبل ذلك في المهجع رقم (11) وبقين فيه شهرين أو ثلاثة ثم نقلن إلى المستوصف في الباحة السابعة، وخلال وجود النساء في المهجع (11) ولدت إحداهن وهي امرأة حلبية وزوجها معتقل وموجود في سجن تدمر أيضاً، وهو في المهجع المزدوج (5 و 6) ومن السجينات فتاة نصرانية كانت موظفة في السفارة العراقية وامرأة مسنة من الساحل السوري، وطبيبة دمشقية مع أمها، وأبوها

معتقل في مهاجع الرجال أيضاً، والمهاجع التي لا توجد فيها معتقلون هي (1 – 2 – 3 – 14) ويبدو أنها تستعمل كمستودعات.

وفي محاولة قمنا بها لإحصاء عدد المعتقلين تبين لنا أن المهاجع المشغولة بالمعتقلين هي حوالي (30) مهجعاً، وفي كل منها ما بين (100 – 135) معتقل تقريباً، فكانت النتيجة كالتالي 30×115= 3450 معتقلاً.. كما سمعنا أحد الرقباء يقول في معرض كلامه مع زملائه: (عندنا في هالسجن (3500) معتقل).

4/5/1981
انتشر مرض الإسهال في مهجعنا واشتد بحيث كان 60 معتقلاً من أصل 100 في المهجع مصابين بالإسهال الشديد.. وكان يعالج إما بالامتناع عن الطعام أو شرب الشاي (وكمية الشاي قليلة جداً ولا تتجاوز كوباً واحداً من الشاي البارد) وكانت بعض الحالات تهدأ وبعضها يسكن تماماً رحمة من الله سبحانه، ولم يكن يظهر للطبيب في السجن أي أثر
11/5/1981
قبيل منتصف الليل جاء الزبانية على عادتهم وفتحوا باب مهجعنا وطلبوا خروج المصابين بالإسهال، وحيث أني كنت مصاباً بإسهال شديد منذ أيام، فقد خرجت مع عدد من الأخوة المعتقلين المرضى، ثم أخرجوا مرضى الإسهال من المهاجع الأخرى في الباحة، وأخذونا إلى المهجع (13) في الباحة الثالثة فوضعونا فيه وتابعوا عملهم في جمع المرضى (المصابين بالإسهال والقيء) من مهاجع السجن الأخرى، كان بعضهم يسير على قدميه وبعضهم يسندهم زملاؤهم وآخرون يحملون بالبطانيات لعدم استطاعتهم السير، وكانوا يضعونهم أمام باب المهجع ومن ثم نقوم نحن بإدخالهم وخدمتهم والعناية بهم رغم ما نحن فيه من مرض.

المهجع (13) عبارة عن غرفتين متجاورتين يصل بينهما باب في الوسط، وفي زاوية الغرفة الداخلية مساحة محاطة بحافة من الإسمنت وفيها مرحاض (ملئ بالشقوق والشروخ في أرضيته) ومغسلة، وكان في هذا المهجع أربعون معتقلاً منهم الأخ أمين الأصفر، وقد أخرجوا قبل مجيئنا فوزعوا على المهاجع الأخرى..

علمنا هنا أن مرض الإسهال والقيء لم يكن محصوراً في مهجع أو مهجع معينة، بل هو وباء عام منتشر بين المعتقلين في مهاجع السجن كافة، وأن الطبيب أعلن انتشار وباء الكوليرا في المعتقل، وذلك بعد أن كثرت الإصابات والوفيات في العديد من المهاجع، واضطرت إدارة السجن إزاء ذلك إلى الاعتراف بالأمر الواقع والعمل على معالجته، ولكن زبانية سجن تدمر أصروا على عدم السماح بإخراج أي معتقل من سجن تدمر مهما كانت الأسباب ومهما كانت حالته المرضية وأنه يتحتم معالجة المصابين ضمن السجن حصراً، ووافق طبيب السجن النصيري الطائفي على هذه الخطة الجهنمية، رغم علمه باستحالة هذه المعالجة ضمن السجن من الناحية الطبية.

وحين يتم مسلسل المتناقضات كان طعام الغداء الذي أحضر لنا عبارة عن برغل مطبوخ إضافة إلى حب الفاصوليا المطبوخ بماء البندورة (الطماطم) والدوسير (حلويات سيئة الصنع) وكانت هذه المواد الغذائية هي مما يزيد مرض الإسهال أكثر لدينا، وقد طلب أحد المرضى من الطبيب تأمين طعام مناسب مع شيء من الحمضيات مثل الليمون، وأنه مستعد لدفع ثمن هذا الطعام من حسابه الخاص ولكن الطبيب لم يلتفت إلى كلامه رغم علمه بأن مثل هذا الطعام ضروري جداً لهؤلاء المرضى، ولذلك لم يتمكن المرضى من تناول أي طعام، وخاصة المرضى الذين أصيبوا بالتقيؤ، مما زاد حالتهم سوءاً وكان زبانية السجن خلال التفقد اليومي وخلال إدخال الطعام يفتحون الباب بسرعة وهم يحبسون أنفاسهم ثم يقفون بعيداً وعلى وجوههم إمارات الخوف من المعتقلين في مهجع الكوليرا، وحينما خرج أحدنا لإدخال الطعام واقترب صدفة من الجلاد صرخ الجلاد بفزع وابتعد وهو يسب ويشتم.

12/5/1981

امتلأ مهجعنا رقم (13) والذي يدعونه حالياً (مهجع الكوليرا) عن آخره وبلغ عدد المصابين فيه (40) مصاباً كان عدد منهم في حالة خطرة والإسهال والتقيؤ شديد لديهم، وبعضهم عاجز عن الحركة تماماً لشدة ضعفه وهزاله وقوة إصابته وهؤلاء فقط كانوا يحتاجون إلى مستشفى كاملة لكي يمكن إسعافهم وتقديم الخدمة والعلاج اللازم لهم خاصة وأن عدداً منهم كان يتقيأ ويتبرز لا شعورياً ملوثاً ثيابه.

وهكذا فإن المهجع (13) كان عبارة عن مستشفى غريب أو محجز كوليرا من نوع عجيب، قال أحد الأطباء المعتقلين: إنه من الناحية الطبية فإن كل نزلاء سجن تدمر يعتبرون مخالطين حاملين لجرثوم الوباء ويجب أن يحجزوا ويعالجوا وتجري لهم التحليلات حتى تثبت سلامة أجسامهم من جرثومة الوباء.

كانت الطريقة التي تتبع لعلاج الوباء في سجن تدمر تلغي جميع المبادئ والنظم والأعراف الطبية، وكأن المهجع (13) إنما هو (غرفة النزع) المعروفة في المستشفيات هذا دون الالتفات إلى طرق الموت الأخرى في سجن تدمر وإلا عد السجن كله (سجن الموت)!

أحضر لنا الزبانية فطوراً كان مؤلفاً من مربى وشاي بارد فخصصنا المرضى المدنفين بمعظم الشاي ولكن دون فائدة فما كان يستقر في أجوافهم شيء بل كانت معداتهم تقذف كل طعام يدخل إليها –قيئاً- خلال دقائق.

وكانت الحالة الصحية للمرضى لا تصل مرحلة الخطر حتى يبدأ معهم القيء، فإذا بدأ القيء لدى المريض تدهورت حالته الصحية وضعفت قوته وتلاشت مقاومته، وتنعدم إمكانية استفادته من الطعام أو الشراب عن طريق الفم، لأنه لا يستقر في جوفه شيء فهو يقيء كل بضع دقائق سواء كان في معدته شيء أم لم يكن، فهو يقيء مادة رغوية مائية، ثم يشتد عليه الدوار والدوخة، ويقع إذا ما حاول الوقوف.

لذلك كان يحدث بل يكثر وقوع المصابين خلال ذهابهم إلى المرحاض، مما يؤدي إلى مشاكل أخرى عسيرة، هي تلوث ثيابهم مع عدم وجود ثياب أخرى بديلة خاصة، وأن إمكانية الغسيل والتجفيف معدومة في المهجع، فكنا نضطر أن ننزع شيئاً من ثيابنا ونتركه لهم ونحرص على معاونتهم خلال حركتهم، كما قد يعجل القيء المريض فلا يتمكن من الذهاب إلى المرافق أو أخذ وعاء القيء فيقيء على ثيابه وأغراضه، أو يتبرز دون أن يشعر في ثيابه.. كل ذلك كان محنة جديدة وموتاً وهلاكاً محققاً يحق للمعتقلين في سجن تدمر تحت سمع المسؤولين وبصرهم وهم غير آبهين أو ملتفتين.

في الساعة العاشرة من صباح اليوم جاء الطبيب ينظر إلينا عن بعد وهو كاره قرف بينما الممرض يدور حوله ويقوم بإلقاء بعض الأسئلة وقياس ضغط لبعض المرضى المدنفين، ثم وزع علينا الممرض بعض الحبوب وطلب (سطلاً) من الماء فحلّ بعض المواد فيه، وطلب منا أن نشرب منه بكثرة وأخرج له المدنفون إلى الباحة فأخذ يعلق لهم أكياس السيروم في العراء بواسطة بعض الأوتاد التي كانت في الجدران.

13/5/1981

نظم بعض الأخوة المعتقلين من ذوي الخبرة الطبية، مناوبة ليلية للسهر على المرضى من ذوي الحالة الخطيرة والعناية بهم طوال الليل، وفي منتصف ليلة البارحة توفي الأخ المعتقل ناصح شنطيبي وهو من مدينة دمشق، وذلك بعد خمسة أيام من الإسهال والقيء الشديدين.

ضربنا الباب حتى حضر الحرس الموجود على السطح، فأبلغناه بالحادثة وبعد قليل جاء رئيس الجلادين المساعد أحمد مع نفر منهم، ولما علموا بالأمر أظهروا الشهامة، وتمنوا الموت لنا جميعاً، بينما كان المساعد أحمد رئيس الزبانية يقف بعيداً عن باب المهجع وقد لفّ رأسه بـ (لفاحة) وغطى بها فمه وأنفه خوفاً من هواء مهجع الكوليرا، وهو صامت من الخوف، وطلب الزبانية إخراج المتوفى فأخرجناه على بطانية ووضعناه في الباحة ومن ثم حمل إلى مثواه المجهول في حفرة في صحراء تدمر.

في الوقت نفسه كان مريض آخر في مرحلة الخطر وقد غاب عن الوعي، فسارعنا بإبلاغ الزبانية عن حالته ولكن رغم مضي الوقت لم يأت الطبيب فاضطررنا إلى ضرب الباب الحديدي وإبلاغ الحرس بالأمر، وبعد مدة من الزمن جاء الطبيب غاضباً حانقاً لأننا قطعنا عليه نومه، وأطل علينا من النافذة الصغيرة الموجودة في الباب وصرخ بحدة (إيش بدكن ولك حقراء..) فأخبرناه بالمريض المغمى عليه فقال: هاتوه لهون، فحملنا المريض إلى أمام الباب حتى أبصره فخاطبه: إيش فيك ولك؟ للصبح بداويك..! ثم أغلق النافذة الصغيرة ومضى.. أحد الأطباء المعتقلين لم يحتمل هذا الموقف المخزي من طبيب مثله، فتفل جهة الباب وقال: أين اليمين التي أقسمتها يا دكتور؟ أن تكون إنسانياً وأن تسارع إلى إسعاف المرضى، وأين شرف المهنة؟..

وتابع الزبانية اليوم جلب المصابين من مختلف مهاجع السجن وتابع الطبيب طريقته في النظر إلينا من بعد، بينما يقوم الممرض بالعلاج القليل القاصر، ولكن عدد المصابين قد زاد كثيراً ولم يعد المهجع (13) يستوعب هذا العدد الكبير من المرضى، فأفرغ الزبانية قسماً من المهجع (12) ذي الحجم الكبير ونقلوا إليه، فحملنا المرضى المدنفين على البطانيات ونقلناهم إلى المهجع الجديد.

قام الزبانية البارحة بنقلنا من المهجع (12) إلى المهجع (34) في الباحة الخامسة بعد أن ضاق عن استيعاب من فيه من المصابين بوباء الكوليرا وغيرهم، وخلال الليلة الماضية توفي معتقل آخر لم أعرف اسمه وضربنا الباب فلما جاء الزبانية أخرجناه إليهم وأخذ إلى مثواه المجهول.

20/5/1981

كان واضحاً أن الزبانية في سجن تدمر يشعرون بخوف شديد من وباء الكوليرا المستشري في السجن، فما عادوا يقتربون من المعتقلين بأي حال بل وما عادوا يجسرون على دخول المهاجع، بل صار يرعبهم هواؤها وكان هذا بالنسبة لنا أمراً غريباً، فبعد أن كنا نخاف مجيء الزبانية ونرهبه ونحسب له ألف حساب، إذا بالأمر ينعكس بقدرة الله سبحانه فكنا نشعر بالأمان من كيد الزبانية وفجورهم، وإذا حدث مرة واقترب أحد المعتقلين من الزبانية فإنهم كانوا يهربون منه فزعين، ويبدو أن المسؤولين أحسوا بأن الأمر يكاد يفلت من أيديهم، فسارعوا إلى اتخاذ الإجراءات المناسبة ليعيدوا إلى الزبانية ثقتهم بأنفسهم، فكثرت إجراءات العلاج وعمليات التنظيف الصورية في المهاجع والباحات، والتي كانوا يجبرون المعتقلين على القيام بها يومياً وتستمر من الصباح حتى الظهيرة إلى أن عادت الثقة والعنجهية شيئاً ما إلى نفوس الزبانية المنهارة.

(عودة العذاب) 6/6/1981

دفع المسؤولين في سجن تدمر العسكري بعض الجلادين إلى العمل على ضرب المعتقلين وتعذيبهم في محاولة منهم لتنشيط عمليات التعذيب، وتشجيع الزبانية ليتغلبوا على عقدة وباء الكوليرا التي أرعبتهم زمناً.. فكان الجلاد سمير والملقب بـ (حيو) لا يكف عن ضرب المعتقلين وتعذيبهم في كل مناسبة حتى تشجع آخرون واندفعوا يضربون المعتقلين ويعذبونهم في التفقد والحلاقة والتنفس.. ويتفننون في ذلك (والعذاب في القسوة والحقد) ففي كل تفقد ما أن ينتهي الرقيب من عدنا (ونحن نقف في صف خماسي في الباحة) ويعطي الأمر بدخول المهجع واحداً واحداً حتى يقف واحد أو اثنان من الجلادين بالكرابيج يضربوننا قرب الباب بقسوة ويصرخون فينا ويستعجلوننا: (بسرعة ولك) وحيث أن الباب ضيق ولا يتسع مع السرعة لدخول أكثر من واحد، فتحدث الأزمة على الباب ويشتد التدافع بحيث يتأخر الدخول.

ولم يكن ذلك في صالحنا.. وكنا نتواصى بأن ندخل بالترتيب والنظام واحداً واحداً ولكن ما إن يسير الرتل الأول ويهجم الجلادون بالضرب على الأرتال الباقية حتى يضطرب الأمر فالضرب والعذاب لم يكن أمراً سهلاً ومع ذلك كان كثيرون يقفون ببرودة

أعصاب لا يغادرون مكانهم ولا يتحركون إلا بنظام.. فلا يلقون إلا الضرب والعذاب ليكونوا الفداء لإخوانهم.

البارحة خلال التفقد وقف الجلادون قرب الباب يضربون واحتدمت المدافعة والضرب قرب الباب وعلى الصفوف وتصايح الجلادون.. ودخلت إلى المهجع بعد ضربتين قويتين إحداهما على الرأس.. (الخوف غريزة إنسانية) فيأبى الخوف إلا أن يثور في الصدر، ووقفت داخل المهجع حائراً.. متألماً لا أدري ما أفعل لإخواني الذين تكاثروا على الباب وغص بهم، وكانوا يدخلون خائفين مرعوبين أو مصابين.. ودخل أبو عبد الرحمن من الباب كان وجهه البريء الصادق التعبير يرسم صورة معبرة للخوف والرعب لا يمكن لأي فنان أن يصوره على حقيقته.. تذكرت إكرام الله للمسلم وأن النبي صلى الله عليه نهى عن ترويع المسلم.

اليوم رأينا ابتكاراً جديداً في التعذيب لم نعرفه من قبل، فما إن انتهى الرقيب من ضبط العدد وأصدر أمره بالدخول.. حتى اندفع بعض الجلادين يضربوننا كالعادة ولكن أحد الجلادين اندفع بحمية جاهلية وغل شيطاني فحمل سطلاً كان قرب الباب وأخذ يضرب بحافته السفلى الحادة والتي تبرز عن أرضيته بحوالي 3 – 4 سم يضرب بحافة السطل رؤوسنا فلا يصيب واحداً إلا شجّه وجرحه.. وكان يصرخ بوحشية.. واندفعنا إلى باب المهجع نحاول أن ندخله بسرعة كبيرة فكنا نقذف بأنفسنا فيه معرضين أنفسنا للاصطدام بالباب نفسه وله يد كبيرة تبرز مسافة (8)سم فكانت تشكل نتوءاً حديدياً مرعباً يمكن أن يكسر اليد أو يجرح الجسم.. وكنا معرضين للاصطدام بالحائط أو الوقوع في الباب لسبب ما.. وقد اصطدمت بالباب الحديدي وجرحت يري.. وكان في المهجع بعد التفقد أكثر من عشرين جريحاً..

المحاكم الميدانية

كانت نتائج محاولة اغتيال حافظ أسد بتاريخ 1980/6/26 رهيبة إلى حد كبير، فبعد (مجزرة تدمر) التي دبرها رفعت أسد في غضبة عارمة وذهب ضحيتها مئات المعتقلين، اتخذت إجراءات أخرى صارمة وشديدة الوطأة لاجتثاث الإخوان المسلمين خاصة والمعارضين عامة، ولعل أشد هذه الإجراءات (القانون 49 الذي صدر بتاريخ 1980/7/7) والذي نص على اعتبار الانتماء إلى الإخوان المسلمين خيانة عظمى عقوبتها الإعدام، وترك مدة شهر واحد اعتباراً من تاريخ صدوره ونشره لكل من كان من الإخوان أو له علاقة معهم، ليتقدم منسحباً ويقدم تقريراً مفصلاً عن ما يعرفه عن التنظيم، مع عدم شمول هذه المهلة للمعتقلين.

ويقال أن المعتقلين قبل صدور هذا القانون يخضعون لقوانين أخرى مثل قانون الطوارئ الكثيفة، التي صدرت على المعتقلين (من قبل ومن بعد..) وشكلت لتنفيذ مضمون القانون (49) ثلاث محاكم على الأقل.

المحكمة الأولى: برئاسة غازي كنعان (نصيري – 35 سنة) ممتلئ الجسم متوسط الطول أسود الأسنان كثير التدخين، وهو يشغل إضافة إلى ذلك منصب رئيس فرع المخابرات العسكرية بحمص، وهو قريب لحافظ أسد.

واختصت محكمته بمحاكمة المعتقلين في فروع المخابرات العسكرية في المحافظات، وكان مقرها في مركز فرع المخابرات العسكرية بحمص، مدة من الزمن ثم انتقلت إلى سجن تدمر.

المحكمة الثانية: برئاسة ضابط سني كبير وعضوية ضباط آمرين، أحدهم نصيري وكان النصيري يتصرف بأمور المحكمة كما يحلو له، وكان رئيس المحكمة اسمياً فقط، ومقر هذه المحكمة هو سجن المزة العسكري، وتختص بمحاكمة المعتقلين الواردين إليها من فروع المخابرات العسكرية المختلفة.

المحكمة الثالثة: برئاسة النقيب سليمان حبيب (32) سنة نصيري متوسط الطول، نحيف الوجه، ضئيل الجسم، معقد الشخصية، لا يدل ظاهره الهادئ على نفسيته القاسية، ولكن محاوراته ومداوراته للمعتقلين، ومحاولته الإيقاع بهم تكشف عما يحمله من كره شديد للإخوان المسلمين.

وتختص هذه المحكمة بمحاكمة المعتقلين الواردين عن طريق مخابرات أمن الدولة، وكان مقرها في مركز مخابرات أمن الدولة (285) كفرسوسة في بناء المعتقل القديم الطابق العلوي الغرفة قبل الأخيرة، في الممر إلى اليمين، ثم انتقل مقرها إلى سجن تدمر العسكري.

اشتد الإصرار على معتقل تدمر العسكري وزادت الثقة به (بعد المجزرة) وبدت له أهمية كبيرة.. خاصة وأنه مهيأ لدور جديد هام.. نعرفه من الاسم الذي أطلق عليه، وهو مركز التطهير الوطني لتصفية الإخوان المسلمين (ومن والاهم من المعارضين جميعاً) كما استحدث للسجن نظام جديد.. أشد قسوة وسوءاً عن ذي قبل، ويتلاءم مع الهدف منه.. وهو التصفية الجسدية والفكرية، وأعطيت الأوامر لأجهزة المخابرات وفروعها المختلفة لتجهيز المعتقلين لديها بالتحقيقات اللازمة، وإرسالهم إلى سجن تدمر العسكري لصالح (المحكمة الميدانية) هذا بالنسبة للفروع العسكرية في المحافظات، أما في دمشق فإن المعتقلين الموجودين لدى جهاز المخابرات العسكرية بدمشق أو الواردين إليها بصورة من الصور أو سبب من الأسباب، يحاكمون لدى المحكمة العسكرية الثانية في سجن مزة العسكري.. أما جهاز مخابرات أمن الدولة فيجمع المعتقلين من فروعه في المحافظات، ليعرضوا على القاضي العسكري في المركز الرئيسي، معتقل كفرسوسة بدمشق، ويرسلوا إلى سجن تدمر للتنفيذ ثم بعد ذلك تغير الأمر وأخذوا يرسلون المعتقلين فوراً إلى سجن تدمر لإجراء محاكمتهم هناك.
أفواج المعتقلين الأولى إلى سجن تدمر

أخذت أفواج المعتقلين تأتي إلى سجن تدمر العسكري (بعد المجزرة) وقد نظف ودهن وهيئ، فكانت أول دفعة وصلت سجن تدمر بتاريخ 1980/7/16 (3 رمضان) ثم دفعة في منتصف الشهر الكريم أي 1980/7/27 ودفعة بتاريخ 1980/8/9 وكان عددها (100) معتقل ملء باصين كبيرين جيء بهم من مدينة حلب من سجن المسلمية وغيره وصلوا إلى سجن تدمر في السابعة صباحاً، وتهيأ لاستقبالهم وتعذيبهم جهاز السجن فأخذوهم ووضعوهم في الباحة رقم (1) باحة الاستقبال أو التعذيب، وتجمع لتعذيبهم أكثر من (100) جلاد، ونظم لهؤلاء المعتقلين المساكين حفل من العذاب الرهيب، استمر من الساعة السابعة صباحاً وحتى السابعة والنصف مساء، وكان جميع المعتقلين في هذه الدفعة صائمين في تلك الأيام المباركة الأخيرة من شهر رمضان.. ثم وضعوا في المهجع المزدوج (5 و 6) في الباحة الأولى.

وكان نتيجة هذا اليوم الهائل (والذي كان يتكرر مع مجيء كل دفعة من المعتقلين إلى سجن تدمر) إن خروج هؤلاء المعتقلون من حفلة التعذيب مشوهي الوجوه ممزقي الظهور والأرجل والأيدي، متورمي الرؤوس مع كسور متبدلة كاملة وكسور في العمود الفقري وغيره.. وحتى بعد عام ونصف كان اثنان من هذه الدفعة لا يستطيعان الوقوف والمشي، بل يسير أحدهما على يديه ورجليه، ويسير الآخر محني الظهر بشكل زاوية حادة. وجاءت دفعة صباح العيد بالذات (عيد الفطر) وكان عدد أفرادها (60) معتقلاً، واستمر تعذيبهم غالب النهار (نهار العيد) وجاءت أول دفعة من مركز مخابرات أمن الدولة (كفرسوسة) بدمشق إلى سجن تدمر يوم 1980/8/19 وكان تعداد أفرادها (70) معتقلاً كان منهم الشيخ محمد خير زيتوني (45) عاماً من علماء حلب، والذي يحفظ القرآن كله، والأستاذ المهندس رياض جعمور، من حماة وهو الوحيد الذي نجا من المجموعة التي أعدمت بتاريخ 1979/6/28 وهو يحفظ القرآن الكريم كله.

جاءت الدفعة الثانية بتاريخ 1980/8/30 وعدد المعتقلين المنقولين فيها (37) معتقلاً منهم إمام مسجد الشيخ فتوح بإدلب: الشيخ وليد شعبان، وهو مدرّس في المدرسة الشرعية. ومنهم الشيخ أسامة خواشكية (40) سنة من دمشق حي الميدان، وهو خطيب ومدرس في سجن القلعة بدمشق، ومنهم مدرب الكاراتيه في الكلية الحربية بحمص، محمد مصدق طرابلسي.. وغيرهم..

ودفعة بتاريخ 1980/9/10 كان فيها مجموعة من تلاميذ المدارس (الأحداث) ومن معتقل المزة العسكري أخذت تفد دفعات من المعتقلين أيضاً وهم الذين جرت محاكمتهم هناك وضاق بهم سجن المزة، فحولوا إلى سجن تدمر العسكري.

ثم وصلت دفعة بتاريخ 1980/8/22 من ثمانية أشخاص منهم الأستاذ أحمد سالم – دير الزور، ودفعة بتاريخ 1980/8/29 من (15) معتقلاً عسكريين ومدنيين وفلسطيني ولبناني..

وتتابعت الدفعات.. فكانت تأتي الدفعات إلى سجن تدمر على مدى خمسة أيام من كل أسبوع.. ولكل محافظة موعد تحضر فيه المعتقلين لديها وكان عدد المعتقلين في الدفعة ما بين (20 – 80) معتقلاً، وحيث أن كلاً من المهاجع (4 و 5 و 6) تطل على الباحة رقم (1) باحة الاستقبال (التعذيب) لذلك كان نزلاء هذه المهاجع في أيام وصول الدفعات يجلسون طوال الوقت وهم في هم وغم وكرب وعذاب،
يستمعون إلى (النشيد المر) وهو صراخ المعذبين وهم يستغيثون ويتألمون بأصوات تفطر القلوب القاسية، وأصوات الكرابيج والعصي وهي تضرب وتهبد وتعوي في لحن مرعب رهيب لا يهدأ ولا ينقطع، وأصوات الجلادين وهم يصرخون في وحشية زاجرين آمرين منتشين/ هازئين يسبون ويجدفون.

المحاكمات

إن المحاكم الميدانية التي شكلت كردة فعل غاضبة عنيفة على نشاط مجاهدي الإخوان ومحاولة الاغتيال بشكل مباشر تهدف إلى أمور بعيدة الغور، وأن الأشخاص الذين سموا قضاة لتلك المحاكم هم في المحكمتين الأولى والثالثة ضابطان نصيريان من أشد المقربين من حافظ أسد، والغاضبين له والمتعصبين للطائفة، بل وكانا يلتهبان حماساً للدولة الطائفية النصيرية.. ويحملان كرهاً شديداً لجماعة السنة عامة والإخوان خاصة، لذلك كان بديهياً وقد أطلقت أيديهما –تحت اسم القانون- أن يقوما بالتنكيل بالإخوان ومن يواليهم، ولم يكن في هاتين المحكمتين العسكريتين الميدانيتين أي صورة للمحاكم المعروفة، إنما تتمثل المحكمة كلها في شخص الضابط الطائفي النصيري المتحمس..

ولعل المحكمة الثانية التي مقرها معتقل المزّة العسكري، هي الصورة التي أريد لها أن تبدو طبيعية للناس، فهي قريبة منهم مع أنها فعلاً (صورة فقط) تنفذ ما يمل عليها من أوامر، وتتلو ما يوضع لقضاياها من أحكام.

وعلى ضوء هذه المعطيات الغريبة كانت النتائج (كما هو متوقع) رهيبة لا تكاد تصدق ولا في الخيال وذلك بأن يعدم العشرات والمئات دورياً وباستمرار رتيب.. ولنبدأ القصة منذ أولها.

باشرت المحاكم الميدانية الثلاث أعمالها في محاكمة المعتقلين بعد عيد الفطر لعام 1399هـ الموافق لشهر آب 1980 ففي مقر المحكمة العسكرية الميدانية الأولى في سجن تدمر، طلبت قوائم طويلة من أسماء المعتقلين في سجن تدمر العسكري – للمحاكمة أمام المحكمة الميدانية الأولى، لدى العقيد غازي كنعان- واستخرج هؤلاء المعتقلين من المهاجع المغلقة، وأخذوا تحت الضرب الشديد إلى باحة المكاتب حيث غرفة المحكمة فأوقفوا في صف طويل ووجوههم إلى الحائط.. ليؤخذوا بعد ذلك واحداً واحداً إلى غرفة المحكمة فيسألهم العقيد بضعة أسئلة عن الاسم والعمر وعن بعض نواح من التحقيق، ولم يكن هناك مجال للمعتقل للكلام والإبانة فإن إجابته يجب أن تكون (نعم) دائماً، وإلا تعرض لما هو أشد من الموت من العذاب..

ويصرفه القاضي بكلمة سباب.. أو تهديد.. ولا يعلم المعتقل المسكين مدى صدق هذا التهديد.. وجديته.. حتى يجد نفسه، مساقاً إلى الإعدام، في الزاوية الجنوبية الغربية من سجن تدمر العسكري.

كان الجلادون المدربون على الجلد والتعذيب وغيره ينقضون على المعتقلين المساكين الواقفين بانتظار المحاكمة يضربونهم ويعذبونهم بقسوة طوال الوقت.. ومن أدوات العذاب (الكرباج الثخين – العصا الغليظة الطويلة، والمسلّة) والمسلة إبرة ضخمة من الحديد مدببة الرأس طولها (15)سم وقطرها (3)مم تقريباً، يخزون بها المعتقلين في آلياتهم وخواصرهم ووراء آذانهم.

في المحكمة

عندما يطلب المعتقل للدخول إلى قاعة ما يسمونها المحكمة في سجن تدمر، يجذبه الجلاد ويضربه ويدفعه إلى باب الغرفة، فإذا دخل باب غرفة المحكمة تلقاه جلاد عنيف فيضربه بالكرباج على أم رأسه حتى يقف أمام القاضي.. أصم أبكم لا يجيب على كل سؤال إلا (بنعم.. نعم.. أنا سيدي) وإذا دفعه دافع ما أو تحرك في نفسه أمل بأن ينفي بعض التهم الفظيعة التي دبجت له في أقبية المخابرات تحت ظروف قاهرة رهيبة فيها العذاب والتحطيم والرعب.. غضب عليه القاضي وانتهره وسبه وشتمه وهجم عليه الجلاد بإشارة من القاضي، فضربه فإن ثاب إلى الإذعان وإلا أخرج إلى الدولاب وسلق بضرب كثيف عنيف حتى يغمى عليه، فيصبون عليه الماء ويحاورونه فإن عاد عادوا.. حتى يضطر إلى الاعتراف بما فعل وما لم يفعل، ويسلم أمره لله.. ويترك الأمر لعدالة السماء.. عند من لا يضيع عنده حق، ولا يرضى بظلم..

عرف بيننا نحن المعتقلون أن التنصل من أي تهمة وردت في التحقيق أمر غير ممكن، فقررنا أن نجيب القاضي بالإيجاب على كل سؤال.. تخلصاً من العذاب، وكنا نقول فليكتبوا ما شاؤوا وليحكموا بما أرادوا، الموت ولا العذاب، وكان بعضهم يتمثل خلال المحاكمة بالآية الكريمة (فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا).. وكان كل همّنا بعد ذلك أن ندعو الله أن يصرف عنا كيدهم وينقذنا من تحقيقهم وعذابهم، فكل ما يسألوننا عنه أو يتهموننا به نحن مستعدون للموافقة عليه.. والاعتراف به.. وفي المحاكمة: لم يكن هناك أي أثر لإجراءات المحاكم المعروفة وطرائقها، فلا وقائع جريمة ولا إثباتات ولا شهود ولا دفاع.. بل اعتراف واعتراف.. ولم يكن هناك نطق بالحكم معلل محترم بل يتكرم القاضي ببصقة على المعتقل، مع كلمة سباب فاحشة ويقول له: بدي أعدمك يا (عرص).

ومن أحكام هذه المحكمة:

1 – الإعدام ويحكم به عل كل من اعترف على نفسه أو اعترف أحد عليه أنه منظم في تنظيم الإخوان العسكري، وكل من له علاقة خدمة أو عمل بهذا التنظيم، ولعل

الأهم أنه: يحكم بالإعدام أولاً وأخيراً على كل واحد أثارت قضيته أو شخصيته أو كلامه – القاضي.. المحترم..

2 – الحكم غير المبلغ: حيث لا يبلغ القاضي المحكوم شيئاً ويبقى الحكم مجهولاً، وهذا الحكم غالباً لكل من له علاقة (بتنظيم) الإخوان المسلمين في وقت ما، ولعل هذا الحكم إنما هو الإعدام المؤجل التنفيذ.. أو التصفية الجسدية بالمعاملة السيئة والعذاب الشديد والظروف البيئية القاتلة.

3 – المؤبد والـ (15) سنة لمن كانت له علاقة من قبيل التعاطف والتستر أو تأدية خدمة لمنظم.. أم كتم معلومات.

4 – السجن (6) سنوات للأحداث دون (18) سنة ويحكم على الحدث الذي له علاقة بالتنظيم المسلح بالإعدام، وينفذ فيه إذا بلغ سن الثامنة عشرة خلال مدة الاعتقال.

5 – البراءة، وكان العقيد يصدر حكمه في كثير من الحالات بالبراءة إذا لم يثر من ناحية، ولعدم وجود أي تهمة يمكن أن توجه للمعتقل من ناحية أخرى.. ومع ذلك كان هؤلاء الأبرياء.. يضمون إلى الأبرياء الآخرين الذين حكموا ظلماً بمختلف الأحكام، ويخضع الجميع للاعتقال مدة غير معلومة تحت ظل المعاملة السيئة المميتة والعذاب.. في سجن تدمر الصحراوي.

ملاحظات:

1 – كانت مدة المحاكمة ما بين (2 – 5) دقائق.

2 – أول دفعة سمعت أنها أخذت للإعدام كانت بتاريخ 1980/8/19 وكان مجموع من أعدم فيها (60) شخصاً.

أعمال المحكمة الميدانية في سجن المزّة العسكري بدمشق..

وفي مقر المحكمة العسكرية الميدانية الثانية في معتقل المزّة العسكري بدمشق بدأ النشاط لمحاكمة دفعات متوالية من المعتقلين ضمن صورة معينة من الإجراءات الصورية، حيث يطلب المعتقلون أولاً للاستجواب من قبل المحكمة (وهو شكلي) والضابط المسؤول عن الاستجواب (نصيري) يثبت ما يريده، ثم جلسة الحكم وفيها يوضع المعتقلون المحاكمون في قفص حديدي، ثم تقرأ عليهم الأحكام ويؤخذون بعد ذلك إلى مهاجعهم.

وكانت هذه المحكمة لدى الاستجواب تلين للبعض القليل، فتسجل لهم إنكارهم وتنصلهم وتثبت لهم ذلك في ضوابطها وتقسو على الباقين، وتعرض عما يقولون وترفض أن تسجل لهم أقوالهم وإنكار ما نسب إليهم من تهم وتنصلهم منها.. كما يجري التلميح للبعض بالحكم مسبقاً حتى أصبح معلوماً لدى المعتقلين هناك

بالتجربة ونقلاً عن مصادر معينة أن (الأحكام هذه) توضع لهذه المحكمة من فوق، من قبل شخصين طائفيين كبيرين هما: علي دوبا رئيس المخابرات العسكرية، .وعلى حيدر قائد الوحدات الخاصة

ولم يكن في هذه المحكمة مناقشة للتهم والأدلة والإثباتات ولا دفاع ولا غيره من .إجراءات المحاكم المعروفة

:وتتكرر في هذه المحكمة صورة الأحكام تقريباً فهناك من الأحكام

الإعدام: ويحكم به على العسكريين الموالين للإخوان، أو المنظمين في الإخوان – 1 وعلى تجار السلاح الموردين للإخوان، وكانت أحكام الإعدام أكثر ما تكون للضباط وكان هؤلاء يتلقون هذه الأحكام بصورة غريبة تدل على ما يعتمل في نفوسهم من ألأم وقهر، فكانوا يجهرون بالتكبير، ويعلنون للقاضي وللمحكمة وللملأ آراءهم في الدولة والتسلط الطائفي النصيري، والعداوة للدين، ويتهمون القاضي وهيئة المحكمة بأنهم أجراء قد باعوا ضمائرهم وتخلوا عن شرفهم، ومالئوا الباطل، فقد قال أحدهم وهو ضابط طيار: إنما أقتل هاهنا لأني رفضت أن أكون خائناً لضميري ووطني ولشرفي العسكري لأني رفضت كل هذا الزيف والباطل والسوء والفساد الذي يعشش في رؤوسكم ورؤوس أسيادكم، وإنما أقتل في سبيل الله. إن هذه الدولة كافرة عدوّة لله وللدين وإنما أنتم أيها الجالسون أمامي على كراسي القضاة أجراء لأسيادكم الظلمة، وقد بعتم ضمائركم في سبيل المال والمنصب.. وقام ضابط آخر: فأعلن بالأذان الله أكبر الله أكبر وكان حكم الإعدام ينفذ في زنازين سجن المزّة العسكري (للمدنيين ورمياً بالرصاص للعسكريين) فتعصب عينا المحكوم بالإعدام ويوضع في زنزانة انفرادية ويدخل عليه الجلاد (وهو يدعى أبو محمد) ومعه مسدس (9) مم فيطلق عليه رصاصتين إحداهما في الرأس وأخرى في القلب.. ويقبض ..الجلاد المبلغ (50 – 100) ل. س عن كل عملية

الحكم المجهول: أو غير المبلغ نفسه ما يجري في المحكمة الأولى وهو لك من – 2 .له علاقة بتنظيم الإخوان في أي وقت ولم يثبت له فعالية أو نشاط

.المؤبد وال (25) سنة: وكان كثيراً جداً – 3

سنوات و (5) سنوات: وهو قليل وهو على الغالب لمن يشك في ذنبه (10) – 4 وجريرته وكل المحكومين بهذين الحكمين أو الأحكام الأربعة ممن لا علاقة لهم بتنظيم الإخوان قطعياً (عملياً أو فكرياً) وإنما هم تجار وعمال ومهربون وسائقون .وعسكريون وغيرهم

ومن المحاكمين أمام هذه المحكمة (خاصة) عدد كبير من البعثيين (اليمنيين) وأعدم .عدد منهم وحكم الباقون بأحكام مختلفة

.حكم البراءة ويحكم به على عدد محدود من المعتقلين – 5

وبعد تنفيذ أحكام الإعدام، في نفس سجن المزّة كانت تجرى إحالة المحكومين الذين عرضوا على المحكمة أو أغلبهم إلى سجن تدمر العسكري (سجن الموت) أو ما يسمى مركز التطهير الوطني لتصفية الإخوان المسلمين ويساق هؤلاء بشكل مفاجئ إلى سجن تدمر، وكان شائعاً بين الجميع (قضاة وجهاز مخابرات وسجانين وغيرهم) أن من يؤخذ إلى سجن تدمر في تلك الأيام فقد ذهب بلا عودة، ويعتبر بعد ذلك بحكم الميت، لذلك كان السجانون (من عناصر جهاز سجن المزة العسكري) يسلبون هؤلاء المعتقلين المنقولين إلى سجن تدمر كل ما يملكون بشكل أو بآخر، ففي إحدى الدفعات وكان عددها خمسة عشر شخصاً، جاءهم السجان فجأة فطلبهم بالأسماء، وطلب منهم وصول الأمانات وكان لديهم نقود وأموال أخذت منهم فوضعت لدى جهاز السجن (أمانة) وأعطوا (وصولات) بذلك، فأخذت وصولات أو إشعارات الأمانة منهم واستخرجهم الجلادون فوراً من الزنزانة الجماعية وهم يقولون لهم: اخرجوا بسرعة.. بسرعة.. فيقول الواحد منهم حتى ألبس ثيابي أو أحمل حاجياتي وآتي بساعتي، فيرد عليه السجان ما في حاجة اتركها.. أو بعدين بعدين.. حتى إذا خرجوا إلى باحة السجن وأغلقت وراءهم الزنزانة، قيدوا وحملوا في سيارة عسكرية مغلقة، وجيء بهم إلى سجن تدمر العسكري، حيث أصبحوا في شغل ..عن حاجياتهم ونقودهم وساعاتهم بما هم فيه من عذاب وإرهاب ورعب

بقيت كل (ساعاتهم) في عجالة النقل في سجن المزّة كما بقيت ثيابهم وكثير من نقودهم، سواء ما كان منها في الثياب أو ما كان أمانة لدى جهاز السجن، وكان لواحد منهم فقط وهو فلسطيني يدعى (أ. و. ع) مبلغ (5000) ل.س أمانة عند جهاز السجن في المزّة، إضافة إلى مبلغ (800) ل.س وساعة يد وثياب.. ومبلغ 180 ألف لمعتقل آخر احتجزت كلها لقمة سائغة للسجانين في سجن المزّة العسكري (أعمال المحكمة العسكرية الميدانية الثالثة)
في مركز مخابرات أمن الدولة الرئيسي في كفرسوسة الفرع (285) نشط النقيب سليمان لمحاكمة المعتقلين في مكتبه بالطابق العلوي من بناء السجن القديم، وهو الغرفة قبل الأخيرة في نهاية الممر إلى اليسار، فجلب له المعتقلون من مختلف الفروع وقد زودوا بالتحقيقات اللازمة، وأخذ النقيب (القاضي) يطلب هؤلاء المعتقلين واحداً واحداً، وكانت صورة المحكمة أقرب إلى التحقيق منها إلى المحاكمة، فقد كان النقيب سليمان يحرص أن يوقع بالمعتقل وهو يفترض أن كل ما جاء في التحقيق أمر مسلم به ولا يجوز إنكاره، وإذا حاول المعتقل التنصل من الاعترافات التي أخذت منه بالإكراه وتحت التعذيب الشديد، كان النقيب يرفض ذلك، ويهدد المعتقل بالعذاب والدولاب، بل وبالقتل رمياً بالرصاص يقول له (والله برشّك) وقد ينفذ تهديده بإرسال المعتقل للعذاب، ولم يكن يبلغ أي معتقل عن الحكم الذي .يحكمه به بل يعيده كما أتى دون أن يعلم حتى أنه أمام محكمة

وكانت الأحكام على ثلاثة أنواع:

1 – الإعدام: لكل من كان له علاقة بالإخوان المسلمين وعملهم المناهض لنظام أسد.

2 – الحكم المجهول: لكل من كان له صلة قريبة أو بعيدة بالإخوان المسلمين دون أي نشاط أو فاعلية.

3 – براءة: لمن ليس له علاقة بشيء حتى معرفة ولو عنصر أخواني واحد فقط.

ويحال جميع المحاكمين المحكومين إلى سجن تدمر العسكري لتنفيذ الحكم وحتى المحكومين بالبراءة يحالون إلى سجن تدمر العسكري، حتى إشعار آخر.. ولقد رأى النقيب سليمان أن معتقل المخابرات ليس فيه الرهبة والاحترام اللازمان لمحكمة وهكذا انتقلت هذه المحكمة إلى سجن تدمر العسكري، وصدرت الأوامر بنقل جميع المعتقلين لدى مخابرات أمن الدولة إلى سجن تدمر العسكري، بعد تزويدهم بالضوابط اللازمة لمحاكمتهم هناك، وبدا النقيب بأعمال محاكمة المعتقلين في سجن تدمر منذ أواخر عام 1980 على نفس منوال محكمة العقيد في تعذيب المعتقلين وإهانتهم واحتقارهم وسلبهم.

يلاحظ أن السرية التامة كانت تلف المعتقل منذ ساعة اعتقاله.. فلا يدري أهله ولا الناس ما يجري له من تحقيق وعذاب وغيره، وربما يموت تحت التحقيق ويدفن وأهله ينتظرون عودته، ولا يعلمون من أمره شيئاً، فإذا نقل المعتقل إلى سجن تدمر انقطعت أخباره تماماً وكأنه فارق الحياة.

أما المحاكمات ذاتها التي تتم في سجن تدمر العسكري مركز التطهير والتصفية فهي سر من الأسرار الغامضة.. ولا يجوز أن يعلم أحد عنها شيئاً في طول البلاد وعرضها، ولا في أي مكان ولا عما تحكم به ولا ما تنفذه، إلا أخبار يسيرة بين كبار رجال المخابرات والمسؤولين، وقد أكون نقلت صورة ما عن هذه المحاكم.. ولكن الأصل الواقع كان ولا يزال أشد سوءاً وشناعة.
20 حزيران 1981 حقد على الصلاة والمصلين
في الرابعة والنصف صباحاً كان المعتقلون في مهاجع سجن تدمر نائمين فالحركة في ذلك الوقت ممنوعة حسب نظام السجن، وكان العريف "فواز" قد استيقظ في ذلك الوقت من الليل يريد أن يضبط حركة المعتقلين وأن يضبط المصلين خاصة فإن له معهم حساباً عسيراً، فتسلل في جنح الظلام إلى أسطحة المهاجع وأخذ يراقب المعتقلين في كل مهجع فترة من الزمن، وكان يقف في مكان منزو بحيث يراهم ولا يرونه، ويترقب من يتحرك منهم، وكان المعتقلون نائمين وقد اختلطت أجسادهم وتشابكت أطرافهم، وكان بعض المعتقلين يريدون الذهاب إلى دورة المياه لقضاء الحاجة، فيتحينون الفرصة المناسبة ويقومون إلى دورة المياه.

ضبط العريف تحرك هؤلاء فصرخ فجأة بصوت منكر: ولك رئيس المهجع، وكرر الصراخ حتى قام إليه رئيس المهجع، فأمره أن يخرج من دورة المياه من المعتقلين وأن يعرفهم ويقدمهم له في الصباح حين قدومه مع الزبانية، ثم سبّ وشتم وهدد وتوعد وحدد الجريمة فقال: (متصلوا يا عرصات.. الصبح بفرجيكن) وقبيل مجيء الجلادين في الصباح، كان في المهجع كمواقف إيثار رائعة، فقد طلب رئيس المهجع ثمانية معتقلين ليقدمهم للعريف فواز ليتحملوا العقوبة الرهيبة عن زملائهم، فتقدم المعتقلون الشباب في رجولة يقدمون إخوانهم الآخرين بأنفسهم، وجاء العريف مع عدد كبير من الزبانية وكلهم ممتلؤون حقداً وغلاً، وطلب من سمّاهم المجرمين (اللي ميصلو) فخرجوا إليه فانقضّ عليهم الجلادون وأخذوا يضربونهم ويعذبونهم بوحشية دونها وحشية وحوش الغاب، وظن بعض المعتقلين أن العريف "فواز" يشتط بدافع من حقده وأن الرقباء والمسؤولين الآخرين لا يقرونه على فعله وإجرامه، فتجرءوا وشكوا إلى أحد الرقباء ما جرى وما فعل العريف "فواز" بل سأل بعض المعتقلين الرقيب: هل الصلاة ممنوعة؟ فثار الحقد الأسود في قلب الرقيب وانقضّ مع الزبانية على المعتقلين هؤلاء وأخذوا يضربونهم حتى ألقوهم أرضاً، وأخذوا يدوسونهم ويرفسونهم بأكعاب أحذيتهم، ولم يشتفوا أو يكتفوا فأخذوا نزلاء المهجع مجموعة وراء مجموعة يعذبونهم أشد العذاب، ويضربونهم أعنف ضرب، وحمل الرقيب الفاجر قطعة ضخمة من الإسمنت يصل وزنها إلى حوالي (10كغ) وأخذ يهبد بها المعتقلين على ظهورهم في وحشية.. عرف المعتقلون الجواب على أسئلتهم، وكان نتيجة هذه الحفلة الرهيبة من العذاب إصابات كثيرة منها إصابة المعتقل أبو جليل الذي يبلغ من العمر السبعين عاماً، فقد تحطمت أضلاعه وأصيب ظهره، فحمل إلى المهجع حملاً وأصيب المعتقل "أبو أسعد" وهو موظف في العقد الرابع من عمره أصيب بضربة على كليته، فساءت حاله وأخذ يبول الدم، وارتفعت حرارته حتى غدا .بين الموت والحياة

تموز 1/7/1981

منذ اقترب أوان الشهر الكريم رمضان، ونحن في حيرة وقلق لما سوف نلقاه من صعوبات خلال الشهر المبارك خاصة وأننا كنا مصرّين على الصيام مهما كانت الصعوبات. فنحن لسنا مسافرين ولا ندري هل نعيش إن أفطرنا حتى نقضي أم لا، وترقبنا أول يوم من رمضان فلما تأكدنا منه بواسطة المدافع الرمضانية التي أطلقت في مدينة تدمر تسحر البعض بلقيمات قليلة أو شرب جرعات من الماء، ونوى الصيام مضى أوان السحور وسمعنا أذان الفجر الندي، يرفعه المؤذنون في مساجد تدمر الله أكبر الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله باللهجة البدوية والصوت الحنون العذب، فهفت القلوب إلى طهر المسجد ونور المحراب وقدس الصلاة العظيم، ولكن لم يجسر أحد أن يرفع رأسه عن وسادته أو يقوم إلى الوضوء أو الصلاة لأن هذا حرام، .ممنوع في ظلام تدمر وفي نظام سجنها الرهيب

الفرز – النقل 10/7/1981

في اليوم الثالث من شهر رمضان 1401هـ ظهرت حركة غريبة في الباحة، الأصوات والحركات كانت تنبئنا بأن هناك مالا نعرفه! قالت بعض الإشاعات أن هناك تنقلات،

كان أملنا جميعاً أن تكون قضية نقل المعتقلين من سجن تدمر حقيقة، وتمنينا ذلك اليوم الذي نغادر فيه هذا المكان بأي صورة.

ولفنا الانتظار والقلق والترقب..!

وصل إلينا الدور أخيراً، فأمرونا أن نخرج من المهجع مع أغراضنا الشخصية فقط، فحمل كل منا ما يملكه من متاع قليل (عبارة عن ثياب قليلة، وملعقة خشبية وصحن وكوب بلاستيكي) وخرجنا بسرعة، فكل الأمور تجري بسرعة هنا، فأخذونا جانباً وخلال وجودنا في الباحة سمعنا من أوامر المساعد ذي الشوارب وهو مسؤول عن (قلم السجن) ما عرفنا منه أنهم قسموا هؤلاء إلى ثلاث فئات:

1 – المحكومين بالمؤبد + من لا يعرف حكمه.

2 – المحكومين بـ 10 سنوات – 15 سنة.

3 – المحكومين بـ 5 سنوات وما دونها إن وجد.

وعلمنا بعد ذلك أن كثيراً من هؤلاء كانوا من البعثيين (اليمينيين) وتجار السلاح، ومنهم من حكم بجريمة (سب الرئيس) فقط.

ووضع هؤلاء في المهاجع 9 – 10 – 11 في الباحة رقم 2.

كان الجلادون في هستريا من الشراسة والحقد، فهم لا يفتئون يصرخون فينا ويضربوننا بقسوة ويسبوننا بفاحش الكلام، ويهددوننا أشنع تهديد.

ضاق بنا الأمر وصعب الحال وضاعت الأمنيات والآمال (ورضينا من الغنيمة بالإياب) وتمنينا أن نفارق الجلادين ولو إلى ضمن جدران مهجع من المهاجع، أو زنزانة انفرادية.. انقض أحدهم على شاب مهندس قصير القامة، نحيف الجسم، وأخذ يضربه بالعصا حتى أنهكه، وقد تبيّن لنا أن رجله قد كسرت خلال ذلك، فحملناه حملاً وسرنا به مسرعين وهم يلاحقوننا بالضرب والسباب.

وهكذا أدخل قسم منا المهجع رقم (27) وقسم آخر المهجع رقم (28) وكنت من القسم الأول.

ولدى دخولنا المهجع وجدنا نزلاءه يقفون في صف خماسي وسط المهجع بانتظار التفقد الذي أزف وقته والذي يتم في الساعة الثانية بعد الظهر.

وجرى (فيلم) آخر من العذاب والقسوة والقهر.

فقد كان يجلس أمام الصف ومقابل باب المهجع عدد من المعتقلين الذين لا يمكنهم الخروج للتفقد الذي يتم في الباحة أمام الباب، والذي نخرج إليه راكضين وندخل راكضين معرضين للضرب والعذاب، مضطرين للتدافع والتزاحم.

كانوا من المرضى المدنفين والمكسرين والعاجزين عن السير لعاهة جسدية، فأغاظ جلوسهم هذا الجلادين، فجاءوهم إلى الصف واحداً واحداً حتى أعادوهم جميعاً إلا ثلاثة تركوهم بعد أن عذبوهم، اثنان لم يقدرا على الحركة، وواحد كان مقطوع الرجل من الفخذ. الفرز الثاني في 1981/7/17
وفي اليوم العاشر من شهر رمضان (1401هـ - 1981م) جاء الفرز الثاني وكأنه بداية انفراج أو تهيئة لإطلاق سراح بعض المعتقلين، فقد طلب عدد كبير من المعتقلين وكنا نعرف أنهم أبرياء، فلما طلب إليهم إنهاء علاقتهم بمن في المهجع، أملنا الإفراج عنهم قريباً، فودعناهم على هذا الأساس، علمنا بعد ذلك أن جهاز السجن جمع حوالي (150) معتقلاً من المحكومين بالبراءة فوضعوهم بالمهجع رقم (8) توطئة لإطلاق سراحهم، وعلمنا أنهم يعاملون معاملة حسنة نوعاً ما.

وكان المتوقع إطلاق سراح هؤلاء على العيد بعد بضعة عشر يوماً، وقد بدا من جهاز السجن كثير من التجاوز في معاملة المعتقلين، فالكرباج اختفى من أيدي الشرطة والضرب في التفقد والحمام أصبح نادراً، وكان التنفس النادر (غريباً) فقد وقف الشرطة جانباً وتركونا نسير في صف ثنائي على أطراف الباحة بل تجرأ بعضنا ورفع رأسه وشاهدت لأول مرة مئذنة المسجد القريب في مدينة تدمر، كانت ترتفع شامخة في الفضاء تناطح زرقة السماء في استعلاء وإباء وقوة، فملأت قلبي مشاعر الحنين إلى المساجد وإلى الحياة الكريمة، فترحمت على العدالة وعلى القوانين والدساتير والأعراف، كيف ماتت ودثرت في سوريا الغالية وبقيت صورة لا حقيقة، وكيف غابت في تدمر غياباً تاماً.

ومع ذلك عادت المعاملة السيئة وظهر الكرباج من جديد، قبل العيد وعاد الضرب والتعذيب كما كان، فالمعاملة هنا طبيعتها السوء والعذاب والتضييق فلن تغادر طبيعتها!
رمضان شهر الخير 1981/7/30
23 من رمضان 1401هـ إنه أول رمضان يمر بنا في سجن تدمر، ولما كانت حياتنا قاسية مرة، وضيقنا كبيراً ومحنتنا شديدة فقد كان لنا في رمضان فرصة كبيرة وملاذ، فالتجأنا إلى الله بالتوبة والإنابة والخضوع والخشوع والدعاء والاستغاثة والابتهال وقراءة القرآن والذكر في الليل والنهار، في كل حين نسأل الله من فضله وكرمه، ونجد لذلك لذة وسعادة وروحانية وأملاً وثقة وفرجاً.

كان الجلادون النصيريون يشعرون باستغراب كبير من صيامنا رغم العذاب والإرهاب، ورغم التقتيل ورغم الموت المحيط بنا من كل جانب، رغم النظام الرهيب الذي

يطبقونه علينا (بقصد تحطيمنا فكرياً وجسمياً وإذلالنا مادياً ومعنوياً، وغسل دماغنا من كل شيء سوى الخوف والجوع والألم) فلا يزال في النفس عزيمة للصيام..!

لذا كان العساكر الجلادون من ذوي المرامي البعيدة يسألون المعتقلين في مختلف المهاجع، صائمين ولك كلاب؟.. ويأتيهم الجواب بالإيجاب: نعم، ويعودون للسؤال فهم لا يصدقون: كلكم ولك حقراء.. ؟ : نعم..

ويحيرهم الأمر فيجدفون ويسبون ويفحشون، ولو عرفوا صدق التوبة وعظمة الإيمان ونور اليقين في قلوب هؤلاء المعتقلين المعذبين لهالهم الأمر وأجفلهم وأرعبهم وأخذ بمجامع عقولهم هذا إن كان لهم عقول؟

لم يكن الصوم يثير حقد النصريين (كالصلاة) كانوا يرونه أمراً بسيطاً ليس له قيمة (جوع وعطش) فكأن لسان حالهم يقول لنا مستهزئاً: (فجوعوا واعطشوا يا كلاب..!).
الكثافة ومشاكلها
5 آب 1981.. اشتدت الكثافة في مهجعنا وأصبح عددنا فيه (143) معتقلاً، كما اشتدت الكثافة في كل مهاجع السجن، فقد كنا نسمع صوت رؤساء المهاجع الآخرين خلال التفقد حين يسألهم الرقيب السؤال التقليدي: قديش عنك ولك؟ أي كم عدد المعتقلين في هذا المهجع، فيجيبه رئيس المهجع: كذا وكذا يا سيدي الرقيب.

وظهرت مشاكل كثيرة وصعوبات جمة نتيجة هذه الكثافة، فقد تضاءلت حصة الفرد من أرضية المهجع (350سم2) فقط.

وحيث أنا مجبرون حسب نظام السجن الذي يفرض علينا أن ننام من الساعة السادسة مساء وحتى الساعة السادسة صباحاً دون أي حركة أو قيام، فقد كنا نظل مضجعين هذه الفترة متلاصقين متدافعين على أرض المهجع التي ضاقت على من فيها أشد الضيق، حتى كنا نعاني من مزعجات هذه النومة أكثر مما نرتاح، وكان لهذه النومة سلبيات وأخطار أخرى منها عدم إمكانية استعمال المنافع والمراحيض إلا بشكل محدد خلال مدة الـ (12) ساعة هذه، فالنظام المفروض يمنع أن لا يتواجد في المنافع أكثر من شخص واحد لا غير خلال فترة النوم هذه.

ولم يكن إلا للتضييق على المعتقلين والإعنات عليهم، وقيل أن هذا الإجراء له أصل في نظام السجن سابقاً، حينما كان يستعمل كسجن للعسكريين الناشزين على أنظمة الجيش والمرتكبين لمختلف المخالفات والجرائم، وأنه كان يقصد به منع اللواطة بين أولئك المساجين حيث البيئة الفاسدة.

ولكن على فرض ذلك فأي مبرر لهذا الإجراء في بيئة المعتقلين هذه التي تسيطر عليها الأخلاق الفاضلة ويعمرها الصلاح والعفاف والتقى، ومن أخطار هذه النومة

الإجبارية تيسير سبل العدوى بالأمراض المختلفة وخاصة مرض الجرب العين، حيث تكون الأجساد متلاصقة متدافعة فينتقل مرض الجرب من شخص إلى آخر حتماً.

ومن مشاكل الكثافة أيضاً أنه أصبح من العسير علينا أن نغسل ثيابنا وأيدينا ووجوهنا أو أدوات الطعام مثل الملعقة والكوب والصحن، وكان أصعب شيء قضاء الحاجة، وخاصة مع وجود حالات الإسهال الشديدة المتكاثرة، إضافة إلى أن أحد المرحاضين ضيق الفتحة كثير الانسداد والتعطل، مما أوجب علينا ضبط نظام دقيق لكافة استعمالات المنافع ودور منظم ولا يتجاوز هذا النظام إلا في حالات الضرورة القصوى.
مشكلة محرجة
كان للأخ أبو جميل مشكلة محرجة، كنت من القلائل الذين يعلمون خفاياها، كان مصاباً بفتاق كبير في أسفل البطن، وقد صنعت له حزاماً خاصاً في فترة سابقة، كان يؤلمه كثيراً وكان أشد ما يؤلمه حين يكون بحاجة إلى (قضاء الحاجة) فلا يستطيع الانتظار، وقد يكون اصطف قبل على دور المراحيض عدد كبير.

لذا سمح له بتجاوز الدور ودخول المراحيض حين الحاجة، فكان يجاوب من يعترضه وهو يتجاوز الدور أن يسأله عن السبب فيقول: (معي فرمان مراحيض) فكان لا يفوت النكتة رغم ما فيها من ملابسات.

ومن مشاكل الكثافة أن الطعام لم يزد عندما زاد عدد المعتقلين (حسب الحاجة) فوقع النقص في الطعام حتى أن الفطور والعشاء كانا من القلة، بحيث غدوا رمزيين فقط.
دفعات المعتقلين تتوالى إلى سجن تدمر
من آب 1981.. دفعات المعتقلين القادمين إلى سجن تدمر يتلو بعضها بعضاً، 11 فهي تأتي عدة مرات في الأسبوع دون انقطاع.

وحفلات عذاب الاستقبال الرهيبة تنظم لهم فوراً، والعذاب في هذه الأيام أقسى وأعنف وأرهب، ويبدو أن جهاز الجلد والعذاب في سجن تدمر يكتسب مع الوقت والزمن خبرة وتفنناً.. ويزداد جلادوه مع الأيام قسوة وعنفاً.

كان جهاز السجن يتسلم الدفعة القادمة من المعتقلين ويأخذهم إلى باحة الاستقبال، ويعريهم من ثيابهم ثم يعذبهم العذاب الشديد بالكرباج والدولاب والعصا بعنف وقسوة، وبعد نهاية حفل التحطيم يودعونهم في غرفة الورشة ويثابرون على تعذيبهم وإرهابهم في كل حين، وبعد ثلاثة أيام يوزعونهم على المهاجع بمعدل (10) معتقلين لكل مهجع تقريباً، وكنا نجد هؤلاء القادمين الجدد (بعد ثلاثة أيام من الاستقبال هذا) في حالة فظيعة من الإنهاك والتشويه والسوء، ولدى سؤالهم عما رأوه في الورشة، رووا لنا أنهم رأوا هناك أكياساً صغيرة فيها أغراض يسيرة مثل ألبسة داخلية وغيرها..

ولم يعرفوا لوجود هذه الأغراض معنى في ذلك المكان؟ فأنبأهم بما خفي عنهم.. .إنها تخص الشهداء الذين يمضون إلى ربهم في خفاء سجن تدمر
أمراض وعلاجات
17 من آب 1981.. في المهجع (34) حدثت حالات من المرض، كان أصعبها حصر بول أصيب بها أخ محام من مدينة اللاذقية في الأربعين من العمر، واشتد عليه المرض حتى خشي على حياته، فقرر رئيس المهجع وبعض الأخوة المخاطرة بنقل الموضوع إلى جهاز السجن –وليكن ما يكون- فقرع رئيس المهجع الباب الحديدي، ولما حضر الحرس الموجود على السطح أخبره عن الحالة الخطيرة.. فأفلحت المساعي للمرة الأولى وحضر الممرض "أبو بسام" وشاهد المريض وأجرى له عملية التمييل حتى أفرغ ما في مثانته.. ولكن المشكلة لم تنته، فقد اشتد المرض على الأخ من جديد .في اليوم التالي، فحضر "أبو بسام" ثانية وميله

وعادت المشكلة تلح في اليوم الثالث، ومنع الزبانية الممرض رغم طلبه من الحرس والإبلاغ عن الحالة.. وانشغل الناس في المهجع بحال أخيهم المريض وارتفعت الأكف الطاهرة تدعو الله له.. وكان في المهجع عدد من الأطباء المختصين، ولكن لم يكن لديهم من الوسائل والإمكانيات ما يستطيعون معه تقديم أي عون للمريض المشرف .على الهلاك

ولكن الضرورة الملحّة أوحت لأحدهم بالمحاولة لإيجاد حل ما.. فتمكن من أن يصنع ميلاً من شريط لاصق مستعمل انتزعه من علبه الكرتون التي كانت تحوي بعض الصابون، ومن ثم أجرى عملية التمييل للأخ المريض المخطر، ونجحت العملية ونجا ..المريض من موت محقق بالتسمم الدموي.. وأعيدت العملية مرات ومرات

وكانت هناك حالات نخر أسنان والتهاب جذور الأسنان وتقيحها، فأجرى أحد أطباء .الأسنان المعتقلين عمليات قلع الضرس بما تيسر من خيوط النايلون
السارقون يختلفون على الغنيمة
20 آب 1981 استمرت جباية (السخرة الشهرية) 10 ليرات سورية لكل معتقل أو ما يمكن تحصيله بالتهديد والوعيد والسباب، ثم 2 ليرة سورية لكل معتقل أيضاً (سخرة .عادية) وأخذ الرقباء يتسابقون في جبايتها

جاء المساعد (أبو جهل) أحمد فطلب مبلغ السخرة الشهرية من عدد من المهاجع، وقدم له رئيس مهجعنا مبلغ (250) ليرة سورية، فاضطر رئيس المهجع إلى جمع مبلغ آخر حتى بلغ المجموع (400) ليرة سورية، فأخذها المساعد ومضى وجاء .رقيب آخر يطلب السخرة الشهرية ولم يقتنع إلا بصعوبة أننا قد دفعناها لغيره
فترة هدوء
توافق موضوع التطاحن على السرقة بين الرقباء مع وقت أرادت فيه السلطة أن تخفف من إجراءات التعذيب والتنكيل على المعتقلين، فظهرت إجراءات جديدة.. فقد طلب رؤساء المهاجع (وهم من المعتقلين) فجمعوا عند مدير السجن وتحدث إليهم

الرائد المجرم فيصل غانم مدير السجن (وقائد سجن الموت) فأعلن لهم أن الضرب ممنوع، وأن السخرة الشهرية ممنوعة منذ الآن، وأن أجرة الحلاقة قد خفضت.. و.. و.. وسألهم إن كان لهم أي طلب، فتجاسر أحدهم وطلب بطانيات لأن عدد البطانيات قليل جداً في المهجع ولا يفي بالحاجة، فوعده بتأمين طلبه وكذا تشجع آخرون وطلبوا نفس الطلب مع طلبات مثل زيادة كمية الطعام. وعاد رئيس مهجعنا يعلن ما جرى.

ولم يصدق أحد أن زبانية سجن تدمر يمكن أن يكونوا رحماء منصفين، فلا بد أن وراء ذلك غايات أخرى.

وجاء الرقيب "علي دوبا" (يثبت مواقف)، ويظهر الحرص على نقود المعتقلين، فطلب منا أن لا ندفع نقوداً لأحد إلا أن نراه، ونعرف من هو، ولأي شيء ندفع النقود.. وقال: إذا أخذ منكم أي واحد مصاري بدون ما تعرفوا ليش، وتتأكدوا منو، بلغوني.. ثم أمر رئيس المهجع أن يفتح عينيه وينظر من يأخذ منه النقود، وأن يفتح عينيه حتى خلال التفقد والحلاقة وغيرهما..

وأثارت هذه الأمور فينا كثيراً من الذكريات والآلام، وتساءلنا: أتعود إلينا قيمتنا كبشر، ولو في المعاملة؟

كان هذا الأمر مستحيلاً في تدمر..

وتوقعنا افراجات قريبة وربطها بعضهم بالمناسبة، وكانت أقرب مناسبة هي عيد الأضحى.

الزيارات

في 23 من آب 1981 بدأت تأتي لعدد من المعتقلين زيارات ولكن بعدد قليل ومحدود، فقد جاء لحوالي سبعة معتقلين من مهجعنا زيارات، وجاء أهلوهم ومعهم المآكل والثياب والنقود، ولكن الزيارة كانت غريبة في صورتها، كان المعتقل يؤمر بأن يلبس أحسن ثيابه، ثم يؤخذ ويوصى بعدم الكلام عن أي شيء من أمور السجن أو المعتقلين فإذا وصلوا به إلى الغرفة التي تتم فيها الزيارة، أمروه بأن يرفع رأسه ويفتح عينيه ويدخل وكأنه إنسان طبيعي، محفوظ الكرامة..

فإذا جاء يسلم على أهله وقفوا معهم لا يتركون همسة تبدر من أحدهم إلا وعوها، ويمنعون كل كلام غير السلامات والسؤال عن الصحة والأهل والأولاد.

وخلال دقائق تنتهي الزيارة التي قد تكون من بعد سجن طويل، سنة أو سنتين ذليلاً مطرقاً والجلادون لا ينسون أن ينالوه خلال الطريق بالضرب والإهانة بعد أن يكون الرقيب قد نبش الأغراض وسمح، ومنع.

وكان الزبانية يمنعون الخضار، ويقولون للأهل: عندهم كثير.. ولو عرف الأهل القضية لما أحضروا الخضار! ومع ذلك فإن الرقيب والزبانية لا يتركون هذه الأشياء دون تلويثها أو تشويهها، وقد انقض الرقيب أمام بصرنا على بطيخة ضخمة (جبسة) يحملها المعتقل، فرماها منه أرضاً ورفسها حتى تناثرت قطعاً..

وقد توقفت الزيارات بعد فترة الهدوء فما عادت أبداً..

عيد الأضحى المبارك

يوم 28 من آب 1981 يوم كسائر الأيام، الباب مغلق، الطعام والمحنة قاسية والأمر لله. ونحن جامدون في جلستنا اليومية ندعو الله ونسأله، ونستغيث به، كنت أحتفظ بتفاحة صغيرة هي حصة أيام وفرتها بالجهد للعيد، فقمت أقسمها وأوزعها فحظيت بالرضى والإعجاب، حتى تساءل بعضهم من أين لك هذا؟.. قلت رزق ساقه الله، وأكل منه بضعة عشر إنساناً، عايدنا بعضنا وتمنينا العيد القادم في عرفات إن شاء الله والإسلام قد انتصر والكفر قد انخذل، وقد فرّج الله عن سجناء تدمر، وقال بعضهم: (العيد القادم وهؤلاء الجلادين بيكونوا هم السجناء إن شاء الله)).

في اليوم الثالث للعيد (2 أيلول 1981) ظهر الكرباج الرهيب في الباحة من جديد، وهجم الجلادون بشراسة وحقد يضربوننا ويعذبوننا، وضربوا رئيس المهجع وأمروه بإغماض عينيه في اليوم التالي وخلال التفقد أيضاً هجم نفر من الجلادين علينا يضربوننا خلال الدخول إلى المهجع بعد انتهاء التفقد، واشتدت شراسة الجلادين في ضربنا.

وهجم علي جلاد بحجر كان يحمله بيده، فأخذ يضربني به على رأسي والدم يتفجّر بين يديه وهو يصرخ هازئاً: احمر يا جبس..!

وأمام مشاهد المتألمين والصارخين والمصابين صرخ أحد الجلادين: (الله أكبر والنصر للشرطة العسكرية) كان الجلادون يضربوننا بعنف ودموية وقسوة مرعبة، ولم ندر لهذه الأفاعيل سبباً وتأوّل بعضهم أن مدير السجن قد حلم ورأى مناماً سيئاً.

ولكن آخرين أكدوا أنه لابد أن أموراً تحدث في الخارج.. وذهبت آمال الإفراج مع الرياح.

التنفس

في 3 أيلول 1981 توقف التنفس أو كاد، فلا يوجد لدينا تنفس هذه الأيام، ونادراً ما يفطن جهاز السجن إلى إجراء تنفس للسجناء في يوم الجمعة، حيث تأتي دورية مؤلفة من رقيب وعدد من العساكر وتخرج نزلاء المهاجع مهجعاً وراء الآخر بالتسلسل فيخرجون نزلاء المهجع مع أغراضهم حيث يضعونها في الباحة أو يمدونها ويجلسون عليها متقاربين، ويستمر هذا التنفس من 15 – 20 دقيقة، وخلال ذلك يتصرف الرقيب والعساكر كما يحلو لهم، فيضربون المعتقلين ويعذبونهم بدون أي ضابط، ويبدو أن أكثر من دورية تقوم بعملية إخراج المعتقلين للتنفس في السجن.

وكانت هذه هي الفرصة الوحيدة التي نخرج فيها للهواء الطلق والشمس، ولكن الرعب من العذاب الذي ينتظرنا كان يهيمن عليها، ويقلب مفعولها، فتصبح بدل التنفس (قطع النفس) كما سماها المعتقلون.

الأمراض

أيلول 1981 كانت الأمراض بمختلف أنواعها ما عرفنا وما لم نعرف تغزونا بكثرة 22 وشدة، وكان منها مرض الإسهال والكريب، والالتهابات: التهاب اللثة، التهاب الأسنان، والتهاب الظفر، الالتهابات المفصلية (الروماتيزم) والدسك والجرب والقمل والفتاق، والتهابات الكلى والمجاري البولية وسوء التغذية وفقر الدم.. وغيره، وكان الأطباء يلاحظون علائم سوء التغذية وفقر الدم على جميع المعتقلين، وقد سقط نتيجة هذا المرض بعض الأخوة مدنفين، وظهرت لديهم أعراض الدوخة والإقياء، وكان مرض الجرب لا يزال منتشراً بشكل واسع، ولكن أعراضه في هذا الحين كانت خفيفة نوعاً ما.

الممرض يمر بالمهاجع برفقة عناصر من جهاز السجن أسبوعياً تقريباً، فيقف أمام باب المهجع المغلق، ومن خلال النافذة الصغيرة (الشرّاقة) كما يدعونها هناك: يسأل رئيس المهجع: كام واحد عندك إسهال ولك..؟

فيلتفت رئيس المهجع إلى نزلاء المهجع الذين يكونون واقفين باستعداد في أماكنهم دون حركة ويصرخ: مين معو إسهال يرفع إيدو.. فترتفع الأيدي ويعد الأيدي ويستعجله الممرض.. مرة بعد مرة، ويقول (35) واحد سيدي.

فيسأله الممرض من جديد: كام واحد لثة (أي التهاب لثة)؟ ويستحثه بسرعة (ولك بسرعة) ويحاول رئيس المهجع ضبط العدد 21 – 22 – 25 فيشدد عليه بالسرعة ليبادر إلى القول (26) واحد سيدي، وكان منتشراً بشكل كبير بين المعتقلين وخاصة (اللثة النازفة) ثم يسأله: كام واحد سنية؟ (أي التهاب أسنان).

وهكذا يبادر رئيس المهجع إلى الجواب، يقدر العدد وينطق بالجواب فوراً، وهكذا يدور الممرض على المهاجع فإذا انتهى ذهب ثم عاد بعد ساعتين أو ثلاث يقذف من النافذة الصغيرة في باب المهجع بلفافات ورق صغيرة مكتوب عليها سنية أو معدة أو روماتيزم أو غيره من الأمراض، ونفتح اللفافة فنجد فيها بضع حبات كنا نأخذها وكأنها للتسلية أو للضحك على الذقون، ونقول: الشفاء من الله.

ولقد كان عدد المرضى كبيراً فعلاً ولم يكن هذا علاجاً بأي معنى، ومع ذلك حسدنا زبانية السجن على هذه المعالجة واستكثروها علينا فانقضوا على رؤساء المهاجع يضربونهم ويعذبونهم ويقولون حانقين: إسهال (30) لثة (40) سنيّة كلب.. يا.. كذا وكذا..

وهكذا انكمش رئيس المهجع وبدأ يعطي (ميكرو) أرقام كالتالي:

إسهال (3)، لثة (2)، روماتيزم (2) معدة (1)، أسنان.. لا يوجد لا يوجد..

ومع ذلك لم يكتف زبانية السجن بهذا، بل أنهم تولوا معالجة المرضى بأنفسهم، يجرحون ويداوون ولا حاجة لطبيب ولا لممرض.

وبالفعل أخذ الرقيب فواز مع نفر من الزبانية أبرزهم الجلاد سمير (المقلب حيّو) يطوفون على المهاجع ومعهم الكرابيج حيث يطلبون المرضى ويحققون معهم بدل المعاينة أو الكشف الطبي: شبك، شو ميجعك.

ويقول (حيّو) للمريض: عمتكذب ولك حقير، ويضربه أو يرفسه فيتمنى المريض من العلاج السلامة، وهكذا تضاءل عدد المرضى ثم انقطع العلاج تماماً، وغاب الممرض فلم نره بعدها.

المحاكمات تعود وتشتد 5/10/1981

طلب عدد كبير من المعتقلين وقرأت الأسماء على أبواب المهاجع في الساعة ... السابعة والنصف صباحاً.. وعرفنا من وقت الطلب وطريقته ومن تصريح العساكر أنهم مطلوبون إلى المحكمة، وكنا قد سمعنا من قبل عن المحاكمات وما يجري فيها.

خرج من مهجعنا حوالي (25) معتقلاً "للمحاكمة" وجمع المطلوبون للمحكمة من مختلف المهاجع ومضوا بهم، وكنا نسمع صراخ الجلادين ونهرهم وهبدات الكرابيج على أولئك الأخوة، فأخذنا ندعو لهم أن يرد الله عنهم كيد الظالمين المجرمين وينقذهم من هؤلاء القضاة الفاجرين ولم يكن أي واحد من المعتقلين يأمل أن ينصف أو يجد عدالة لدى هذه المحاكم الصورية.

كنا نعلم مسبقاً ما يجري فيها وإن كان كل هؤلاء الذاهبين سوف يعودون إلى هنا وسيبقون في السجن سواء منهم المحكومون بالإعدام بالبراءة وما بينهم.

وأننا سوف نبقى للعذاب والتحطيم والتصفية في سجن الموت هذا، ولن ينجو إلا الذاهبون إلى الإعدام، فهؤلاء يفوزون بالنجاة تماماً من الظلم ومن عظيمة النجاة، ونغبط من فاز بالشهادة وهو يحمل السلاح مقاتلاً هؤلاء الظالمين المجرمين ونتحسر على أننا لم ننل مثل هذا الإكرام.

طال غياب الذاهبين إلى المحاكمة فلم يعودوا حتى الساعة التاسعة ليلاً حتى آيسنا من رجوعهم إلينا هذا اليوم، وكنا قد احتفظنا ببعض الطعام تحسباً من أن يعودوا جائعين وقد رأى بعض الأخوة أنه لابد أن يكونوا أعطوا شيئاً من الطعام خلال هذه المدة وأنه لا لزوم للاحتفاظ بأي طعام فتصرفوا بشيء من الطعام وبقي القليل منهم، وجيء بهم فجأة، فإذا بهم يسارعون إلى المرافق وإذا هم جائعون لم يذوقوا أي طعام منذ الصباح..

وحدثني بعضهم عما جرى معهم فقال: أخذنا تحت الضرب إلى باحة المكاتب ونحن منكسو الرؤوس حسب العادة، وهناك في طرف تلك الباحة وجدنا عدداً كبيراً من المعتقلين قد جيء بهم قبلنا، كانوا يجلسون على الأرض منكسي الرؤوس جميعاً دون أي حركة أو صوت، فضمونا إليهم ثم جيء بآخرين وآخرين حتى تجمع عدد كبير يقدر بحوالي (300) معتقل وكان عدد كبير من الجلادين يطوفون حولنا ويضربوننا، وبدأت المحاكمات في التاسعة فأخذوا ينادون على اسم المعتقل فيقوم إليهم فيضربونه بالكرباج ويصرخون فيه ويسبونه ويقودونه إلى غرفة المحكمة ويتلقاه على الباب جلاد عنيف معه كرباج ثقيل فيضربه على أم رأسه ويدخله على القاضي، حيث يسأله بضعة أسئلة ثم يطرده فيخرجه الجلادون ويضربونه ويعيدونه إلى مكانه.

توقفت المحاكمات في الساعة الواحدة والنصف للغداء، حيث يتغدى القاضي على ما يبدو، وعاد إلى العمل في الساعة الرابعة تقريباً ونحن لا نزال جلوساً في أماكننا دون أي حركة تحت حر الشمس اللاهبة، وقد تجمدت أطرافنا وتجمدت مفاصلنا وتصلبت رقابنا فكانت هذه الجلسة من أشد العذاب علينا.

كان كثير منا متضايقين يريدون الخروج إلى الخلاء، وقد تجاسر أحد الأخوة المعتقلين فرفع يده وطلب أن يسمح له بالذهاب إلى الخلاء فرفض طلبه وسبه الجلادون وشتموه وضربوه، وتجرأ آخرون وقد ضاق بهم الحال وصعب عليهم الصبر فرفعوا أيديهم وطلبوا أن يسمح لهم بالذهاب إلى الخلاء (المرحاض) لقضاء الحاجة فرفض طلبهم وانقض بعض الجلادين عليهم يضربونهم ويسبونهم.

وطلب أحد الأخوة للمحكمة وكان في أشد الضيق وهو مصاب بالإسهال الشديد، فلم يتمالك خلال وجوده في المحكمة فتبرز في ثيابه ولوّث قاعة المحكمة، فثار عليه القاضي والجلادون وانهالوا عليه ضرباً وأخرجوه من قاعة المحكمة حيث أخذ إلى مكان ما.. حينذاك اضطر الزبانية لمعالجة الوضع، فأظهروا أنهم يريدون أخذ المتضايقين إلى المراحيض فقام عدد بسيط (50) شخصاً والواقع أن الكل متضايقون فأوقفوهم في صف طويل، وأخذ عدد من الجلادين يضربونهم في حمية وحقد، ومن أسعده الحظ بدخول المرحاض متحملاً أذاهم قبل الدخول وبعده منعوه أن يقضي حاجته مستريحاً وأجبروه على الخروج بعد دقيقة واحدة فقط.. ورد قسم من هؤلاء الواقفين دون أن يسمح لهم بدخول المراحيض.

قال محدثي: وكنت في أشد الضيق ولكن ما رأيت من عذاب وإهانة جعلني أصبر وأحتمل، مفضلاً آلامي على أذاهم وبغيهم، يقول: وبقينا كذلك في مثل هذا الحال دون أي راحة ودون أي طعام أو شراب حتى رجعنا ومع ذلك فإن كثيرين لم يحاكموا أيضاً ونحن منهم.

16/10/1981

وقد أخذ عدد آخر من المعتقلين في اليوم التالي للمحاكمة، واستمرت المحاكمات ما بين 3 – 5 أيام حوكم خلالها ما يقرب من 300 – 500 معتقل، وأخذ هؤلاء الأخوة في المحكمة .فحوكموا أيضاً
كان ممن طلب للمحكمة وذهب في اليوم الأول والثاني، الأخ صالح بكور وهو معلم في بلدته معرة مصرين القريبة من إدلب عمره (38) سنة، متوسط الطول، ترى فيه .صورة كاملة للأدب والأخلاق الطيبة واللطف، فتشعر نحوه بالحب والود

ولما عاد الأخوة في اليوم الثاني من المحاكمة، ولدى وصولهم رأينا الأخ صالح وهو في حالة إنهاك شديد، يسير بصعوبة مستنداً إلى بعض الأخوة، وهكذا اضطجع الأخ في ناحية وجئت مع بعض الأخوة نريد أن نطمئن عليه ونساعده ونرى ما به، فلما حاولنا لمسه نهانا وهو يئن ويتألم، مما أوقعنا في حيرة كبيرة سألنا من معه عما به؟ فقالوا: أخذه الجلادون فضربوه وعذبوه، فلم يشفنا ذلك ولما تحسنت حال الأخ صالح حدثني عن ما جرى معه، قال: حين دخلت إلى المحكمة وجدت القاضي كان غاضباً يشدد في الأسئلة ويسب ويشتم وقد زاد في ثورته ما في تقرير المخابرات عني.. وبعد بضعة أسئلة طردني من المحكمة مع بعض ألفاظ السباب وأعادني الجلادون إلى مكاني في الباحة مع الجالسين، ولم يمض وقت طويل حتى جاءني أحد زبانية السجن، وأنا مثل غيري مطرق إلى الأرض ممنوع من الحركة أو النظر أو الكلام/ فسألني: أنت تحاكمت؟ قلت: نعم. قال: أنت من أي مهجع؟ قلت: من مهجع (27) قال: قوم حتى آخذك على مهجعك.. امش وراي.. فسرت وراءه، أفتح عيني قليلاً حتى أبصر مواطئ قدمي إلى أن وصلنا إلى نهاية الباحة رقم (3) وعند الباب الواصل إلى الباحة رقم (5) كان يقف عدد من العساكر الجلادين.. فأوقفني هناك، وأخذ كرباجاً ثقيلاً وانقض عليّ يضربني بقسوة على مختلف أنحاء جسمي كيفما اتفق، وكان أولئك الجلادون يهزأون ويضحكون، ويوجهونه قائلين: اضربوا على راسو، وكان يفعل ويضربني على رأسي ووجهي واستمر يضربني بشراسة وحقد واندفاع مدة طويلة، لا يكل، وقد بلغ مني الألم والإنهاك مداه، وهو ماض في ضربي حتى جاء جلاد آخر، فنهره وأوقفه، ليس إشفاقاً عليّ ولا رحمة ولكن لأنه خالف التعليمات بأخذي من ساحة المكاتب إلى الباحة (3) أما ما حدث لي فهذا شيء لا قيمة له، فلا قيمة للمعتقلين كبشر، إنما قيمتهم كأرقام فقط، وهكذا أعادني الرقيب .إلى حيث يجلس زملائي في باحة الإدارة فبقيت هناك حتى أعدنا إلى المهجع
طالب في المحكمة
كان ممن طلب للمحاكمة شاب حلبي يدعى محمد عقيل وهو طالب ثانوي (19) .عاماً قصير القامة، نحيف أسمر الوجه، حيي خجول، كثير الود

كانت جريمته خطرة فهي (أكلة حمّص).. كما لخصها من عرف القصة واشتهرت بين .المعتقلين بهذا الاسم فكانت أصدق تعبير واقعي عن قصة هذا الشاب البريء

وتفصيل ذلك أن الأخ محمد خرج مع أستاذه مدرس اللغة العربية وطلاب آخرين في نزهة خلوية إلى قرية المسلمية التي تبعد عن مدينة حلب شمالاً مسافة (10كم)

والمشهورة ببساتينها الخضراء ومياهها العذبة.. فتغدوا هناك حمصاً وزيتاً..!! والشيء الذي أثار عليه رجال الحكم وأقامهم فما أقعدهم، أن هذا المدرس من الإخوان المسلمين، وأنه استشهد في إحدى عمليات التفتيش، لذلك عدّ الحمّص رابطة تنظيمية أكيدة، واحتسبت هذه الرحلة وهذا الغداء الحمصي جريمة ما بعدها جريمة، وعملاً رهيباً ضد النظام الأسدي النصيري، ودخل أخونا محمد عقيل المحكمة وانقض عليه الجلاد يقرعه بالكرباج على أمّ رأسه وفقدت أذناه حاسة السمع، وضاعت معالم الأشياء أمام بصره، وكاد يصرع وقدم للقاضي المحترم..! فسأله واستجوبه عن الرحلة والغداء فأجاب الأخ بالإيجاب على كل سؤال.. ولم يجد القاضي المحترم لهذه الجريمة سوى (الإعدام) عقاباً!!.. ولم يكتف بهذا الحكم ويسكت عن هذا المسكين فلا يبلغه هذا الحكم المريع كما يفعل مع أكثر المحاكمين، بل كان في أشد الغيظ من هذا الشاب الصغير آكل الحمّص، الهادئ المسكين، فوجهه بالحكم قائلاً: روح إعدام يا.. وأتبعها بكلمات من السباب الرخيص وخرج الأخ من المحكمة، فجلس مع إخوانه في الباحة تحت التعذيب حدثنا بعد مجيئه فقال: أبلغني القاضي حكم الإعدام واقتادني الجلاد إلى الباحة حيث أجلسني مع إخواني، ووالله إني لأشم رائحة الجنة منذ أن قال لي القاضي ما قال، فقد أيقنت أنني قد أصبحت قريباً من الجنة، وها أنا أشمّ ريحها وأجد أنسها فلا تهمني دنياكم هذا بشيء، لقد رأيت حلو هذه الدنيا ومرّها فكفاني منها ما رأيت وما علمت كفاني..

وحدثنا أخ آخر من حلب وهو شاب في الثامنة عشرة من عمره، طالب، يدعى .. عبد الغني قلاع، (جميل الطلعة، طيب الأخلاق، اشتهر بالشجاعة بين زملائه) أنه لما دخل المحكمة وضرب فيها ونهره القاضي وسبّه وسأله الأسئلة المعهودة يقول: فقرأت في سري قول الله سبحانه (فاقضي ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا).

شاب صغير آخر حكم عليه بالإعدام، فسأله بعضهم: بماذا حكم عليك؟.. فقال: حكم علي بدخول الجنة بعد شهرين من الزمان، وكان الإعدام يتم غالباً بعد شهرين من تاريخ الحكم.

أحداث في المحكمة الميدانية 8/11/1981

طلب للمحكمة الأستاذ محمد جميل بنشي وهو مدرس رياضيات في ثانوية سلقين الرسمية لسنوات طوال، في الأربعين من العمر، متوسط القامة، ممتلئ الجسم، أشيب الشعر، ولم تسأله الشرطة عن متممات هويته، وسيق إلى المحكمة تحت الضرب والإهانة وهناك ضربه الجلاد على أم رأسه بالكرباج الثقيل حتى كاد يصرع، وأخذ القاضي يسأله بعض أسئلة وهو قرف منه، وتبيّن للأستاذ أنه ليس الشخص المطلوب، وكان يعرف أن هناك شخصاً آخر في سجن تدمر يوافق اسمه وهو محام من اللاذقية، فبادر وأوضح للقاضي أنه ليس الشخص المطلوب، وأنه ليس من اللاذقية.. فغضب القاضي، لا على الجلادين الذين أحضروه بل على الرجل المسكين وصرخ فيه: فلم أتيت إذن؟.. قال: هم أتوا بي.. فانقض عليه جلاد المحكمة وضربه

مرة ثانية على أم رأسه ثلاث ضربات رهيبة عاد بعدها مريضاً.. وقد توفي الأستاذ بعد مرض استمر عدة أشهر، فعليه رحمة الله.

التهم

كانت أغلب التهم التي توجه إلى المعتقلين كالتالي:

1 – معرفة عنصر إخواني أو إطعامه أو حضور درس قرآن في المسجد، أو قراءة مجلة النذير التي تصدر عن الأخوان المسلمين، أو دفع مبلغ مالي معونة لزوجة معتقل أو ملاحق ذات أولاد تعيلهم، أو نقل رسالة من ملاحق أو سجين إلى أهله أو آخرين وعقوبتها من 15 سنة إلى المؤبد.

2 – تهمة التنظيم المسلح، وتكون بتأييد أو إعلان الرضا بالمشاركة فيه أو اقتناء مسدس أو قطعة سلاح، أو له علاقة بعنصر ممن يحسبون من التنظيم المسلح، كأن يكون قد آواه وأطعمه وتستر عليه. ونتيجة هذه التهمة الإعدام.

3 – تهمة التنظيم في الإخوان المسلمين، تنظيم سياسي وهؤلاء لا يبلغون أي حكم.

4 – كتم المعلومات والمعرفة البسيطة 10 – 15 سنة.

الإعدامات صورة حيّة 18/11/1981

... (وما تدري نفس ماذا تكسب غداً، أو ما تدري نفس بأي أرض تموت) صدق الله العظيم.. جاء الجلادون في الصباح الباكر قبل موعدهم اليومي المعتاد في السادسة والنصف، جاؤوا في الخامسة والربع، وسمعنا أصواتهم وهم يقرأون قوائم طويلة أسماء طويلة على أبواب المهاجع، كما سمعنا أصوات تقديم الصف، كان اليوم هو السبت (أحد يومي الإعدام) المعتادين المعروفين السبت والأربعاء..

جفلت قلوبنا لهول الأمر، وشعرنا أننا في قبضة مجنون لئيم لا يرعى حقاً ولا عهداً ولا قانوناً ولا دستوراً، ليس في قلبه ذرة خير ولا إنسانية ولا شرف ولا مروءة ولا رجولة، يقتل الأبرياء ظلماً ويسفك الدماء جزافاً بلا حساب ولا تقدير.. ولا.. ولا.. اقتربت خطاهم من باب مهجعنا وصرخ أحد الزبانية: مهجع (27) ولك، فرد رئيس المهجع حاضر سيدي. فقال: استيقاظ ولك حقيرين.. فصرخ رئيس المهجع يطلب منا الاستيقاظ، فالاستيقاظ ممنوع في نظام السجن قبل السادسة، فجلسنا وقدم رئيس المهجع الصف فوراً: انتبه استاعد، المهجع جاهز للتفتيش حضرة الرقيب..

ووقفنا باستعداد مطرقي الرؤوس، وصرخ الرقيب من نافذة الباب الصغيرة، (ولك كل واحد بيطلع اسمو يقول حاضر، ويأتي فوراً لعند الباب..) ثم أخذ يقرأ القائمة الطويلة، ولا شك أنها قد نقصت إلى النصف بل إلى الثلثين قبل أن تصل إلى مهجعنا، لأنها قد مرّت قبله بعشرين مهجعاً على الأقل ولم يبق إلا مهاجع معدودة.. ثمانية تقريباً.. واندفع أخ وقد صرخ باسمه يجيب حاضر، اتجه نحو ناحية الباب فوراً، فسأله الرقيب

عن اسمه واسم والده ووالدته وتولده.. وأمره بالوقوف قرب الباب وتابع الرقيب القراءة، وخرجت أسماء خمسة أخوة آخرين من مهجعنا فوقفوا رتلاً أمام الباب، وكانوا جميعاً من الشباب الصغار من سن الـ (18) عاماً ولما انتهى الرقيب من القائمة وقد قدر عدد الأسماء فيها بحوالي الثلاثين اسماً قال لهؤلاء الأخوة: حضروا أغراضكم انتو مطلوبين محاكم..؟

وذهب الرقيب إلى المهجعين المجاورين ليقرأ قائمة الأسماء عليهما وترك هؤلاء الشباب أماكنهم أمام الباب إلى داخل المهجع، وكانت فرصة لم نحظ بها قبلاً لتوديع إخواننا، فقد كانوا يطلبون الإخوة ويأخذونهم فوراً، أو كنا لا نعلم شيئاً عن المصير كما حدث في أول مرة.

واندفع الأخوة يعانقون هؤلاء الشباب ويقبلونهم، وقد اضطرمت المشاعر في الصدور، فكان الجميع في حالة لا يعلمها إلا الله، من القهر والألم والحزن، لا يدري أحد ماذا يقول وتنهمل الدموع على الوجوه، وتأخذ الغصات بالحلوق، تكاد تمزق الحناجر، يقول بعضهم: الله معكم، والبعض الآخر: توكلوا على الله.

وكان كثيرون يعانقونهم ويقبلونهم ثم يوارون وجوههم عنهم ويجهشوا في بكاء شديد.

كان الأخ (بكري فتحي نحاس) شاباً طويلاً رقيقاً لم ينبت الشعر في وجهه بعد، وقد حفظ تسعة وعشرين جزءاً من القرآن الكريم أبعد المتزاحمين حوله وقال: يا أخوة لا يقبلني أحد.. ولما رأى تكاثر الأخوة حوله وشديد حزنهم وألمهم عليه وعلى رفاقه، أخذته غضبة فاندفع يقول بشدة: (مالكم؟ لم أنتم حزينون؟ لا تحزنوا نحن ذاهبون إلى رب كريم، أما أننا قد شبعنا من طعامكم هذا من البرغل والرز والصمون، تركنا لكم هذا كله، إنّا مشتاقون إلى ربنا ولسنا آسفين على دنياكم هذه، فلم الحزن..).

وانطلق باسماً عريض الابتسامة، فوزع ما لديه من متاع قليل، ونزع ما عليه من ثياب جديدة، ولبس ثياباً خلقة وهو يقول: الحي أولى بالجديد من الميت، ونزع ساعته وحزامه فأعطاهما لإخوانه وسارع يتوضأ هو وإخوانه المطلوبين للإعدام، ثم صلى كل واحد منهم ركعتين (ركعتي الشهادة) آخر ركعتين من الدنيا، وجاء الرقيب يفتح الباب، وقدم رئيس المهجع الصف وطلبهم الرقيب فجاؤوا سراعاً لا يترددون، وطلب منشفة من كل واحد منهم وعصب عيونهم بها ثم أخرجوا من المهجع.

كنا نودعهم بقلوبنا ونخاطبهم بأفكارنا، ونتمنى أن نفديهم بأرواحنا.. كم نحن في شوق إلى الجهاد، إلى جهاد هؤلاء الظالمين المجرمين، نقول قد وضح الطريق، فالظلم كبير والظالمون فاجرون كافرون، قد انتهكوا كل حرمة وداسوا كل مقدس، ولم يلتفتوا إلى أي قيمة أو خلق أو مبدأ، فجهادهم هو الجهاد الفرض على كل مسلم، بل على كل إنسان حي الضمير، فيه شرف وفيه مروءة وفيه إنسانية، فالظلم تأباه

النفوس، ومن الإنسانية أن يتألم الإنسان للظلم، يمارس على إخوانه وبني جنسه، وأن يسعى للإحقاق الحق ورفع راية العدل والإنصاف والرحمة.

كان مسئولو السجن يتخذون إجراءات عديدة مشددة للتكتم على موضوع الإعدامات خاصة، وعلى كل أخبار سجن تدمر عامة، ويظنون أننا لا نعرف عن الإعدامات شيئاً فقد منع الرقيب خلال إدخال الفطور في الساعة السادسة والنصف، منع السخرة من الخروج لإدخال الطعام أمام باب المهجع، وصرخ فيهم: لا حدا يطلع ولك..

وقام أحد عناصر البلدية بإدخال طعام الفطور، وتبين لهم أنهم قد وضعوا على النافذة الصغيرة الموجودة في الباب قطعة (كرتون) كبيرة تمنع النظر من خلالها.

وأوّلت هذه الإجراءات بأنهم قد نصبوا المشانق في الساحة (فهم لا يريدون أن نراها) لكي لا نعرف أن في سجن تدمر إعدامات بالجملة، وموت بالمفرق، ولم يدركوا أننا نحس بالأمر وأننا قد وعيناه تماماً وأدركنا صورته وأبعاده. وجاءت دورية من فوق السطح وصرخ أحدهم فينا: (ولك حقراء.. لجوا.. بعدوا عن الباب ولك لجوا يا كلاب يا أنذال يا..) فلما ابتعدنا إلى منتصف المهجع وتجمعنا في النصف الداخلي، أمرنا بالجلوس وهو يصرخ (جالساً ولك.. ما حدا بيوقف أبداً) وجلسنا متقاربين متراصين واجمين، فقد كنا نعلم أن معنى ذلك أن عملية الإعدام على وشك أن تتم، ومضت الدقائق ثقيلة بطيئة والكل مطرق متحير محزون مقهور، وبدا السجن هادئاً على غير العادة، هادئاً هدوءاً مريباً، فلا تسمع أي صوت فلا أبواب تفتح، ولا جلادون يصرخون أو يسبون ويشتمون، حتى ولا صوت بلدية ممن يعملون في جلي الطشوت أو إفراغ أوعية القمامة إلا حركة يسيرة كسير أحدهم مسرعاً في طرف الباحة البعيد..

كانت الساعة تشير إلى التاسعة إلا ربعاً، الجو مشمس والهواء ضعيف، والعصافير تغدو وتروح وأصوات بعيدة تأتي من المدينة تبدو واضحة، صوت سيارة مارة، نهيق حمار، نداء طفل.

وشق السكوت صوت جلي يصرخ بقوة وسرعة: الله أكبر وكأنه يستبق الزمن، تحفزت الأعصاب وأرهفت الآذان، وانقطعت كل نأمة في المهجع جميعه، وبدا الجميع مطرقين واجمين كأن على رؤوسهم الطير ولم نسمع إلا صوت نسمات الهواء الخفيفة وحفيفها، وشقّ السكون صوت آخر أقوى وأوضح صكّ أسماعنا وقرع قلوبنا: الله أكبر.. وأعقبه شخير حاد، وتتالى النداء العظيم: الله أكبر، الله أكبر.. الله أكبر.. يتبع بعضها حشرجات النزع والحبل يشتد على العنق، وكانت كلمة الله أكبر تخرج مقطوعة بعض الأحيان حيث تعاجل الحبلة المسكين وتقطع عليه نداءه فيخرج مبتوراً.. الله أكبر.. وتسرع الحشرجات.

أي مشاعر كانت تصطرع في الصدور، وأي قهر، والكل مطرق ساهم يدعو ويضرع إلى الله السميع البصير أن لا تضيع هذه الدماء هدراً.. والقلب يندب العدالة بين

البشر ويسخر من هذه الحياة الزائلة ومن أتباعها، وينعي على القاعدين السادرين في غيهم.

وبعد مضي ساعة ونصف تقريباً عاد السكون يخيم من جديد، كان آخر شيء سمعناه هدير محرك السيارة وهي تنطلق وصوت أخشاب تلقى.

فسرت هذه الأصوات بأنها صوت الشاحنة التي تنقل جثث الشهداء إلى مثواهم الأخير في صحراء تدمر، حيث يلقون في حفرة كبيرة ويهيل عليهم (بلدوزر) التراب وينتهي الأمر، أما الأخشاب فإنها خشبات المشانق تعاد إلى مستودعها بعد أن أدت مهمتها في انتظار مهمة جديدة.

كانون أول 1981 15

عمليات الإعدام مستمرة بمعدل مرتين كل أسبوع، فنحن دائماً على صلة بالموت والآخرة، وأصبحت رحلة الموت شيئاً قريباً سهلاً وكأنها انتقال من مهجع إلى آخر، أو من سجن إلى الحرية ومن الخوف إلى الأمان، وكانت الدنيا هينة جداً على قلوبنا جميعاً لما نعانيه من ظلم ومن قهر ومن عذاب، فكانت عمليات الإعدام فرصة للخلاص، ولكن أعمالنا كانت بسيطة وذنوبنا كبيرة حتى تساءل الكثيرون هل هذه شهادة في سبيل الله؟.. ولكن آمالنا في رحمة الله الواسعة وكرمه العظيم كانت عظيمة، وشوقنا إلى عدالة السماء كان شديداً، وكل الأمل أن يرزقنا الله فيما بقي لنا من حياة أن نجاهد هؤلاء الظالمين ونقاتلهم في معارك فاصلة ينصر الله فيها من يشاء، ويخذل من يشاء والله على كل شيء قدير. وأن نموت شهداء في ميدان الجهاد، ونحن أعزاء نحمل سلاحنا ونقاتل عدونا والأمر لله من قبل ومن بعد.

التنفس والتعذيب بالتمرينات الرياضية 1981

كانوا يخرجوننا للتنفس الرياضي أو التعذيب بالتمرينات الرياضية ثاني يوم من كل عملية إعدام، فيخرجوننا دون أغراض ويصفوننا متباعدين ويجعلوننا نقوم ببعض الحركات الرياضية وخاصة تمرين الضغط والتمرين السادس وهو ما يدعى بالرقصة الروسية، ومشي البطة، والزحف، ولا يخلو هذا التنفس من الكرباج والضرب بل الضرب مستمر فيه بالكرباج وغيره من قبل اثنين أو ثلاثة من الجلادين، وكان يتحول هذا التنفس الرياضي بعض الأحيان إلى عملية تعذيب قاسية، حيث يرهقوننا بهذه التمرينات الصعبة غصباً وجبراً، حتى نكل وتنهار قوانا، وهم يجبروننا على متابعة الرقصة الروسية أو الضغط أو الزحف أو مشي البطة، وكان ما نعانيه بعد ذلك من الآلام العضلية صعباً حيث تصبح عضلات أيدينا وأرجلنا وكأنها دمامل حقيقية.

إحصاء قرآني

أحصي ما في مهجعنا من القرآن فكان ثمانية عشر جزءاً متفرقة، وكانت هناك حاجة ماسة إلى أجزاء وسور أخرى.. ويسر الله فكانت تأتي إلى مهجعنا السورة تلو السورة من طرق مختلفة.. وعن طريق القادمين الجدد، فكان أول ما يتلقى به القادم حديثاً إلى سجن تدمر سؤاله ماذا تحفظ من القرآن؟

ولما جرت عمليات الفرز وتغيير المهاجع، نقلنا إلى مهجع آخر.. فإذا فيه كميات كبيرة محفوظة من أجزاء القرآن وسوره، فتكامل ما معنا وما وجدناه عندهم حتى أصبح كل القرآن تقريباً محفوظاً في المهجع، ونشط كثيرون للحفظ.. بغاية إتمام حفظ القرآن، ثم أخذ للإعدام الشخص الوحيد الذي كان يحفظ القرآن كله، غيباً وهو الأخ الشهيد محمد عطري رحمه الله.

وأكمل بعد ذلك كثيرون حفظ القرآن منهم الأخ (ي س) الأمي، والمعلم أبون والمهندس الزراعي (م. ج) والدكتور (م. د).

وكان موضوع التفسير يتحرج منه الإخوة، وكان لابد من التفسير وكان للآيات والمقاطع إثارة في النفس، فكنت أتحدث عن هذه الآثار وهذا الانطباع الذي تتركه الآيات في النفس.. إضافة إلى معاني وبعض الإشارات إلى النواحي البلاغية والإعجازية، مما أعان الله به.

ولم أكن أدعي علم التفسير ولكني كنت أشحذ الهمة للفهم على ضوء معرفة سابقة.. ولا أبخل على أولئك الذين هم في شوق إلى الكلمة الإيمانية، فلا أحرمهم من حديث شجي وكانت الدموع تترقرق في عيني وتنساب منهما وأنا أحدث عن دعاء سيدنا زكريا عليه الصلاة والسلام، واستجابة الله له وعن محنة مريم البتول عليها السلام، وكان للأخ أبي أنس علم بتفسير "الجزء الثلاثون" قد استكمل ذلك وأجاده حفظاً وتفسيراً، وكان المهندس الزراعي (م. ح) قد ألهمه الله مما عرف من علوم زراعية ومعلومات علمية، ومما حفظه وفهمه من القرآن الكريم إلى اكتشاف روابط وموافقات رائعة يربط فيها بين آيات القرآن الكريم والعلوم والمعارف الإنسانية المختلفة، فكانت روائع من التفكير والتدبر.

وكانت تحصل لدينا اشكالات في بعض الكلمات القرآنية، أو الحروف أو التشكيلات نتيجة عدم وجود أي نسخة للقرآن، نرجع إليها في جميع مهاجع السجن، فكنا نرجع إلى جهابذة اللغة فيجتهدون أن يعطوا القول الصواب.

كان القرآن ممنوعاً منعاً باتاً في جميع مهاجع سجن تدمر، بل كل شيء من ورق وأقلام وكتب، ممنوع أيضاً، ويا ويل من يضبط لديه ورقة من القرى القرآن، فرؤية القرآن والقراءة فيه إحدى الأماني الكبيرة التي نراها في الأحلام، فنفرح وتنشرح قلوبنا بالحلم ويقول القائل متحسراً: هل نرى القرآن يوماً ونقرأ فيه ونرتل الآيات مطمئنين؟..

كنت أتحرج من كثرة الحفظ، بل قد توقفت تقريباً عنه، كنت خائفاً من أمر واحد هو النسيان.. والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: "أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة آية من كتاب الله أوتيها ثم نسيها".. فحدثت بخوفي هذا الأخ الكريم الشيخ

(ح. ي) وهو من أرباب الفقه ورجاله، فقال لي: ألم تسمع ما قال الحفاظ؟ قلت: وما قالوا يا أبا محمد؟

قال: قالوا (من يقرأ الخمسة لا ينسى) يعني من يقرأ خمسة أجزاء في اليوم لا ينسى.. وعجبت للفكرة الجميلة ولكنها إذن مهمة جليلة، فكلف نفسك ما تطيق لذلك كان يرمي أن يكون هناك توازن وعدم طغيان أمر على أمر، وهكذا كنت أحفظ ولكن ببطء شديد مدققاً فيما أحفظه ومتقناً حفظه ما استطعت..

وبذلك كنت أنصح بعدم الاقتصار على حفظ القرآن، بل الأخذ بنواح أخرى هامة مثل حديث النبي صلى الله عليه وسلم، والفقه والسيرة.. وغيرها..

وعزم بعض الأخوة على حفظ حديث النبي ولم يكن في مهجعنا الكثير منه، وكنا نتداول هذا القليل دون ترتيب أو حصر وكنت أحفظ عدداً لا بأس به من الأحاديث النبوية الموجودة في كتاب الأربعين النووية، فكنت أرددها مع بعض الأخوة. جاء أحد الأخوة فطلب أن أعدد له الأحاديث وهو يثبتها.. حتى وصل بنا العدد إلى ثلاثة وعشرين حديثاً من أحاديث الأربعين النووية، وبهر كثيرون بما عند الأخ من عدد جيد، وجاء بعضهم إلي فنصحني أن أستعين بالأخ فلان لأن عنده عدداً كبيراً من أحاديث الأربعين النووية لعلنا نستكملها، ولكن تبين إنما هي الأحاديث التي أثبتناها سابقاً ومع ذلك وبالتعاون مع عدد من الإخوة، وصل معنا الرقم إلى ثمانية وثلاثين حديثاً ونشط كثير من الإخوة لحفظها ونشرها، ثم أتممناها بحديثين من غير الأربعين فتمت أربعين حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم.

– الشتاء - 3/1/1981

الشتاء قارس، والأغطية قليلة والمطر غزير، وفتحات السقف غير مغطاة في الغالب بأي شيء مما يجعل أكثر من ثلث المهجع معرضاً للبلل، ومما يزيد الأمر سوءاً أن الحركة في الليل ممنوعة، ويجب أن ينام الجميع، ولا مكان إلا تحت المطر. فكانوا ينامون لتبتل بطانيتهم وثيابهم وأغراضهم.

حصة المعتقل بطانية واحدة كغطاء مع عوازل تمد على الأرض، ولم تكن كافية بأي شكل في جو كانون الثاني، حيث البرد القارس، فكنا نصاب بالزكام والإسهالات والأمراض المختلفة، ورأى البعض حلاً في الغطاء الجماعي، حيث يشارك عدد من المعتقلين في غطاء واحد مع النومة المتداخلة: رأس ورجلان وهذه عامة في المهجع لضرورة أن يجد كل واحد مكاناً بالكاد يمدد فيه جسمه.

وكنا نجلس طوال النهار نرتجف من البرد، ويأتي الحارس من السطح ليأمرنا بأن لا نستعمل البطانيات لتدفئة أرجلنا وأجسامنا، ويقول بأن ذلك ممنوع -مع السباب طبعاً- ونتيجة للجلوس الطويل فقد كانت تتيبس مفاصلنا ونكون عرضة للإصابة بالروماتيزم والآلام العصبية..

وقد أصيب الكثيرون، وكان أحدنا إذا قام من جلسته يسمع لأعضائه طقطقة (كالضباع) على حد تعبير بعضهم.

ورغم أن أفواج المعدومين كانت تخفف كثيراً من الزحام الشديد في المهجع، فإن أفواج المعتقلين المستمرة كالسيل، كانت تعوض هذا النقص وتزيد وبالتالي فإن الكثافة كانت تشتد باستمرار، وقد قدرنا عدد معتقلي تدمر في هذه الأيام كالتالي: عدد المهاجع المستعملة 32 مهجع × متوسط عدد المعتقلين في المهجع (140) = 32 × 140 = 4480 معتقلاً في سجن تدمر.

وقد علمنا من المعتقلين الذين وصلوا إلينا أخيراً أنهم يوضعون بعد حفل الاستقبال التعذيبي الرهيب في أحد المهجعين 1 - 2 في الباحة الأولى، فإذا امتلأ كلاهما وزع أحدهما على بقية المهاجع، وأن الدفعات: دفعات المعتقلين الآتية إلى سجن تدمر، تأتي مرتين أو ثلاثة في الأسبوع، وعدد الدفعة يتراوح بين 25 - 50 معتقلاً.
الكثافة مرة أخرى
كنا نتساءل هل يمكن أن يستوعب مهجعنا أكثر مما فيه الآن وعددنا فيه الآن (150) معتقلاً بعد تأرجح بين الزيادة والنقصان، وهكذا فإن حصة المعتقل من أرض المهجع لا تتجاوز (375) سم مربع، ولكن ما نلمسه هو اندفاع المسؤولين إلى كل ما من شأنه أن يزيد في عذابنا وإيذائنا بل وموتنا، وهذا يجعلنا نعتقد تماماً وبشكل واضح أنه ليس لشرهم وسوئهم وإجرامهم من حدود تقف عندها.

كانت أرض المهجع مستغرقة حتى آخر شبر فيها، ولم يبق فيها موطئ لقدم، حينما سمعنا حركة في المهاجع والزبانية يتنقلون بسرعة من مهجع لآخر، ولما وصل الدور إلينا فوجئنا بعدد من المعتقلين الجدد مطأطئي رؤوسهم يتدافعون على الباب، ولا أدري كيف جازف رئيس المهجع بالكلام فقال: سيدي ما في موضع، المهجع مليان، سيدي والناس عبتنام في الباب. فغضب المساعد (أبو جهل) وقال: خلي ينامو وين بدن، ولكنه أشار من طرف خفي إلى الجلادين ونحن مغمضو العيون لا نبصر المناورة، فاندفع الجلادون يصرخون: لجوا ولك لجوا يا كلاب... يا حقيرين.. يا... وابتعدنا عن الباب فدخلوا وأخذوا يضربوننا بالكرابيج يميناً وشمالاً، وتراكمنا فوق بعضنا في آخر المهجع، وهم يتبعوننا بالضرب وصعد بعضهم فوق الكوم البشري فضرب ودعس فيه.... وعشنا وقتاً عصيباً.. نتيجة الاعتراض البسيط.
يوم 1982/1/6
جاء الزبانية ظهراً، ففتحوا باب مهجعنا وأدخلوا مجموعة من المعتقلين الجدد، وبعد ذهاب الزبانية كنا نود التعرف على هؤلاء المعتقلين الجدد، وقد هالنا ما كانوا فيه من حالة سيئة، أرجلهم وأيديهم متورمة ممزقة، ووجوههم ملأى بالجروح والكدمات، بينما كان رأس أحدهم قد شج شجة منكرة تحت وقع ضربات الكرباج الكثيرة، وقد تجمدت الدماء فوقه ولوثت ثيابه، وظهر معتقل آخر قد تمعط وتسلخ نتيجة الجلد الشديد بالكرباج وغيد ذلك مما يصعب حصره والإطاحة به، ومع ذلك فإن شخصيات هؤلاء كانت أعجب من أحوالهم..

يوم 1982/1/7
معظم المعتقلين في المجموعة التي أدخلت مهجعنا البارحة، من كبار السن أو بالأحرى ممن تخطوا سن الشباب ودخلوا في سن الكهولة، وكانت أعمارهم بين الأربعين والستين عاماً، ومعظمهم من سكان الأرياف، فهم بسطاء طيبون كرماء أتقياء، ذوو عيال كثيرين وأراض زراعية يعملون فيها، ولقد علمت أن مجموع عيال أحدهم يصل إلى العشرين نفساً، ما بين امرأة وصغير وعاجز، وكلهم يعتمدون عليه في إعالتهم وإقامة أودهم، ولكوني ريفي الأصل فقد كنت من أشد المتألمين لحال هؤلاء الإخوة، وذكرتني حالهم وعيالهم بحالي وعيالي الذين تركتهم ولا معين لهم إلا الله سبحانه وتعالى، وكان ذنب هؤلاء هو كرمهم الذي دعاهم لا طعام أو إيواء المتوارين من الإخوان المسلمين صدمت بنبأ مؤلم مفاده أن الطبيب الاختصاصي والعلامة الكبير نزار الدقر كان أحد أفراد مجموعة المعتقلين الجدد، وصعب علي .تصديق النبأ

الدكتور محمد نزار الدقر حاصل على شهادات علمية اختصاصية عالية من معهد العلوم الطبية والأمراض الجلدية في موسكو، وهو رئيس دائرة الأمراض الجلدية في وزارة الصحة بدمشق، وله بحوث طبية وتجارب علمية مستفيضة في علاج عدد من الأمراض والحالات المستعصية، وخاصة فيما يتعلق بالعلاج بالعسل، وله كتاب طريف في هذا المجال عنوانه (العسل فيه شفاء للناس) وله علاقات فعالة مع عدد من يوم 1982/1/8 .المؤسسات العلمية الدولية
انتهزت فرصة غير سارة وجدت فيها الدكتور "نزار" بقربي وذلك خلال إحدى حفلات التعذيب، وفي غفلة من أعين الجلادين سلمت عليه تتجاذبني عاطفة الفرح بلقياه، والألم لحاله وما هو فيه من بلاء ومحنة، فلقد كان يوم مجيئه أول البارحة متسلخ .الظهر، متورم الرجلين واليدين، ووجهه ورأسه مليئان بالجروح والكدمات

واليوم ربما أنها أول حلاقة لهذه المجموعة الجديدة من المعتقلين، فقد خصهم زبانية سجن تدمر بعذاب شديد، وكان وجه الدكتور محمد نزار بعد حفلة العذاب هذه، مليئاً بالجروح والكدمات والدم يسيل من شفتيه، ولاحظت وأنا أراقبه أن سبابته اليمنى كانت ترسم في الفراغ كلاماً وكتابات مجهولة، هكذا يعامل العلماء والنوابغ البارزون، .وهكذا يحطون في سجن تدمر

والمعهود أن تكون السجون للأشرار المجرمين، لكن سجن تدمر هذا لا يحوي بين جدرانه إلا التقاة الصالحين والأبرار الطيبين، الذين ارتفعوا إلى هذه السوية، وارتقوا بأنفسهم رغم المحنة والبلاء وكلما ازداد والبلاء ازدادوا إقبالاً على الله ولجئوا إليه، ورغم أن كثيراً من المعتقلين لم يكونوا يميلون إلى التدين سابقاً، ولم يكونوا يؤدون الصلاة ويرتكبون شتى الموبقات، فقد أعلنوا هنا عن توبتهم وصلحت حالهم وسمت نفوسهم، وقد عزا رئيس فرع المخابرات في دمشق ما لمسه من تبدل سريع في سيرة أحد المعتقلين بعد مدة يسيرة من الاعتقال إلى تأثير المعتقلين من الإخوان المسلمين عليه وعلى غيره، ولكن أحد المعتقلين وهو من رجال الدولة السابقين

قال حينما لمس هذا التأثير وهذه التغيرات الجذرية إنه يرى أن وضع عدد من المتدينين في السجون المدنية بين المجرمين والمنحرفين كاف لإصلاحهم وإعادتهم إلى الجادة الصحيحة.

علمت أن الدكتور محمد نزار الدقر معتقل منذ أكثر من عشرة شهور، وأنه كان في إحدى زنازين معتقل السادات بدمشق، وقد زاره هناك وزير الأوقاف محمد محمد الخطيب -وأنه لم يضع تلك المدة من عمره هباء رغم ما كان يعانيه من مضايقات، فصابر على بحوثه وألف كتاباً جديداً عن النحل سماه: النحلات صيدلانيات ملهمة- كما حفظ القرآن الكريم كله غيباً وقد جرده زبانية سجن تدمر من كتبه العلمية واحتجزوها مع كل ما بحوزته من أوراق وكتب.

وكان من أفراد هذه المجموعة من المعتقلين، نجل ضابط كبير من ضباط الجيش، أشقر الشعر، طويل القامة، جميل الطلعة، وقد جلبت له قامته الطويلة وشبابه الغض غضب الزبانية وأذاهم، فكان يحتمل كل ذلك بصبر جميل، رغم رقته وعدم اعتياده على خشونة العيش، ويدعى هذا الشاب (شرف الدين شرف)..

يوم 1982/1/11
(من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلاً).

طلب عدد من المعتقلين الشباب في مهجعنا للإعدام وذلك في أوائل أيام شهر شباط ،1982 وكنا نودعهم في ألم عميق ودموعنا تنهمر رغماً عنا ونحن نرى هؤلاء الشباب الذين هم كالزهور في رقتهم ولطفهم وأدبهم، وكالجبال الراسيات في ثباتهم وصمودهم، نراهم أمام كل هذا الكيد والغل والغدر، يتواصون فيما بينهم بالثبات وعدم الخوف، والتكبير قبل تنفيذ الإعدام.

ثم ينزعون ثيابهم الجيدة الجديدة وساعاتهم ويخرجون نقودهم فيعطون كل هذه الأشياء لإخوانهم المعتقلين، الذين هم بحاجة إلى هذه الأشياء ويسارعون إلى الوضوء وإلى صلاة ركعتين سنة الشهادة، ولما جاء الزبانية لأخذهم للإعدام وسألوهم عن أغراضهم قال كل منهم: ما عندي أغراض.

جمع زبانية السجن في هذه المرة عدداً كبيراً من المعتقلين لإعدامهم، وفجأة ارتفعت أصوات التكبير: الله أكبر الله أكبر، وكانت تردد هذا النداء أصوات جماعية مختلطة متفقة، وتبع ذلك أصوات ضرب بالكرابيج وصراخ الألم.

وكان هذا الفعل المنكر أشنع تصرف لزبانية سجن تدمر الذين أخذوا يعتدون على هؤلاء الذين سيواجهون الموت بعد لحظات، ويلقون وجه ربهم شاكين متألمين.

عم السكون والصمت المطبق والهدوء الغريب جنبات سجن الموت، إنها السكينة تتنزل على قلوب هؤلاء الذاهبين إلى الإعدام، وكان كل شيء في الدنيا قد وقف يرقب عملية الإجرام البشعة التي تقترفها أيدي الطغاة وزبانيتهم وأزلامهم في خفاء سجن الموت في تدمر.

حضر ضباط كبار للإشراف على العملية، وحضر مدير السجن الرائد فيصل غانم، وفي الثامنة والنصف صباحاً كان كل شيء جاهزاً تماماً، المشانق والجلادون والطغاة الكبار.. والمطلوبون للإعدام في غرفة الورشة يصلون ويتوجهون إلى ربهم ويدعونه: اللهم اجعل دماءنا ناراً على الظالمين، ونوراً للمسلمين وللدنيا أجمعين، اللهم إنهم يقتلوننا ظلماً وجوراً في سبيل تسلطهم وفسادهم، اللهم فتقبلنا في رحابك تائبين منيبين، اللهم احصهم عدداً واقتلهم بدداً ولا تغادر منهم أحدا.

وبدأت العملية الرهيبة تتم وسط السكون المخيم، ففتح باب الورشة وأخرج هؤلاء المعتقلون وصفوا في طرف الباحة قرب الجدار أرتالاً وهم معصوبو الأعين موثقوا الأيدي إلى الخلف، وكان يتقدم رجلان من الزبانية ليمسكا الأخ المعتقل من عضديه ويسيران به إلى المشنقة ويعلمونه خلال ذلك ويشاغلونه ويموهون عليه فيقولون ما اسمك؟ ومن أي مهجع أنت؟.. بدنا ننقلك إلى سجن آخر.. فإذا وصلا به إلى المشنقة قالا هذه هي السيارة ويضعان الحبل في عنقه.

ويكون اثنان من خدم السجن (البلدية) قد أمسكا بالمشنقة الثلاثية الأرجل وأمالاها جهة المعدم فإذا وضع الحبل في عنقه أقاماها بقوة حتى تقف على قوائمها الثلاث، ويرتفع المعدم محمولاً من عنقه ويصرخ في هذه اللحظات القصيرة بكلمة التكبير يسابق بها الزمن ويثبتها في سجل الحياة الله أكبر، وقد يعاجله الحبل عن إتمامها فيزفر ويحشرج حشرجات الموت ويسلم الروح، أما الزبانية فكانوا يمسكون المعدم من رجليه ويشدونه إلى الأسفل ليسرعوا عملية الموت وحتى بعد إنزال الجثث كان الزبانية يعتدون على أجسام الشهداء بالضرب والركل والدوس لا يحترمون ولا يقدرون الموت الذي حلّ بهم ومن أين للزبانية الفهم والعقل حتى يكون لديهم احترام وتقدير، وقد شوهد الجلاد "فواز" وهو يرفس جثة الشهيد يحيى الشامي ويدوس رأسه، والشهيد يحيى الشامي رحمه الله من كبار ضباط الجيش السوري. وبعد أن تمت عملية الإعدام حمل الزبانية والبلدية الجثث فوضعوها في سيارة زيل عسكرية ضخمة ثم انطلقت بهم إلى مثواهم الأخير... حفرة ضخمة في صحراء تدمر وهكذا تمت العملية الرهيبة وإعدام (65) شهيداً دفعة واحدة في خفاء سجن تدمر
الجرب الرهيب
لم يعد أحد يشكو بالمرة من الجرب أو القمل مرضي الوساخة، فقد أصبح أمراً مفروغاً منه ولا جدال فيه أن يصاب كل المعتقلين بالجرب وبالقمل والصيبان أيضاً حتى قال بعضهم مازحاً: (اللي ما بيقمل ما هو رجال) فلا إجراءات النظافة التي حاولناها أجدت شيئاً ولا الاحتراز ولا أي شيء أجدى أمام زحف القمل والجرب

الرهيبين.. في هذه البيئة المساعدة المهيئة حيث الكثافة الشديدة وعدم إمكانية النظافة والغسيل والتطهير وعدم وجود أي علاج.

الدمامل المقيحة تنبت فجأة في الأماكن الحساسة من الجسم: القضيب والمقعدة والآليتين، وتثير هذه الدمامل حساسية شديدة وحكة حارقة، فإذا حكت (ولابد من ذلك) انفقأت وسال منها القيح والدم، ولوثت ونشرت عدواها سواء بالأيدي الملوثة أو الثياب أو البطانيات، وحتى بالأحذية (شحاطات) ويعقب الحكاك ألم رهيب شديد، فكان الأخ أبو عبدو (صاحب محل) يكاد يبكي ألماً في الليل أو النهار من قضيبه الذي أصبح مليئاً بالدمامل النازفة بالدم والقيح، وقد تورم فإذا حكه تألم، وإن تركه تألم فكان يتمنى لو اقتطعه واستراح؟..!!

ولم يجد الأخ عبد الستار ما يداوي به نفسه سوى (رماد السجاير) وقد امتدت الدمامل المقيحة النازفة المتراصة لتأخذ مساحة واسعة امتدت من قمة آليتيه إلى محزمه بحيث لا يستطيع الجلوس ولا الاضطجاع على ظهره، فجمع كمية من رماد السجاير وجاء يطلب من أحد الأخوة أن يذر هذا الرماد فوق منطقة القيح والنزف، ففعل ولم يغن هذا العلاج شيئاً.

كان الأخ سالم ابن السابعة عشرة طالب الحادي عشر النحيف الجسم، ممتلئ الجسم بالدمامل المقيحة ذات الرؤوس الصفراء، والتي تثير حكة شنيعة فيضطر إلى حكها ونزع قشرتها ومن ثم تنزف بالقيح والدم امتلأت من هذه الدمامل ساقاه ثم اليتاه ثم بطنه وذراعاه وصدره، واشتد هجوم الجرب على الأخ سالم ففي كل يوم دمامل جديدة تنبت في مختلف أنحاء جسمه وهي مقيحة صفراء الرأس حتى وصل الأمر إلى حالة لم أرها ولم أسمع بها وحار بها الأطباء من الإخوة المعتقلين في المهجع، فقد نبتت الدمامل في راحتي كفيه برؤوسها الصفراء المقيحة..

كان الأخ سالم لا يستطيع النوم بتاتاً لا في ليل ولا نهار، إنما يسكن قليلاً ويعود إلى الحك والهرش، ولم تكن هذه الحالة الوحيدة في شدتها، بل كانت هناك حالات صعبة عديدة، فكان الأخ جابر يكشف عن ركبتين متورمتين منتفختين وقد تراصت فيها الدمامل حتى غدت كل منهما دملاً واحداً، وقد سميت تلك الحالة (ركبة الجمل) وكان يقشر الدمامل ويعتصرها ويجفف القيح والدم بقطعة قماش.

لم تكن هذه العملية المؤلمة تفيد شيئاً سوى أن المريض مضطر إلى فعل شيء لهذه الدمامل التي تثير الحكة الحارقة، وكان عدد الحالات الصعبة أكثر من (40) حالة، وكنت منهم فكنت لا أستطيع نوم شيء من الليل ويدي تمتد لا شعورياً لتحك وتكشط الدمامل، وكان أصعب شيء موضوع التلوث وعدم إمكانية التنظيف والتطهير.. وكان معناه العدوى المستمرة، العدوى الذاتية أو العدوى للغير، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.
يوم 1982/2/6

دور الحلاقة ذلك البلاء وتلك المحنة الأسبوعية الرهيبة أصبح قريباً منا وها نحن نسمع صوت الكرباج اللعين يمزق السكون، وهو يصفع ويهبد أجسام إخواننا المعتقلين في أحد المهاجع القريبة، برح الخفاء وتوضح الأمر.

واشتد بنا الألم والقهر فلذنا بالله سبحانه نشكو إليه بغي الفجار الأشرار، وبعد ساعات طويلة من القهر والعذاب مع تعذيب إخواننا لم نعهد له مثيلاً قبلاً جاء دورنا واستقر زبانية السجن مع الحلاقين أمام باب مهجعنا بعد أن جرى تبديل الزبانية بآخرين، وخرج عشرة منا وراء عشرة للحلاقة حسب طلب الزبانية فاصطفوا (ووجوههم إلى الجدار (حسب العادة التي درج عليها زبانية سجن تدمر أخيراً.

فقد حفظنا نظام الحلاقة هذا وأسلوبه كما حفظنا أساليب الضرب والإيذاء التي يمارسها الزبانية علينا لكثرة ما نالنا منها ولكن كما أن السمو والرفعة عند أهلها ليس له حد فإن بغي الظالمين والزبانية الفاجرين في سجن تدمر ليس له حد، وما يتوقع ممن ماتت ضمائرهم وسقطت مروءآتهم وامتلأت قلوبهم بالحقد البغيض، فلم يعودوا يستسيغون سوى الشر والفساد!!

جاء أحد الزبانية وهو يصرخ بحقد مسعور وانقض بكرباجه الثقيل يضرب رؤوسنا وظهورنا بقسوة، ومع غلوه وشدته في الضرب وفي الشتائم البذيئة والتهديد الرخيص الذي كان يكيله لنا فإن ذلك لم يشف غيظه فقال بحقد: (يا كلاب يا عرصات.. هلق بفرجيكن.. وقفوا لجيب العصاي.. يا حقيرين..)!!

وتمنينا أن يكون تهديده فارغاً ولكن لم نلبث إلا قليلاً حتى أخذنا نسمع صرخات ألم شديدة مفاجئة يتخللها صوت الجلاد اللعين فواز وهو يقود عملية الضرب والتعذيب الرهيبة.

وبينما كنت أحلق هجم علي الجلادون وضربني أحدهم بالكرباج الثقيل على أم رأسي عدة ضربات وأشفعه بالسباب والتهديد والوعيد، وكان المنتهون من الحلاقة يوجهون إلى زاوية الباحة حيث كانت عملية العذاب الرهيبة، فلما وصلت إلى هناك وبينما كان الجلاد فواز يصرخ بي انقض الجلاد حامل العصا فحطم ظهري بضربة شديدة وقعت على أثرها على الأرض وأنا أصرخ بصوت مخنوق يا الله يا الله، وهجم علي جلاد آخر وأخذ يضربني بالكرباج على رأسي.

استمرت الحلاقة واستمرت حفلة العذاب الرهيبة وضربات العصا الهائلة تحطم ظهور المعتقلين وتفلق رؤوسهم، وتكسر عظامهم ساعات طويلة هائلة، كانت حصيلتها إصابة أكثر الإخوة برضوض شديدة أو كسور وممن أصيب بكسر في الأطراف، الرجل الطيب ابن الخامسة والخمسين عاماً أبو جميل فقد كسرت يده قرب الكوع، وكسرت يد معتقل آخر يدعى أبا أحمد وهو صائغ حلبي، والأخ أبو إبراهيم كسرت يده من العضد، بينما كان عدد من الإخوة لا يستطيعون الحركة مما أصاب ظهورهم من

التحطيم، وقد أصيب معتقل يدعى (صلاح) بضربة عصا على رأسه تسببت في حدوث ارتجاج في الدماغ أدى إلي إصابته بشلل تام فقد معه النطق والحركة، لم تكن هذه المرة الأولى التي نفاجأ فيها بمثل هذه الهجمة الرهيبة من التعذيب، ولكنها كانت هجمة رهيبة ومحنة قاسية مريرة على أي حال، ولكن هذا هو غدر الجلاد اللعين "فواز" ذي الحقد الأسود والسعار.

ومما زاد الأمر سوءاً وبشاعة عدم التفات إدارة السجن الظالمة إلى معالجة أي من هذه الإصابات التي عمت المعتقلين في سجن تدمر، بل كان الزبانية يمنعوننا من ربط هذه الإصابات أو تضميدها زيادة في النكاية بنا، كما تبين لمن من أحاديث الجلادين أن جلادين آخرين من خارج السجن من المخابرات وغيرهم يحضرون إلى يوم 1982/2/8 التفقد سجن تدمر ويمارسون تعذيب المعتقلين بسادية غريبة في الساعة الثانية بعد ظهر كل يوم نقف في صف خماسي في وسط المهجع استعداداً للتفقد الذي يتم في الباحة، حيث يفتح الزبانية باب المهجع حين حضورهم ونخرج فنصطف في الباحة، ويعدنا الرقيب ثم يعاد إدخالنا إلى المهجع، وكنا نتعرض خلال هذا التفقد اليومي لكثير من الضرب والعذاب، ويخترعون منه أشكالاً وصوراً عديدة يوقعونها بنا، وكان شعارنا الصبر والثبات، وملاذنا وملجأنا إلى الله، وكان الرتل الأول والصف المواجه للجلادين من الإخوة يتعرض للضرب والتعذيب بألوانه وأشكاله المختلفة، بعكس الأرتال والصفوف الأخرى، فقد كانت بمنجاة من تعديات الجلادين نوعاً ما، فكان الإخوة يبعدون كبار السن والمرضى عن الصفوف المقابلة للجلادين رحمة بهم، وكان الشباب يندفعون إلى هذه الصفوف بشجاعة منقطعة النظير.

تأخر التفقد اليوم عن موعده المعتاد!!.. وسمعنا من بعيد ضجة غريبة وأصوات صراخ مختلفة.. صراخ الجلادين وعويل واستغاثات المعذبين..! كانت هذه الضجة تعلو وتشتد حيناً ثم تسكن وتهدأ حيناً آخر، مع أننا نعلم أن العذاب بحفلاته وأشكاله لا ينقطع، وأن أصوات التعذيب وصراخ المعذبين حدث واقع مستمر، فإن ما جعلنا نستغرب الأمر ونرتاب فيه هو حدوثه في مثل هذا الوقت من النهار، مترافقاً مع تأخر زبانية السجن في إجراء التفقد الأمر الذي لم نعهده قبلاً.

لزمنا الصمت التام عسى أن نجد لهذا الأمر الذي أثار قلقنا تفسيراً.. ولكن ضجة التعذيب أخذت تقترب منا وبدأنا نسمعها بوضوح، وجاء الزبانية وأخذوا يخرجون نزلاء مهاجع باحتنا للتفقد.. وحسب العادة فإن مجموعة من الزبانية تفتح المهاجع بالترتيب وتخرج المعتقلين ليصطفوا أمام المهجع ثم يأتي الرقيب فيعدهم ثم يدخلهم الزبانية ثانية.

فتح الزبانية باب مهجعنا وأمرونا بالخروج بأصوات منكرة، مع ألفاظ التهديد والوعيد، وكان الجلاد فواز بلهجته الحاقدة يصرخ بنا بشماتة وتشف (طلعو يا كلاب لبرا لفرجيكن.. طلعوا لنشوف يا حقراء)..

وبينما كنا نقف في الصف أمام المهجع بانتظار التفقد ارتفعت ضجة التعذيب أمام باب المهجع القريب، ولمحنا باستغراب واستهجان ما كان يجري لنزلاء المهجع (25) فقد انقض عليهم الزبانية يضربونهم ويعذبونهم وهم يحاولون دخول المهجع، وعدّنا الرقيب بسرعة بينما كان نفر من الزبانية الأنذال ينقضون على الصف ويضربون بعض إخواننا.

وفي العادة أن الرقيب بعد أن ينتهي من العدد يسأل رئيس المهجع عن عدد المعتقلين في مهجعه ويجب أن يطابق بعد ذلك العدد الذي حصل عليه الرقيب، ثم يأمر المعتقلين بدخول المهجع.

وقد فعل الرقيب وأمرنا بدخول المهجع، لكن الجلاد فواز منعنا من دخول المهجع.. وصرخ يدعو الجلادين للحضور: (العصي لهون) وجاء الزبانية يتراكضون وبأيديهم العصي الرهيبة، واصطفوا على طريق دخولنا إلى المهجع، وهيأوا أنفسهم وحضروا عصيّهم، وصرخ الجلاد فواز بحقد وتشفٍ: (واحد واحد عالمهجع يا كلاب..) وما أن سرنا نريد دخول المهجع حتى انقض علينا الزبانية يحطموننا بعصيّهم، واشتد الضرب وعلا الصراخ وحمي وطيس التعذيب وهاجم الزبانية أوائل الصف وأخذوا يضربونهم، فاضطرب النظام واندفع الأخوة يريدون دخول المهجع والزبانية يحيطون بهم ويضربونهم على أي مكان تصل إليه عصيّهم، واشتد الزحام والتدافع على باب المهجع، وبدأ المعتقلون يتساقطون على الأرض تحت وقع ضربات العصي، وتراكموا فوق بعضهم البعض حتى أغلق الكوم البشري باب المهجع أو كاد، وفشت الإصابات والجروح والكسور، وعلت ضجة العذاب وتمكن عدد من الأخوة من دخول المهجع رغم كل ذلك، فلم يقعدوا ولم يتوانوا عن مديد العون لإخوانهم المكومين على الأرض في باب المهجع، فاندفعوا يجذبون ويحملون منهم الواحد بعد الآخر ويدخلونهم المهجع، ويأخذون الأعلى فالذي يليه لعدم إمكانية تحريك أولئك الذين هم في أسفل الكوم، كل ذلك والضرب مستمر والزبانية ماضون في هجمتهم الفاجرة.

وأخذ الكوم البشري يتناقص شيئاً فشيئاً حتى تمكنا من إدخال جميع الأخوة المعتقلين، وأغلق الزبانية الباب ومضوا يهزأون ويضحكون. كان الاضطراب الشديد يعم المهجع جميعه، وصراخ المعذبين وأنينهم يملأ المكان، وكان عدد كبير من الإخوة المعتقلين قد استلقوا في جوانب المهجع بين مغمى عليه أو هو يغالب آلامه وإصاباته، كان ممن حولي من الإخوة المعتقلين واحد يضع يديه على جرح كبير في جبهته والدماء تسيل منه وقد ملأت يديه ووجهه وثيابه، وآخر يتلوى وهو يصرخ: ظهري. وثالث يضع كلتا يديه على رأسه فوق جرح كبير نازف تسيل منه الدماء. ورابع يمسك إحدى يديه حيث يبدو من تألمه أنها مكسورة وخامس وسادس.. هذا يصرخ: يدي، وذاك: رجلي، ولأول مرة، ارتفعت الأصوات في المهجع المصاب رغم تعليمات السجن بلزوم الصمت التام، وكان بيننا عدد من الأطباء لكنهم كانوا مشغولين بأنفسهم وبإصاباتهم.

بدا المهجع وكأنه ميدان حدثت فيه معركة ضارية شديدة، نشط بعض الأخوة يسعفون المصابين ويربطون جروحهم ويضمدون إصاباتهم ببعض قطع الثياب الداخلية.
9/2/1982
لم نستطع إدراك الأسباب الحقيقية لما جرى البارحة وكثرت التأويلات، فأوّل بعض الأخوة المعتقلين السبب إلى كثرة مخالفات الأحداث في مهجعيهم (31 – 32) وأنهم لا يرهبون كرباجاً ولا عذاباً.

فأغضبت أفعالهم زبانية سجن تدمر.. وأوّل آخرون السبب فيما جرى بأنه التكبير القوي الذي ارتفعت به أصوات الذاهبين إلى الإعدام منذ يومين، وأكد بعض الأخوة أن نزلاء بعض المهاجع وخاصة الأحداث شاركوا في التكبير.. وقلت: احفظوا هذا التاريخ 9 شباط 1982 وتعلمنّ نبأه بعد حين..

لم يخطر ببالنا أن يتكرر حادث الأمس الرهيب، ومع ذلك فقد هيأنا أنفسنا لما قد يكون والتجأنا إلى الله سبحانه بالدعاء والاستغاثة، وفي موعد التفقد ذاته، كذبنا سمعنا، ولم نرد نصدق أن حفلة تعذيب البارحة ستتكرر اليوم أيضاً ولكن ذلك ما حدث..

فقد أعاد الزبانية هجمة العذاب مرة أخرى، ولما جاء دورنا وعدنا الرقيب كان الجلاد فواز مع نفر من الزبانية يقفون في طريقنا والعصي في أيديهم، وما لبثوا أن انقضوا بها علينا ونحن نحاول دخول المهجع، واستعر الضرب الشديد وتساقط الأخوة المعتقلون واحداً إثر الآخر، وتراكمت أجسادهم في باب المهجع في هرم ارتفع أكثر من مترين حتى سد باب المهجع أو كاد، وعلا الصراخ وأصوات الاستغاثة وضجيج العذاب، وكنت في هذه المرة من أول من وقع بهم الضرب، فوقعت في باب المهجع وتكوم فوقي عدد كبيراً من الإخوة وداست رجلي عشرات الأقدام ووقع بهما الكثير من الضرب والتجريح، ثم تغطتا بالأجساد البشرية، وكانت رقبتي على عتبة باب المهجع المرتفعة عن مستوى الأرض بحوالي 20سم، ولها زاوية حديدية حادة، ومن لطف الله أني لم أتعرض لشيء من الضغط من هذه الجهة وإذن لقضي عليّ خنقاً.

حاول بعض الأخوة الذين تمكنوا من دخول المهجع جذبي من تحت الكوم البشري ولكن دون فائدة، فقد كنت مثبتاً إلى الأرض بقوة ورجوتهم تركي وشأني والاهتمام بالإخوة الآخرين.

أحد الأخوة الذين سقطوا فوقي جاء رأسه محصوراً بين ركيزة الباب وبيني وسقط فوقه آخرون، فكتمت أنفاسه حاول التملص ما وسعه فلم يستطع حتى أشرف على الهلاك اختناقاً وتشهد وزاغ بصره وأغمي عليه، ولكن تداركته رحمة الله فقد أنقذه الأخوة في آخر لحظة وحمل إلى المهجع.

كان لدينا اليوم كثير من الإصابات الشديدة والكسور والجروح النازفة، وقلّت الألبسة الداخلية الصالحة للربط والتضميد، وضاق الحال بنا ونحن نرى أن أغلبنا كان بين .مكسور أو مجروح أو منهك
يوم 10 شباط 1982
ها هو ذا اليوم الثالث منذ تلك الهجمة الرهيبة من العذاب الذي فاجأنا به زبانية .سجن تدمر

تحضرنا للتفقد الرهيب فتسلحنا بالوضوء حتى نلق الله على طهارة إن قضينا، وتذرعنا بالدعاء والاستغاثة والتضرع، وحاربنا الظالمين بالذكر والتبتل، ووضعت بعض الخطط لتلافي الأزمة التي تحصل في الباب، وتحضر بعض أقوياء الأجسام ليقيموا الواقعين في الباب، وتواصينا بالشجاعة والثبات، وأن ندخل بنظام دون خوف لن ويصيبنا إلا ما قدر لنا.. ولأن يصاب بعض الأخوة وندخل سريعاً أفضل من أن نتراكم على الباب فلا نستطيع الدخول إلا بعد حين، وحفظ كل منا دوره في العمل وواجبه في التحرك السليم المنضبط، ووقفنا في الصف الخماسي بانتظار التفقد، وثارت الأصوات أصوات التعذيب من جديد، كانت محنة العذاب على أشدها في المهاجع، وتحضر الأخوة المصابون أو المضمدون بضمادات ظاهرة فنزعوها (لأن وضع الضمادات .(ممنوع

ووصل الدور إلى باحتنا وخرجنا إلى الباحة واستعرت معركة الضرب على باب المهجع .السابق (26) كأشد ما تكون

وجاء دورنا فأتى الجلادون راكضين يصرخون بأصوات منكرة، وانقضوا علينا بعصيّهم وبدأ الضرب والتحطيم واستعرت ملحمة العذاب من جديد، ودخل بعض الأخوة المهجع رغم الضرب الشديد، وحمل بعضهم حملاً إلى المهجع أو جروا جراً، ونشطت عمليات .الإنقاذ ولكن الواقعين أمام الباب عادوا فتكدسوا من جديد لليوم الثالث

لم أتمكن اليوم من الدخول وحصرت خارج الكوم أو الهرم البشري، حاولت أن أقف في مكاني قدر الإمكان حتى لا أوذي إخواني أو أدوس أحداً منهم، فوصل إلي أحد الجلادين وحطمني بعصاه المرة بعد المرة، وسارعت أبتعد وأدافع بيدي عن رأسي ومن ثم أدس نفسي بين إخواني في الكوم محاولة للدخول فالكوم أرحم.. ومضت الدقائق والمعركة على أشدها، وقد بلغ الأمر مداه وضاق الحال، حتى أذن الله .بالفرج
شباط 1982 أفواج إعدامات 15
من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من) .ينتظر، وما بدلوا تبديلاً) صدق الله العظيم

نشطت عمليات الإعدام الجماعي بعد هدوء نسبي، وأخذ الجلادون يطلبون الأفواج إثر الأفواج، فيأخذونهم إلى الموت حتى كادت عمليات الإعدام تكون يومية، وغدت

رحلة الموت تتم بسهولة ويسر وكأنها نزهة، يطلب المعتقل من مهجعه، ويقال له محاكم، ثم يؤخذ وهو معصوب العينين موثق اليدين فما هي إلا ساعة أو بعض ساعة حتى يرفعوه على الخشبة معلقاً من رقبته، وخلال نصف دقيقة أو أقل يكون قد قضى وصعدت روحه إلى بارئها حيث الأمان والسلام وما يشعر بالألم إلا كمثل القرصة كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: ما يجد الشهيد من مسّ القتل إلا كما يجد أحدكم من مسّ القرصة، وينجو من كيد هؤلاء الظالمين المجرمين فما يعود باستطاعته الجلاد فواز ولا زبانيته الوصول إليه بأي أذى أو عذاب..

تبدأ رحلة الموت هذه المرة بالرقيب يقف وراء باب المهجع المغلق وفي يده قائمة طويلة مدروزة بالأسماء.. ويصرخ بالأسماء من خلال الفتحة الصغيرة (الشراقة) والكل في المهجع وقوف مطرقون.. لا يدري أحد هل يصرخ باسمه؟ هل جاء دوره لرحلة الموت؟ إنها فرصة للنجاة من هذا السجن الرهيب، وهذا الموت البطيء على أيدي الجلادين، ودعنا الدنيا وأقبلنا على الآخرة نتصور ما فيها من راحة وأمان حيث تنعدم قدرات قوى الشر هذه أن تنال أحداً بأذىً.. وحيث ينال المعتقل العدالة التي مات محروماً منها.

كان كثير من الأخوة يتساءلون: هل هذه القتلة (شنقاً) شهادة في سبيل الله أم لا؟ وهم يرون أفواج الذاهبين إلى الإعدام وقد تتابعت وفيها من كان في حياته السابقة تقياً صالحاً، وفيهم من لم يكن كذلك إنما هو من تائبي سجن تدمر.. ومنهم من عمل لدينه وربه ومن لم يعمل وكان بعض المتسائلين من المهددين بالإعدام ولم يروا لهم كبير عمل أو صلاح يشفع لهم، فهم يريدون أن يطمئنوا على المصير وكانوا يقولون حائرين: نحن لم نقم بكبير عمل بل لم نعمل شيئاً يذكر في سبيل الله؟ وكان كثيرون قد أخذوا واعتقلوا على غرة فجيء بهم إلى هذا المكان حيث يواجهون الموت ويتعرضون للإعدام لعمل بسيط لم يعرفوا له قيمة.. أو لتهمة لم يتلبسوا بها.. أو لغير ما ذنب أو جريرة.. يقولون نحن ما جاهدنا في سبيل الله.

وكان بعض ذوي العلم يرجعون الأمر إلى مشيئة الله، ولكني أجد الأمر على صورة أوضح، فقلت لهم بصراحة يا إخوة أنتم تدعون أنكم لم تفعلوا شيئاً وتقولون لم نجاهد في سبيل الله.. وبالتالي فنحن لا ندري ما نتيجتنا عند الله، وهل يمكن أن نحسب شهداء في سبيله فإني أقول لكم لا تطميناً ولا رياء: أنتم مع سيد الشهداء حمزة رضي الله عنه أسد الله وأسد رسوله، إنكم لم ترضوا بالظلم يقع ببلدكم وإخوانكم ولم تسكتوا عن الظالم ولم توافقوه على ظلمه وفجوره فمن قتل بيد هذا الظالم الفاجر فهو مع سيد الشهداء حمزة رضي الله عنه في أعلى الجنة إن شاء الله، مصداق قول النبي صلى الله عليه وسلم ووعده (سيد الشهداء حمزة رضي الله عنه) ورجل قام إلى إمام جائر فوعظه ونهاه فقتله وأنتم كذلك فاطمئنوا وأبشروا رحمكم الله.

أخذنا نودع في كل يوم أو يومين عدداً من الإخوة الذين عشنا معهم وعرفناهم وأحببناهم وارتبطنا بهم برباط الأخوة في الله.. كان أكثرهم من الشباب الصغيرين في عمر الزهور.. أطهار كأكمام الورد حييون كالعذارى لم يعرفوا وهم في هذه السن انحرافات (المراهقة) لم يعرفوا إلا التقى والصلاح والنقاء والصفاء والطهور، دؤوبون على العمل والدراسة والمطالعة واكتساب المعارف والدعوة، فكانوا نعم الشباب ونعم الدعاة ونعم الرجال.

أعود بذاكرتي وأنا في محبسي إلى البارحة تماماً كان يجلس هنا بجانبي الشاب (م. ل) والشاب (ع. ق) و (م.ع) وقد عزم كل منهم أن ينمي ثقافته ويغذي أفكاره بالقرآن وعلومه وبالسيرة النبوية، وبالحديث النبوي، فهو مقبل على العمل مقبل على الله، مقبل على الخير ثابت الجنان، لن ترعبه أهوال السجن ولم تفقده سلامة تفكيره ولم تؤثر في هدوء أعصابه، وهو يعلم يقيناً أن أجله أصبح قريباً وأن أيامه أصبحت معدودة، بل كان يضحك لغباء الجلادين وهم يظنونه خائفاً أمامهم ويعجب لتعنت سادتهم الطاغين في عداء الحق والنور والخير، وفي الاعتداء على الأبرياء وفي الظلم والفجور والتعدي الصارخ وإلغاء كل الحقوق. بل كان بعض هؤلاء الشباب يعاند الجلادين في سجن تدمر الرهيب في شجاعة فائقة واستهتار شديد بهم بسياطهم وبسادتهم، فإذا خوفه زملاؤه من الضرب والعذاب قال ساخراً: أنا أشتهي أن أضرب علقة ساخنة في سبيل الله..

يوم 21 شباط 1982
نزلاء المهجع (28) يعانون من مشكلة، فقد سمعناهم وهم يضربون الباب ويطلبون من الحرس الإبلاغ عن وجود مريض في خطر لديهم، وراقبنا ما يجري، جاء الزبانية وطلبوا منهم إخراج المريض على بطانية فلما أخرجوه إليهم وأغلق الباب وراءه، سأله أحد الزبانية عن المكان الذي يؤلمه فأشار المعتقل إلى صدره وبطنه، فانقض عليه وأخذ يضربه بعصا غليظة كانت معه على صدره وبطنه والمريض ينتفض بين يديه ولن يتركه حتى أيقن أنه فارق الحياة.
شباط 1982 25
استمر سيل الإعدامات حتى لقد تمت عمليات الإعدام خلال أربعة أيام من هذا الأسبوع السبت والأحد والاثنين والأربعاء، ففي كل صباح ننتظر قائمة جديدة وذاهبين إلى الموت نودعهم بألم، ونجلس في صمت وقهر نناجي ربنا ونضرع إليه، ونستغيث به طوال ساعتين أو ثلاث حتى تنتهي عمليات الإعدام ولا تنقضي الأحزان، ولا الآلام، فأيامنا مليئة برائحة الموت والإعدامات، لم يكن بيننا وبين الآخرة إلا شيء يسير، ورحلة قصيرة من هنا حتى الورشة.. وخلال دقائق معدودة يكو كل شيء قد تم وحدثت تلك النقلة التي يعدها الناس كبيرة وما هي إلا يسيرة هينة، فما إن يلتف الحبل الرفيع على العنق ويعلق المعتقل من رقبته، حتى يكون في الحياة الأخرى.. خلال دقائق أو ثوان يحيا حياة الأرواح عند رب الدنيا والآخرة، حيث الكرم الإلهي والعدل الرباني والرحمة. حيث لا ظلم لا بغي ولا كرابيج ولا عذاب ولا قهر ولا جوع ولا عطش.. وتنتهي الآلام وينجو المعتقل من معتقله وعذابه وجلاديه

في سجن تدمر، لذلك كنا نناقش هذا الأمر.. نقول ما أهونها رحلة وما أجملها من فرصة للنجاة والخلاص والراحة.. ولولا أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يتمنى المسلم الموت عند الضر، لتمنينا هذه الموتة، خاصة وأنها شهادة وأن وراءها رضوان الله ورحمته، وأن وراءها فوزاً وخلوداً وحناناً وجناناً.. لذلك كان البعض لا يريد أن يفرط في نعمة الله التي أنعم بها عليه مع ما في ذلكم من ضر وعذاب، ولكن بهدف وحيد.. يسر به في مناجاته لربه فيقول ضارعاً يا رب.. يا رب.. يا رب.. لا تمتني هاهنا ولكن أمتني يا رب شهيداً في ساحات القتال وأنا أحمل السلاح محارباً للظلم والظالمين.. الباغين المجرمين أعداء الحق والدين..

كانت لنا ملاحظات في الأيام الأخيرة منها أن صوت التكبير قد خمد، فلم يعد يسمع بتاتاً خلال عمليات الإعدام حتى الزفير وحشرجة الموت، لم نعد نسمعها.. إلا نادراً وكأنما كتمت أنفاس هؤلاء المعدمين عند تنفيذ الإعدام.. وكان أمراً غريباً لم نجد له تفسيراً إلا أن يكون الزبانية يكممون أفواه المعدمين.

نبوغ الأميين

هناك من المعتقلين الأميين من نبغ في حفظ القرآن وتفهم معانيه. فها هو الأخ (ي س) ابن العشرين عاماً يحفظ حتى الجزء الخامس والعشرين حفظاً دقيقاً، بإصرار ومثابرة وتدقيق، وهو الذي لا يعرف الألف من الياء ولا التاء من الخاء، عاش يتيماً من الأب، وتربى على العمل والشقاوة (شقاوة الأولاد) وكان له زميل ورفيق صبا يحبه ولا يفارقه.. تمازحا يوماً وهما في سن الصبية المراهقين (16) سنة وكان المزاح (بالقندرجية) (وهي سكين فولاذية قاطعة) فشقت بطن الأخ (ي س) وكادت تقضي عليه، فحمل إلى المستشفى، وفر الزميل خائفاً ولكنها كانت مزحة.. وعاد الزميلان إلى الصحبة وعزما على السفر في هذه السن، وسافرا مئات الكيلو مترات بعيداً عن الأهل والبلد، ولكنهما عادا.. ليلقيا قدرهما.. أو ما قدر الله لهما من محنة.. واعتقلا وحقق معهما وسيقا سوية إلى سجن تدمر العسكري، فهما اليوم غارقان في المحنة مقبلان على الله، مندفعان إلى القرآن.. ولكن (ي س) بزّ الجميع بنشاطه وصبره ومثابرته فها هو يحفظ ويأخذ من معين القرآن بدأب ونشاط وتدقيق دون ملل وهو يرافق المعلم أبو.ن ويلزم المهندس الزراعي (م. ج) وكلاهما من أنشط من في المهجع في حفظ القرآن.. وهو معهما الفارس المجلي حفظ كل ما في المهجع من قرآن، وفي المهجع الجديد الذي نقلنا إليه بعد ذلك، اندفع يحفظ ويحفظ، مما أفاء الله علينا من قرآن، كان محبوساً وغائباً عنا.. وهكذا حتى رأيته أخيراً وهو يحفظ السورة الأخيرة ويكاد يكمل حفظ القرآن كله غيباً.. وهو يقرأ كل يوم ثلاثة أجزاء مراجعة، ثم يحفظ من 10 – 15 آية يكررها ويرددها ويقرأها مع آيات قبلها من السورة نفسها.. فيومه كله قرآن وتلاوة وذكر وحفظ ومراجعة، ومع ذلك لم يكن يقتصر في سعيه وطلبه للعلم على القرآن وحده، كان يبحث هنا وهناك عن علوم إسلامية أخرى يغذي بها روحه، وينمي معرفته، وكان يعتب علي المرة بعد المرة وهو يراني أجالس بعض الشباب والطلاب فيقول: نحنا مالنا دور.. مالنا حق عليك..؟

فأقول له: لك حق وكل الحق.. وهكذا كان لي معه ومع إخوة آخرين مجلس يومي نتحدث فيه عن الأنبياء وسيرتهم، وعن الابتلاء والمحنة والصبر والفرج والنصر في حياتهم.. وكان يغرم بهذه الأحاديث وسمع السيرة وأغرم بها، وأراد أكثر وكان له بعض ما أراد، فهو لا يريد أن يقف عن التعلم والتفقه وكان من طباعه الغضب، فقد كان غضوباً شديد الغضب، لا يكاد يقف في وجه غضبه شيء، فإذا غضب وثار وعربد، واضطرب جسمه، واحمرّ وجهه، وهدد وتوعد وأرغى وأزبد.. وكان غضبه والحق يقال: للحق يمتهن أو يضيع، فهو يثور للخير لا لنفسه، ولكن بطريقته الخاصة فإذا سوي الأمر واسترضي رضي وفاء وندم، فنعم الغضب ونعم الرضى، وهو بعد ذلك نشط دؤوب على العمل شجاع حين الخطر، وصبور على الشدائد، تراه صابراً على البلاء محتسباً ما يناله عند الله، رغم المحنة التي طالت دون أي بصيص أمل في الفرج، إلا الأمل بالله، وإلا التوكل على الله.

آذار 1982 7

جاء الجلادون فجأة فسألوا عن عدد المصابين بالجرب، فلم يجسر رئيس المهجع على ذكر العدد الكامل للمصابين، لأنه كان يشمل كل من في المهجع، وخشي من غضب الجلادين فخفضه إلى الربع تقريباً، فذكر له أن العدد أربعون مصاباً، فطلبهم الزبانية وأخذوهم إلى الحمام ثم وزعوا عليهم كمية من دواء الجرب بمعدل زجاجة صغيرة لكل أربعة مصابين، فدهنوا بها أجسادهم ولم يسلم هؤلاء من تعديات الزبانية وضربهم.

8/3/1982

تبين لنا أن العلاج أصبح من اختصاص الزبانية وحدهم، كما تبين لنا أيضاً أنهم يبدون شيئاً من التساهل في المعاملة بالنسبة لما قبل، وقد عادوا أمس فطلبوا مصابين آخرين بالجرب، فقد كانوا يعرفون أن المصابين بالجرب أكثر من ذلك بكثير، فخرج عدد أكبر من السابق فعالجوهم أيضاً.

ورغم أن ذلك العلاج كان اعتباطياً فقد شعرنا بتحسن كبير، وتراجعت حدة المرض التي كنا نعاني منه الأمرّين، ولكنه تحسن وقتي لا يلبث أن يزول لأن حشرة المرض لا زالت متمكنة منا جميعاً من أجسامنا التي لم تعالج جيداً، ومن ثيابنا الملوثة وبطانياتنا التي لم تغسل أو تغلى مطلقاً ولم تر الشمس إلا نادراً.

يوم 9 آذار 1982

علمنا أنهم يعملون على توسيع سجن تدمر اللعين هذا فهم يبنون عدة مهاجع جديدة في الجهة الشمالية الغربية من السجن، لإضافتها إلى المهاجع الحالية، من أجل استيعاب الأعداد الكبيرة من المعتقلين التي يؤتى بها إلى السجن، بعد أن امتلأت المهاجع الحالية وغصّت بمن فيها من المعتقلين، ولم يعد فيها موطئ قدم.

آذار 1982 12

شهد سجن تدمر اليوم حركات غير عادية وتنقلات واسعة، وحيث أن هذه التنقلات ترافقت مع فترة انفراج وتحسن في المعاملة شيئاً ما فقد أملنا من ورائها خيراً.

جاء الزبانية إلى مهاجع باحتنا فطلبوا المعتقلين القدامى (كل من أتم سنتين في سجن تدمر) وأخرجوهم مع أغراضهم (وكنت منهم) ثم وضعونهم في المهجع (32) الذي وجدناه فارغاً.

وعلمنا من بعض الأخوة المعتقلين أن من التنقلات التي حصلت في السجن هي: نقل المعتقلين الأحداث الذين كانوا يشغلون المهجعين (31 – 32) إلى المهاجع الجديدة في الباحة السابقة، ونقل نزلاء مهجع البراءة رقم (8) إلى المهاجع الجديدة، ثم أخذ المعتقلون القدامى فوضعوا في المهاجع الفارغة، ونتيجة لهذه التنقلات فقد خفّت الكثافة عما قبل وأصبح عددنا في مهجعنا الجديد رقم (32) (110) معتقلين فقط!!

13 آذار 1982
أحضر الزبانية عدداً من المعتقلين من المهاجع الأخرى فضموهم إلينا حتى ارتفع العدد من جديد إلى 135 معتقلاً في مهجعنا.

وجاء الرقيب الجلاد فطلب طلباً كانت له نتائج مثيرة أجبرته على العودة إلى أسياده لاستفسارهم من جديد.. فقد طلب الزبانية المحكومين بالبراءة في مهجعنا، ولقد رأيت أن قريباً من نصف الأخوة المعتقلين في المهجع قد اصطفوا أمامه وكلهم قد حكم له بالبراءة من قبل جلادي المحاكم الميدانية ذاتها.

وظهرت الحقيقة الدامغة فالمعتقلون أحد ثلاثة: إما حكم بالإعدام فأعدم أو حكم بالإعدام المؤجل التنفيذ، أو تبين براءته وهؤلاء المعتقلون المنتمون إلى الفئة الأخيرة يبقى عليهم للمساومة بهم واستخدامهم في إظهار سماحة المتسلطين في التفريج عن المعتقلين في المناسبات.

24 آذار 1982
كم من مرة يخيب ظننا في هؤلاء الزبانية الأنذال، ولكن هل يرجى من العقرب إلا اللدغ، فصفات السوء والشر متمكنة من نفوسهم، لا يرعوون، وعن غيهم وظلمهم لا ينتهون، ولكن الله يسمع ويرى ما يرتكب زبانية سجن الموت في تدمر بحق المعتقلين المسالمين الأطهار وهو الغيور.

فهذه المعاملة التي ظنناها تحسنت عادت أسوأ مما كانت عليه، والكرباج اللعين لا يغيب عن الساحة، أما المحن وحفلات التعذيب المعهودة فعادت كما هي، ففي الحلاقة التي تمت لنا البارحة كان هناك تعذيب شديد منتظم حرص عليه الزبانية، حيث كانوا يهجمون على الواقفين قرب الجدار ووجوههم إليه فيجلدونهم على ظهورهم، ثم يهجمون على المنتهين من الحلاقة فيضربونهم ويعذبونهم إضافة إلى تعديات الحلاقين وسبابهم وفحشهم الذي إن دل فإنما يدل على أنهم موتورون

حاقدون، وكما تبين لنا من لهجتهم وفاحش كلامهم أنهم من العلويين، وكانوا يسحبون المعتقل على بطنه ويرفسونه على خصيته أو يمسكونه منهما ويعصرنهما عصراً شديداً حتى يغمى عليه وهم يسبون بفاحش القول بذيء الكلام، وكان حلاق الرأس يضرب كل معتقل يحلق له رأسه بماكينة الحلاقة ذاتها فيفتح في رأسه جرحاً كبيراً نازفاً الدماء.

إضافة إلى كل ذلك فقد تبين لنا أن بعض الزبانية جواسيس على بعضهم الآخر، ويا ويل من يضبط فيه أية رأفة بالمعتقلين.
يوم 13 نيسان 1982
في هذه الأوضاع القاسية والظروف الصعبة في سجن تدمر كانت الأمراض تنتشر بيننا بكثرة، والمعاناة من مختلف الأمراض تشتد يوماً بعد يوم، أما الجروح والإصابات التي كانت تصيب المعتقلين في السجن فإنها كانت تترك لتلتهب وتتقيح مسببة شتى أنواع الآلام وأسوأ النتائج دون أن تنال أي علاج، وكانت علائم وأعراض سوء التغذية وفقر الدم واضحة جلية على جميع المعتقلين إضافة إلى عد كبير من مختلف الأمراض والأوبئة.
نيسان 1982 17
تظاهر زبانية السجن ضد المعتقلين بهذه المناسبة وطافوا باحات السجن وهم يصرخون بشعارات أسيادهم، فما هم إلا أدوات تنفذ تلك الأغراض البذيئة.

ولما جاء زبانية السجن لإدخال طعام الغداء إلى المهاجع وهو كمية قليلة من الأرز المطبوخ وفاصولياء بماء البندورة، أخذ الزبانية يمنون على المعتقلين بالطعام ويدلون عليهم بأمور الله أعلم ما هي..! وقال بعض الزبانية: خذوا لنشوف خلّي يبين معكن، وقال زبانية آخرون صراحة: منا نسمع كلامكن وإيش بدكن تقولوا..؟ أي أنهم يطلبون منا أن نمجد أسيادهم ونهتف بشعاراتهم، فقال بعض المعتقلين راؤهم بشيء من الكلام حتى يخففوا من غلوائهم.. ورد معتقلون آخرون: لا.. إن ما يفعلونه يدل على أنهم منهارون ساقطون، فلا تأبهوا بهم.
يوم 27 نيسان 1982 الجرب يعود من جديد
وفي جو الازدحام الشديد في سجن تدمر الصحراوي يجد الجرب مرتعاً خصباً فيعيش ويفرخ، ولا تؤثر فيه إجراءات العلاج الموضعية، وعندما توقف توزيع دواء الجرب نشط المرض اللعين وغزا المعتقلين من جديد واستفحل في أجسامهم، فكنت ترى الحبوب والدمامل وسهر الليل وعذاب النهار وهناك صور من الإصابات العامة الشديدة التي لم يشهد الأطباء لها مثيلاً، وكان بيننا من هو طبيب مختص بهذه الأمراض وعلاجها، ولم يكن يستطيع لعلاجها شيئاً. اخترع بعض المعتقلين العلاج بالصابون العادي والطبي يذيبونه بالماء ويضيفون إليه الزيت والملح ويدهنون به أجسامهم يومياً، ولم يغن كل ذلك شيئاً.

وكنت مصاباً بالجرب أيضاً، وأخذت أستعمل قطعة صابون طبي أدلّك بها مكان الحكة حتى تهدأ، ولم يكن يفيد ذلك إلا في عدم خدش الجلد، وكان بعضهم يضع الملح العادي فيدلك به مكان الحكة حتى ينزف الدم منه، وكان.. ولم يفد كل ذلك شيئاً..

يوم 5 أيار 1982
أحضر الزبانية مجموعة من المعتقلين فضموهم إلينا وتبين لنا أنهم من القادمين حديثاً إلى سجن تدمر، وكان عدد هذه المجموعة خمسة عشرة معتقلاً ثالث مجموعة تصل إلينا كانت الأولى (10) معتقلين، والثانية (8) معتقلين، وعلمنا منهم أن زبانية السجن نظموا لهم فور وصولهم حفل عذاب رهيب استمر عدة ساعات (عذاب الاستقبال) ضرب فيه كل منهم في الدولاب (150) كرباجاً، كما ضرب على رأسه وظهره وغير ذلك مالا يحصى من الكرابيج والعصي، وقد وضعهم الزبانية بعد ذلك في المهجع رقم (1) فبقوا فيه شهراً كاملاً والزبانية يعذبونهم في الصباح والمساء ويذيقونهم ألوان العذاب في كل حين، كما علمنا أن دفعات المعتقلين مستمرة في القدوم إلى سجن تدمر بمعدل ثلاث دفعات أسبوعياً، وأن عدد دفعتهم كان 22 معتقلاً، وأن المهجعين (1 و 2) يستعملان لتجميع المعتقلين الجدد وبعد أن يمتلئا عن آخرهما يفرغ أحدهما بالتناوب ويوزع نزلاؤه على بعض مهاجع السجن، وأن الدفعات تأتي من مختلف فروع المخابرات في دمشق وغيرها من محافظات القطر.
أيار 1982 11
كانت حفلة عذاب الحلاقة البارحة رهيبة قاسية، تفنن الجلادون خلالها في تعذيب المعتقلين وضربهم وإيذائهم، حيث كانوا يأخذون كل بضعة عشر معتقلاً بعد أن ينتهوا من الحلاقة ويجبرونهم على نزع ثيابهم (بالشورت) ويجعلونهم يزحفون على أكواعهم وركبهم حتى تسيل منها الدماء، وهم يضربونهم ويجلدونهم بالكرابيج.

وقد أخذ الدكتور عبد العزيز الذي كان مصاباً من قبل في رجليه منذ حفلة عذاب الاستقبال وبالكاد استطاع المشي منذ بضعة أيام، فعذب وجلد حتى أغمي عليه وأدخل حملاً إلى المهجع، وكان هناك خلال هذا الحفل من العذاب زبانية مميزون نشطون في الضرب والعذاب لا يكلون ولا يملون يحركهم حقد أسود وتدفعهم شياطين الإنس والجن.

كما أن الحلاقين كانوا يملأون الوجه بالجروح، ويقطعون منه كثيراً من الجلد، ويتركون فيه كثيراً من خصل الشعر هنا وهناك.
يوم 14 أيار 1982
في الساعة العاشرة صباحاً جاء الرقيب المجرم فواز وفتح باب المهجع وصرخ بصوت قاس يأمرنا بالخروج بالشورت إلى الباحة قائلاً: لبرا ولك كلاب تنفس يا عرصات.. بالشورت.. بادرنا إلى نزع ثيابنا والخروج فلا مجال ولا مناص، وما يفعل الأسير وهو في يد عدو لا يرحم، ووقفنا في طرف الباحة وصرخ فواز وهو غاضب ساخط: ولك حقراء.. اثنين اثنين خلال ربع دقيقة وإلا، حاولنا أن نصطف حسب المطلوب فلم

نتمكن خلال الوقت المحدد، فهجم فواز وزبانيته علينا كأنهم الكلاب المسعورة يضربون أجسامنا العارية.

ثم أمرنا فواز أن نمسح أرض الباحة وننظفها بأيدينا، وباشرنا عملية التنظيف أو التعذيب المؤلمة، نمسح الأرض ونجمع حبات الرمل والتراب وغيره.

ولكن فواز أخذ يصرخ من جديد بغضب: ولك لورا يا كلاب.. ويأمرنا أن ننظف الأرض جيداً لأنها كما يقول لا تزال وسخة. وينقض علينا هو وزبانيته يضربوننا ويرفسوننا مع السباب وشنيع الألفاظ، واستمر الحال هكذا في تقدم وتراجع وفواز لا يهدأ له أوار، كلما تقدمنا متراً أرجعنا إلى الخلف مترين حتى ملت الأسماع الصراخ وضاقت الأنفاس من القهر والألم..

وفي النهاية لا نهاية للعذاب والقهر في سجن تدمر تخير الجلادون بعض المعتقلين فأوقعوا بهم أشد العذاب، هذه بعض فنون فواز وأساليبه المجرمة في تعذيب المعتقلين ساعة من العذاب وكأنها دهر لما جرى فيها من بغي وكيد.
"الجلادون"
(فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين)

كأننا نحن المعتقلين في سجن تدمر أموات في حساب الأحياء، أو أحياء في حساب الأموات، نودع النهار وراء النهار، والليل وراء الليل، فلا نستقبل في كل صباح إلا القضبان والجدران، والزبانية العتاة يمنون علينا باللقيمات القليلة ويعذبوننا ويعتدون علينا في كل وقت وفي كل مناسبة، قد أدمنوا معاملتنا بالكرباج والعصا والقسوة والعنف، فهم مثابرون على إيذائنا دون كلل أو ملل، ودون تفكير أو نظر كأنهم آلات ناطقة بالأذى والشر يعملون دون عقل أو فكر، لا يفهمون ولا يسمعون (صم بكم عمي فهم لا يبصرون) الزبانية من الكبير المنتفش حتى الصغير المنتفخ المغرور، ولكنهم معروفون موصوفون ولن تخطئهم يد العدالة الربانية، وسينتقم الله منهم عاجلاً أو آجلاً، كل نفس بما كسبت رهينة إنهم أساطين العذاب والبغي والعنف والفجور في سجن تدمر المندفعون إلى الاعتداء على المعتقلين حملة الكرابيج والعصي، أصحاب الدواليب ومن أبرزهم الرقيب الحاقد "فواز" فرعون عصره في تدمر الذي طغى وبغى فلم يسلم أحد من كيده وشره.
يوم 19 أيار 1982
أستاذ ومدرس قدير ومرب فاضل من مربي الجيل يبلغ من العمر (40) سنة متوسط القامة أسمر الوجه أمضى في التعليم بضعة عشر عاماً ، ذلك هو المعتقل (محمد جميل ب) من محافظة إدلب.

كان الأستاذ محمد جميل مريضاً منذ بضعة أشهر دون أن يكشف عليه طبيب أو يلتفت إليه أحد، وكانت حالته تزداد سوءاً يوماً بعد يوم، ومع انهيار قوته الجسمية فإن قوته الإيمانية كانت في الذروة، فهو مؤمن بأن هذه المحنة ما هي إلا أيام

وستزول وسيعقبها فرج كبير ونصر عاجل بإذن الله، وإن لم تحتم أن يعيش ليرى هذا الفرج، فالآجال بيد الله.

ولما أقعده المرض عن الحركة وصعب عليه الأمر، بكى ألماً وقهراً ولكن الأخوة انتدبوا لخدمته واختص بالعناية به زميل له ومدرس رياضيات مثله، فهو يحوطه بالعناية ليل نهار، يحمله ويضعه ويهيئ له مضجعه الخشن، ويلبي طلباته في الليل والنهار، ويغسل ثيابه ويعتني به كما تعتني الأم بطفلها.

ولكن حالة الأخ زادت سوءاً يوماً وبعد يوم، فلما كان يوم أمس غاب عن الوعي وأخذ يردد كلمات غير مفهومة المعنى، وحزن الأخوة المعتقلون في المهجع جميعاً لحاله واهتموا لما به وأخذوا يدعون له بحرارة، ولكن روحه الطاهرة انتقلت إلى بارئها قبيل الظهر، فغسلناه وكفناه بثيابه وصلينا عليه ثم أخرجناه للزبانية حيث أخذ إلى مثواه الأخير.

كانت وفاة هذا الأخ الطيب رغم ما كان يتمتع به من صحة جيدة حين مجيئه إلى سجن تدمر صدمة قوية للمعتقلين، فهو مؤشر هام على ما ينتظر المعتقلين جميعاً من هلاك سواء بالتعذيب والضرب على أيدي الزبانية، أم بالشنق أم بغيره من الصور والأسباب.

كان الصيدلي (ع) وهو شاب دون الثلاثين، رقيق الحاشية، يجلس ويمد رجليه ويقشر الدمامل المقيحة أو يفقأها، ويعتصر القيح منها.

وكنت أتألم لحاله وأقول له مازحاً: الله يعينك..

فيتحسر ويقول أنا ما شفت ولا سمعت بمثل هذا الجرب.. فأقول له: وبشر الصابرين..

وبعد أن يهدأ يسألني بعد أن يطلب مني الجلوس: تعال لعندي.. نعم خبرني كيف شايف حالك؟.. كيف وضعنا في سجن تدمر؟.. وهل إلى خروج من سبيل؟.. فأقول له: أما أن الله كريم عظيم رحيم وسنخرج من هنا بإذن الله سالمين غانمين، رغم أنف الكافرين والحاقدين.. ولا يعجبه هذا الكلام فيقول: يا أبا محمد، لماذا نحن نتكلم في الآمال.. نعم أملنا بالله أننا سوف نخرج من السجن ولكن الواقع.. أنا أريد الواقع كيف ترى هذا الواقع؟ وهل سيفرج عنا حافظ أسد وإلا (بدو يموتنا هون) وأقول: هذه بيد الله وحده، ولا يحيي ولا يميت إلا الله على كل حال هذه ليست آمال بل يقين، فالله لن يتركنا ولن يتخلى عنا ونحن بحبله مستمسكون وببابه واقفون، ويرد قائلاً: والله الصحيح أنا شايف أن الموتة هون.. ما في طلعة.. إذا ما أعدمونا بدنا نموت مرض وجوع أو عذاب وقتل، وبعد وفاة الأستاذ محمد جميل كان يقول: كلنا بدنا نلحق الأستاذ محمد جميل.

يوم 23 أيار 1982
كان من الجلادين المشرفين على عملية الحلاقة اليوم اثنان من عتاة الجلادين
الأول: الجلاد صلاح - طويل أبيض (22 سنة) ابن مختار قرية ساحلية قريبة من بانياس حاد الصوت - كثير الحقد على المسلمين- شديد الكره للصلاة والمصلين.
والثاني: جلاد مهذار لا يكف عن الهذر والسباب والفحش وكأنه مخمور في حانة وهو يتسلى خلال ذلك بتعذيب المعتقلين.

كان الجلاد الرهيب صلاح شديد الحماس كعادته للضرب والأذى، يستعمل يديه أحياناً فيلكم ويصفع، وأحياناً أخرى يستعمل الكرباج يضرب به الظهور والرؤوس. وقد اخترع مع نفر من الجلادين العتاة ممن هم على شاكلته، أسلوبا جديداً من أساليب العذاب وذلك منذ فترة من الزمن، فكان يأخذ المعتقل من الخارجين للحلاقة، فيلكمه ويرفسه ويصفعه ثم يلقيه أرضاً على ظهره، ويجثم على صدره ويضغط بركبته على عنقه، حتى يحطم حنجرته ويكاد يقضي عليه.

اليوم أخذ الجلاد صلاح شاباً من اللاذقية وهو محام في الخامسة والعشرين من العمر يدعى (ي) فضربه وعذبه ثم ألقاه أرضاً ودعس على عنقه وظل يضغط حتى أغمي على الرجل المسكين وانقطع نفسه، ولما رأى الرقيب ما جرى صرف صلاح رفيقه عن الرجل المسكين، ثم أمر اثنين من المعتقلين أن يحملوه إلى المهجع، وفي المهجع أخذ الرجل المغمى عليه يقيء وقد انقطع نفسه، فهو يشرق بريقه ولعابه وقيئه، حتى كاد يختنق، وجحظت عيناه، واصفر وجهه وظل كذلك فترة وغدا بعد ذلك عليلاً نحيفاً. وقد طبق صلاح هذه الطريقة على عدد من المعتقلين في المهاجع الأخرى، فقتل على يديه عدد من المعتقلين، وكان الجلاد الآخر الفاحش يتسلى بتعذيب المعتقلين بصور أخرى منها: أنه يأمر المعتقل أن يضع إصبعة السبابة على الأرض ويدور حولها بسرعة -وهو يستحثه- وكان المعتقل بعد ذلك يحس بالدوار، فيقع على وجهه على الأرض، أو يصطدم بالجدار فيشج رأسه، أو تلتوي عنقه، ومع ذلك كان يضربه بالكرباج ويسخر منه ومن ألمه، وكان مع هذا الجلاد نفر من رفاقه الجلادين، يعاونونه ويتسلون معه، فما أبشعها من تسلية.
جلادون عتاة
سجن تدمر مركز رئيسي لتدريب الجلادين على التعذيب وأساليب القسوة والعنف، هذا ما أدركنا وجوده، فمنذ مدة من الزمن كان يأتي إلى السجن الجلادون العتاة في الأماكن الأخرى مثل: مراكز المخابرات وغيرها، يأتون إلى السجن ليمارسوا بعض أساليب التعذيب على المعتقلين، ويحلو للجلادين العتاة أن يظهروا قوة عضلاتهم وشدة ضرباتهم ليثبتوا لأنفسهم البطولة والمهارة في اللكم والرفس، وحيث أن أغلبهم أو عامتهم من العلويين الذين تمتلئ قلوبهم بالغل والحقد الدفين، الذي لم يجدوا له متنفساً إلا في مثل هذه الحالات داخل جدران السجون والمعتقلات، فهم يمارسون ساديتهم الجبانة على المعتقلين العزل.. ويصبون أحقادهم عليهم. فتراهم في كل مناسبة يندفعون بحمية جاهلية، يضربون ويرفسون وخاصة خلال التفقد اليومي.

يوم 2 حزيران 1982
ينالنا في كل يوم عدة هجمات من العذاب والضرب العنيف، ومن أقسى هذه الهجمات في هذه الأيام، ما يتم خلال التفقد اليومي الذي يجري في الساعة الثانية ظهر كل يوم، ونخرج فيه إلى الباحة حتى يعدنا الرقيب كالعادة، ثم ندخل المهجع وخلال ذلك يهجم علينا الزبانية وينالون منا.

منذ بضعة أيام وخلال التفقد المعتاد انقض أحد الزبانية وبيده كرباج ثقيل وأخذ يضرب به الأخوة المعتقلين خلال دخولهم إلى المهجع، بينما يضرب آخرين في جهات أخرى، وأصاب الأخ أبا مصطفى ضربة رهيبة من هذا الجلاد على رأسه، والتف رأس الكرباج فقرع صدغه من الناحية الأخرى، فصرع الأخ المعتقل أبو مصطفى وشج رأسه، ولكن تبين لنا بعد ذلك أنه أصيب بارتجاج دماغ شديد أفقده ذاكرته بالكامل، كما أفقده السيطرة على جسمه وأعضائه، وأبو مصطفى عالم جليل، ومدرس في إحدى المدارس الشرعية المعروفة.

وفي تفقد آخر منذ يومين هجم الزبانية على المعتقل الشاب عبد القادر (19 سنة) طالب ثانوي، فأخذوه وضربوه وحملوه على أيديهم ورفعوه أقصى ما يستطيعون، ثم ألقوا به على الأرض الإسمنتية الصلبة، فوقع الأخ مغمى عليه وحمله زملاؤه إلى المهجع.

أما البارحة فقد انقض أحد الجلادين العتاة ويبدو أنه زائر جديد انقض علينا ونحن في صف التفقد، وهو يصرخ بحقد ويسب ويجدف ويرفس برجله وجوه المعتقلين واحداً بعد الآخر، وهو يتلفظ بأشنع ألفاظ السباب، فكان مما قال: ولك كلاب حقراء انتو بدكن قتل كلكن... والله لأضربكن برشاش الشميزر كل 16واحد، بدي اقتلن بطلقة يا كلاب.. وحينما وصل هذا الجلاد الحاقد إلى المعتقل الأخ "أبي إبراهيم" وهو بنّاء في الخمسين من عمره، وقد خالط الشيب شعره وجعل له مظهراً مهيباً، فغاظه مظهره وصورته الساكنة الهادئة، فانقض عليه ورفس وجهه بقوة جعلت الدم يتدفق من فمه وأنفه، وصرخ فيه وسبه: شو جاي تسوي هون.. ما وسعك بيت أمك وأبوك ما شبعوك الخبز جاي لعندنا..!!

وكان ممن نالهم الضرب والأذى، المعتقل الأخ أبو أنس الذي أصر على أن يقف بدل أحد كبار السن في الصف المواجه للزبانية، فأصابه ما أصابه ولكنه لم يأبه لما أصابه، وقال لمن حاول أن يشجعه أو يعزيه: يا أخي هذا الجسم يجب أن يفنى في سبيل الله.
يوم 5 حزيران 1982 حمام دم
كانت الساعة تقترب من الرابعة بعد الظهر، والحر شديد والجو خانق، ونحن نجلس في ظلام المهجع، نذكر الله ونسبحه وقد مال بعض المعتقلين على بعض يتهامسون

بأصوات خافتة كالعادة، كان هذا يوم آخر يكاد يمضي وينقضي من أيام سجن تدمر الطويلة الحافلة.

كانت هذه حالنا بينما كان زبانية سجن تدمر من جهة أخرى يكيدون ويمكرون، فليس لدرك التردي الذي يساقطون فيه من قرار، فقد عميت بصائرهم وتسلطت أهواؤهم، وما عاد للنور إلى قلوبهم من سبيل.

وما لبثنا أن فوجئنا بمجيء الزبانية، وسمعنا صوت الجلاد الفاجر فواز، وهو يصرخ: (مهجع 32) ولك حقراء.. بالشورت يا كلاب)، واتبع ذلك بسيل من السباب البذيء، لم يدع عندنا شكاً في أن ما سمعناه حقيقة وليس وهماً، فأسرعنا ننزع ثيابنا ونخرج، لم يكن من المتوقع حضور الزبانية في مثل هذا الوقت الذي يكونون في كسالى متخمين بعد وجبة الغداء الدسمة التي حشوا بها بطونهم.

كان الجلاد الفاجر فواز في أشد ما عرف عنه من حقد وغل، فهو يصرخ ويسب وينقض علينا مع الزبانية الآخرين، يضربوننا بالكرابيج والعصي، ويتلاعبون بأرواح المعتقلين كما يحلو لهم.. وفي طريقنا إلى الحمام كان الجلاد الفاجر فواز مع الزبانية ينظمون لنا في كل باحة وعند كل زاوية أو باب تمر به هجمة عذاب شرسة، من ذلك النوع الذي برع الجلاد الفاجر فواز في شنها على المعتقلين، فيهجمون علينا كأنهم الكلاب المسعورة، أو الوحوش الضارية، ويضربوننا حتى يكلوا، وفي الحمام ذاته أخذوا ينقضون على من تصل إليه أيديهم منا فيضربونه، فتناثرت الدماء في أنحاء الحمام نتيجة جروح وإصابات كثيرة، وأصبح الحمام "حمام دم".

وفي طريق العودة كان أشد ما يثير الزبانية ويزيد في أوار هجوهم علينا، هو أننا نحمل الأخوة المصابين الذي عجزوا عن متابعة السير.

يعجز القلم حقاً عن وصف أحداث ذلك اليوم المشهود وما جرى فيه، والذي شمل التعذيب المهلك فيه جميع المعتقلين في مختلف مهاجع السجن، وقتل فيه واستشهد عدد من المعتقلين أذكر منهم: الطالب الشهيد أحمد طوير: وهو شاب حدث لم يبلغ السابعة عشرة من عمره، من مدينة إدلب، ضربه الزبانية على رأسه بالعصي حتى سقطت إحدى عينه من محجرها، فحملها وهو يكبر، حتى استشهد وانتقلت روحه إلى بارئها.

وفي مهجعنا كان هناك عدد كبير من الأخوة المعتقلين، بعضهم مصاب بكسور في الأيدي أو الأرجل، وبعضهم مصاب بجروح شديدة قاطعة في الرأس، وآخرون مصابون برضوض وجروح مختلفة. كان ممن أصيب مهندس زراعي من مدينة إدلب في الخامسة والأربعين من عمره، ناله من الجلادين عذاب شديد، ورغم سقوطه مصاباً بكسر في الحوض، لم يتوقف الزبانية عن ضربه ومنعوا زملاءه من حمله، فاضطر أن يزحف تحت الضرب والعذاب حتى دخل المهجع.

وممن أصيب المعتقل أبو إبراهيم البالغ من العمر سبعة وستين عاماً فقد كسر ساعده وشج رأسه.
يوم 9 حزيران 1982
كان حر الصيف أشد علينا من برد الشتاء وأصعب، حيث تشتد حرارة شمس الظهيرة حتى تصلي الأرض ناراً ولهيباً، ويغدو كل شيء ساخناً الهواء والجدران والماء، ومع الباحات الواسعة المفروشة بالأسمنت، ينبعث اللهيب فيزيد في شدة الحر رغم انقضاء فترة الظهيرة، فيكون الحر آخر النهار أشد منه في وسطه، وفي جو المهاجع المحصور كنا نعاني من ذلك الحر اللاهب.. وكان الزحام الشديد في المهاجع يجعل الأمر مشكلة خطيرة فعلاً، هذا بالإضافة إلى أمور أخرى أيضاً مثل: عدم كفاية الغذاء من ناحية الكمية والنوعية، وفساد الهواء وتناثر غبار وأوبار البطانيات القديمة المهترئة، لذلك كان كل معتقل يعاني من مجموعة من الأمراض المختلفة، وكانت نتيجة تلك العوامل ظهور مرض الالتهاب الرئوي والسعال الشديد والبصاق المدمي أو الكدر، وقد أصيب بهذا المرض وبشكل قوي، بضعة عشر معتقلاً في مهجعنا.. وكنا نحاول التخفيف عن هؤلاء المرضى، فنخصهم ببعض الأغذية المناسبة التي تأتينا رغم قلتها.

وكان رأي الأخوة الأطباء المعتقلين، أن حالة الجميع من الناحية الصحية سيئة وتنذر بالخطر، وإضافة إلى أنهم يحتاجون إلى العلاجات الفعالة بشكل ضروري، فإنهم بحاجة ماسة إلى غذاء مناسب يرد إليهم شيئاً من القوة الجسمية، ويخفف من سوء التغذية وفقر الدم الذي يعانون منه، ولكن الإصابات القصبية والرئوية كانت منتشرة بين غالب المعتقلين في المهجع المزدوج (5 - 6) الذي يبلغ طوله حوالي ثلاثين متراً والذي يعيش في ظلام حتى في النهار، إضافة إلى أن الحر في ذاك المهجع لا يطاق، وأن أجسام المعتقلين تتصبب عرقاً طوال النهار، وكأن في حمام شديد الحرارة، ورغم أن الأخوة المعتقلين حاولوا بكل الوسائل الممكنة وقاية أنفسهم وحمايتها والحفاظ على سلامة أجسامهم، لكن الظروف القاسية جداً التي كانت تحيط بهم والتي يعيشونها رغماً عنهم، وهم يعيشون في ظلام المهجع أربعاً وعشرين ساعة في اليوم، والكثافة شديدة فقد كان في هذا المهجع وحده ما يقترب من (300) معتقل، والهواء فاسد متغير الرائحة على الدوام، لأن نوافذ هذا المهجع على الدوام كالعديد من أمثاله ضيقة وقليلة.

فقد جاء الزبانية يوماً وطلبوا المرضى فجأة، وحيث أننا قد جربناهم وعرفنا أن ما يبغونه في العادة هو تعذيب المرضى، لذلك لم يخرج إليهم إلا عدد قليل جداً، فإذا بهم يأخذون هؤلاء المرضى ويعرضونهم على فحص ما صوري ليقولوا بعد ذلك.. ما فيكن شيء عم تكذبوا عم تتمارضوا.

وعرفنا أنهم أي الزبانية لا يرضون أن تتدخل أية جهة في موضوع المعتقلين هؤلاء حتى الأطباء مهما كانت الأسباب، لذلك عالج الزبانية الموضوع بنقل نزلاء المهجع

المزدوج (5 - 6) ووضع قسم منهم في المهجع (31) والقسم الباقي في مكان آخر، ووضعوا معتقلين آخرين عوضاً عنهم في المهجع المزدوج.

كان الأطباء يتحرجون أن يسموا هذه الأعراض بأنها (مرض السل) لأن ذلك يجب أن يقرره المختبر، ولكن التطورات الأخيرة جعلت الأمر لا يثير أي خلاف، فقد اعترف الزبانية بأن عدداً كبيراً من المعتقلين مصابون بمرض السل الرئوي الشديد.

بما أن مهجعنا يقع في أول صف المهاجع في الباحتين (5 و 6) فإن حفلات العذاب كانت غالباً ما تبدأ به، فما نشعر إلا والزبانية على الباب يضربون بكرابيجهم الجدران ويصرخون فينا للخروج إلى ساحة العذاب. ورغم فظاعة هذا الأمر وشناعته، فقد كنا نحمد الله سبحانه ونسجد له شاكرين، فالمؤمن يحمد الله على السراء والضراء أولاً، وثانياً لأننا بهذه الطريقة ننجو من عذاب "انتظار العذاب" وترقبه، وهو عذاب يرهق الأعصاب ويؤلم أشد من ألم العذاب ذاته.

أما المميزات العكسية فهي:

أولاً: أن الزبانية يأتون إلى مهجعنا وهم في أوج اندفاعهم وحقدهم ونشاطهم، فننال أوفر قسط من العذاب من بين مهاجع الباحتين /5 و 6/ سواء في حفلات عذاب الحلاقة أو الحمام أو غيره. إضافة إلى أن بعض حفلات العذاب تبدأ وتنتهي في مهجع أو مهجعين، وغالباً ما يكون أول مهجع في الباحة الذي هو مهجعنا، كما أن نوعين من الأعمال المجهدة كان يتعرض لها المهجعان الأولان في الباحتين /5 و 6/ هما المهجعان (25 - 32) وأقسى هذين العملين هو توزيع أكياس الخبز الثقيلة، وتوزيع جاطات الأرز المطبوخ أو البرغل، وسطول المرقة، كانت أكياس الخبز على ثقلها مما يمكن حمله من قبل الفتيان النشيطين، ولكن جاطات الأرز أو البرغل كانت أثقل وأصعب على الحمل، ومع ذلك كان الزبانية ابتداء من أوائل عام 1982 يخرجون عدداً من المعتقلين من المهجع 25 ما بين /10 - 20/ معتقلاً ونادراً ما يجاوزونهم إلى غيرهم، وكان على هؤلاء أن يتحركوا بسرعة فائقة دون أي هدوء أو التفات، ويجب أن يركضوا حتى وهم يحملون الحمل الثقيل من خبز أو طعام، وكان الضرب بالكرباج أو العصا يلاحقهم دائماً، فما ينتهون من هذا العمل المضني إلا وهم في أشد حالات الإنهاك.

وكان الزبانية يوقعون بهم أو ببعضهم على الأقل أشد العذاب دون سبب أو لأتفه الأسباب. والعمل الثاني: هو ما يدعونه تنظيف الباحة، حيث يخرج الزبانية أيضاً عدداً من المعتقلين ما بين /15 - 25/ معتقلاً مع المكانس وأوعية الماء، ويجب أن يتحركوا بسرعة كبيرة، يكنسون وينظفون، ومع ذلك يعتدي عليهم الزبانية بالضرب والعذاب بسبب ودون سبب.

وغالباً ما تتحول عملية التنظيف إلى حفل عذاب مرعب.. ومضت مدة من الزمن وعملية العذاب هذه تكرر يومياً..

وكان هذان العملان من نصيب نزلاء المهجعين الأولين في الباحتين وهما المهجعان (25 - 32) ونادراً جداً ما يجاوزها الزبانية إلى غيرها، وخاصة إدخال الطعام فقد كان غالباً وخلال فترات طويلة من نصيب نزلاء المهجع (25) وكان هذا عملاً مرهقاً، إضافة إلى ما يتعرض له المعتقل خلال ذلك من عذاب.
يوم 17 حزيران 1982
وكعادة الرقيب فواز فقد جاء اليوم وهو غاضب حانق عرفنا ذلك من حدة صوته وهو يصرخ قائلاً: بالشورت ولك كلاب.... وتوقعنا السوء من هذا الفاجر، وتلقانا الزبانية ونحن نخرج إلى الباحة بالضرب والسباب.. كان فواز يصرخ كعاداته، وأجبرنا على كنس الباحة بأيدينا تحت ضرب السياط وصراخ الزبانية، وكان ممن عذب اليوم: مدرس تاريخ متقدم في السن، أشيب الشعر، قد هدّه المرض وما عاناه في سجن تدمر، أخذ الجلاد يرفسه بحذائه العسكري (البوط) على ظهره وبطنه بقسوة، والمعتقل المريض يتعطفه ويرجوه أن يشفق عليه، والجلاد مندفع إلى تعذيبه غير آبه.. وعذب معتقل آخر دمشقي (صاحب معمل) اتهمه فواز بأنه رفع رأسه وفتح عينيه، فضربه الجلادون حتى أنهكوه، وقد تورم وجهه وجسمه، وعذب آخرون وآخرون، وعلى مدى ساعة أو تزيد كان أوار العذاب والضرب والصياح على أشده.. حتى حين دخولنا المهجع أمسك الزبانية بعدد منا ثم ضربوهم بالكرباج على أجسامهم العارية أقسى الضرب، وكان من نصيبي حوالي عشر ضربات هائلة من الكرباج، وخمس على يدي، وخمس على ظهري، وقد تورمت يداي وبقي أثر تلك الكرابيج في ظهري أياماً طويلة، ولقد ذهب الزبانية بعدها إلى غيرنا من المهاجع يعذبون نزلاءه، ورغم أن العذاب قد استعر في الباحة وقتاً هو أقصر ولا شك مما تعرضنا له نحن من عذاب، ولكنا كنا خلال ذلك مشغولين بأنفسنا، نداوي الجراح، ونطمئن على أعضائنا، ولم ننس مع ذلك الدعاء لإخواننا المعتقلين المعذبين.

كانت هذه إحدى مفاجآت العذاب الذي لا ندري إلا وقد حل بنا، فلا نعلم له موعداً ولا سبباً ولا مناسبة.
من جرائم الجلاد الرقيب فواز والزبانية في سجن تدمر - حزيران 1982
الحديث عن جرائم زبانية سجن تدمر طويل لا يكاد ينتهي مليء بألوان الفساد والشر والقسوة والعنف والعبث بأرواح المعتقلين، وكأن هؤلاء المعتقلين ذباب فهم يقتلون فيهم بغير حساب بل بمتعة وانتشاء.

كان بطل حفلات التعذيب والقتل هو الرقيب الرهيب فواز، وهو متوسط القامة دون الثلاثين من عمره، له شاربان أسودان في وجه حنطي، وهو نصيري شديد الحقد، ويتميز بصوت رفيع حاد ولهجة جبلية، رغم أنه يحاول أن (يتفاصح) ومن ألفاظه كلمة (حوص) التي لقب بها (والدكتور) أحد ألقابه أيضاً. وهو كثير الصراخ والكفر والتجديف والسباب، لذا لقبه بعض المعتقلين بـ (عيطه) وقد حق له أن يحوز قصب السبق في

ميادين التعذيب في سجن تدمر لما في نفسه من غل وكيد وسعار، فكان ينشط لمراقبة المعتقلين في المهاجع في الليل والنهار، ويقوم بضبط حركاتهم وضبط المصلين والمشتبه بأنهم يصلون خاصة، وينزل بهم بعد ذلك أقسى العقاب مع .مهاجعهم كلها وذلك في هجمات عذاب رهيبة
شنق بأيدي الزبانية
أول ما عرفت هذه القضية كان خلال الحلاقة التي جرت لنزلاء بعض المهاجع أواخر سنة 1981 ثم انتشرت بعد ذلك وتكررت وطبقت على الكثير من المعتقلين في مختلف المهاجع. في شباط 1982جاءت دورية من زبانية السجن بإمرة الرقيب فواز مع الحلاقين لإجراء الحلاقة للمعتقلين في مهاجع الباحة الخامسة، وأخذ الزبانية مع الرقيب فواز يمسكون بالمعتقل ويضعون عنقه ضمن عصا الفلقة ويفتلونها حتى يشتد حبلها على رقبته، ثم يحملونه بها حتى يختنق، ثم يلقونه وهو بين الموت .والحياة

وعصا الفلقة هذه عبارة عن عصا خشبية غليظة مثبت عليها حبل بطول (1.5)م) مربوط من نهايته على طرفيها. ويتدلى من الوسط، وعمل هذه العصا هو ما اشتق من اسمها (الفلقة) حيث توضع رجلا المعذب في الحبل وتفتل العصا، ويشتد الحبل ويمسك بالرجلين إلى العصا التي يمسك بها اثنان من الجلادين يفتلونها ويرفعونها، فترتفع رجلا المعتقل لتلقي ضربات الجلاد عليهما دون أن يستطيع تحريكهما أو إبعادهما، ولكن الجلادين اليوم يريدونها لعمل آخر اسمه (لعبة الشنق) وهكذا اختاروا أحد المعتقلين ممن توخوا فيه الأهمية والمكانة، فوضعوه في وسط الباحة وأدخلوا رأسه ضمن الحبل المربوط إلى نهايتي العصا وفتلوا العصا حتى اشتد الحبل على عنقه، والعصا على رقبته وهكذا أعلن فواز للمعتقل المسكين: والله لنشنقك يا ..كلب

ورفع اثنان من الجلادين المعتقل بالعصا إلى الأعلى محمولاً من رقبته، فزفر المعتقل واختنق وتخالج واضطرب بقوة، وحاول بيديه الضعيفتين تخليص رقبته من الحبل الذي يضغط عليها، ولكن يديه خانتاه وغامت عيناه وغاب عن الوجود ومات، كان الجلادون يصرخون في هستيريا يسبون ويلعنون ويجدفون ويضحكون بجنون، وألقوه أرضاً لا حراك به، ورفسه فواز اللعين ووصمه بالكذب قائلاً: عمتعمل حالك ميت يا كلب؟ ولكن أنى للميت أن يجيب، فأمر فواز اثنين من المعتقلين فحملاه إلى المهجع .وجيء بآخر.. ثم آخر وآخر

كان المعتقل (ش) هو ضابط صف أحد أولئك المشنوقين وقد ألقي في المهجع إلى جانب إخوانه أولئك، وأخذ بعضهم يمسح وجهه ويدلك له رقبته، وقد أحس الحرارة في الجسم، ولكن بلا طائل، وبعد ساعتين تقريباً صحا المعتقل (ش) من إغمائه وكأنه بعث من بعد موت، ولما سئل عما حدث له قال: لا أعلم سوى أني كنت في .حلم جميل

كانت لعبة الشنق إضافة إلى عذابات أخرى تجري أمام المهجع (34) وفواز منتش بنجاحه في تسعير حمى العذاب، فهو يصرخ بصوت قاس ويسب ويجدف ويشارك في التعذيب بيديه، وفي المهجع (25) في الباحة السادسة والذي انتقلت إليه الدورية مع الحلاقين بعد الانتهاء من مهاجع الباحة الخامسة، بدأت الحلاقة وفواز يغلي كيداً وغيظاً وما لبث أن تفاهم مع عناصره بالنظر والإشارات، وصرخ في المعتقلين وسب وشتم وجدف، ودار الكرباج يهبد به الجلادون على رؤوس المعتقلين وظهورهم في قسوة، وجيء بعصا الفلقة، فقد أعجبت لعبة الشنق فواز اللعين والطغاة الصغار، وهكذا أخذوا أحد المعتقلين وأدخلوا رقبته في الحبل وفتلوا العصا ورفعها اثنان منهم، واشتد الهرج والصياح والهزء، والمعتقل المسكين يغالب الموت والحبل يخنقه ويحطم حنجرته وألقوه جسداً هامداً لا حراك فيه، ولم يتحرك رغم رفسات الرقيب فواز وصراخه، فلما أيسوا منه أمر فواز اثنين من المعتقلين فحملاه إلي داخل المهجع والرجل السكين يغالب الموت، وبعد ساعة من الزمن فارق الحياة.. ولم يأبه فواز ولا الطغاة الصغار بالأمر.

وأما القتيل الشهيد فيدعى أبا محمد رجل حلبي في الثلاثين من عمره، وهو واحد من كثيرين استشهدوا تحت التعذيب بهذه الوسيلة أو بوسائل وطرق أخرى، وطبعاً لم يجر أي تحقيق أو سؤال للقتلة، بل كوفئوا على ما اقترفوه من جرائم.

حزيران 1982 رمضان 28

رمضان هذا العام أشد رمضان مر علينا في سجن تدمر وأقساه، ذلك أننا لم نكن نأبه بما أحاطنا من تضييق وعذاب، وما أصاب أجسامنا من أمراض وسوء تغذية، فجاء انقطاع الماء مكملاً لسلسلة العذاب، وقد كنا نعاني سابقاً من انقطاع الماء فترات طويلة تستمر أحياناً أغلب اليوم، ولكن هذه المرة كان الانقطاع مستمراً، فها قد مضت ثمانية أيام ولم تعد المياه (إلى مجاريها) ونحن لا نجد أقل الكفاية من الماء في هذا الحر اللاهب، خاصة وأننا صائمون، فعندما يحين موعد الإفطار لا نجد من الماء ما يروي ظمأ النهار الطويل، فكان ذلك بلاء رهيباً ومحنة جديدة مضافة إلى بلاءات ومحن السجن.

يوم 7 تموز 1982

كم من أرواح طاهرة انتقلت إلى بارئها تشكو ظلم الطغاة وبغيهم، وإجرام وعدوان الزبانية الأنذال وفجورهم، ودمويتهم. كم يستطيب هؤلاء الزبانية أجواء العذاب والتقتيل والدم، وكم لهم من صولات فاجرة على المعتقلين الأبرياء في سجن تدمر، ولئن ظنوا أن بغيهم هذا يخفى على الناس فإنه لا يخفى على الله (الذي لا تخفى عليه خافية) وأنه سبحانه سيفضحهم ولو اختبئوا في عقر دارهم أو أعمق أوكارهم..

البارحة وخلال عملية الموت الأسبوعي (الحلاقة كان الضرب والعذاب على أشده ولم يكد ينجو أي معتقل في مهجع، من الضرب والعذاب والإيذاء ولكن أحد الأخوة المعتقلين وهو شاب في الخامسة والعشرين من العمر طويل القامة أسمر الوجه، اشتط عليه الزبانية في عدوانهم المنكر، فما أدخل إلى المهجع إلا حملاً ووضع في ناحية من المهجع.

كان مشوه الوجه والدماء تنزف من وجهه، محطم الجسم منهكاً، وكأن هؤلاء الزبانية الأنذال وحوش غاب أو كلاب مسعورة لا عقل لهم ولا ضمير ولا مروءة ولا وجدان.

وممن أصيب يومها الشاب اللطيف الأديب ابن العشرين عاماً المعتقل (عبد الواحد) فقد عذبه الزبانية حتى أنهكوه وأدخل المهجع ذاهلاً وقد فقد ذاكرته جزئياً وراح ينظر إلينا وإلى المهجع باستغراب وكأنه يرى ذلك المكان للمرة الأولى في حياته، وأخذ يسألنا: ليش أنا هون؟ ليش ما بروح على بيتنا؟ ولما لم نستطع أن نرد عليه الجواب بغير النظرات التائهة انخرط في البكاء وأخذت الدموع تسيل على خديه بغزارة.
يوم 15 تموز 1982
خلال التنفس الذي تم لنا اليوم بالبطانيات، كان يجلس قربي في طرف الباحة الأخ المعتقل "حسين" فوق بطانياته وقد أطرق رأسه وغض بصره وسكن نصف عار، كما كان كل منا جالساً عن نفس الصورة تقريباً، كانت هذه هي صورة التنفس الذي يتم بين فترة وأخرى، والذي لم يكن يخلو في الغالب من الضرب والعذاب.

كان المعتقل "حسين" مريضاً منذ مدة من الزمن وقد ارتفعت حرارته البارحة، فكان يهذي طوال الليل، وكان لمرضه يخاف البرد، لذلك لبس بعض الثياب الإضافية فكان يلبس بنطلوناً تحت بيجامته ومع أن الجو في الخارج كان ربيعياً، إلا أن جو المهاجع البعيد عن أشعة الشمس كان أقرب إلى البرودة، لذلك كان عدد غير قليل من المعتقلين يلبسون أيضاً بعض الثياب الإضافية لأنه لم يخطر ببال أي واحد منا أن الجلاد "جهاد" سيتخذ ذلك ذريعة لتنفيذ غاية في نفسه وأمر بيته من قبل ، خاصة وأن الجلاد "جهاد" كان قد قال لنا مرة: ولك لا تلبسو ثياب كثير حتى ما تقملوا. وقد عجبنا يومها من نظريته غير المنطقية.

قام هذا الجلاد المجرم إلى المعتقل حسين وصرخ فيه: ولك ليش لابس بنطلون.. وأخذ كرباجاً وانقض عليه يضربه ويهبد به ظهره العاري، والأخ المريض يئن ويصرخ ويرتجف تحت وقع الضربات حتى أنهك.

وبتوجيه هذا الجلاد أخذ الزبانية ينقضون على هذا المعتقل أو ذاك ويضربونه أقسى الضرب بحجة أنه يلبس ثياباً إضافية ثم عادوا يضربون الأخ حسين ويعذبونه حتى اضطر إلى خلع ذاك البنطلون وإلقائه بعيداً قدر ما يستطيع.
(تموز 1982 (حفلة عذاب ليست الأخيرة في سجن تدمر 24
اشتد الحال في سجن الموت وحمي وطيس العذاب حولنا، ولليوم الرابع على التوالي كان الزبانية يطوفون على المعتقلين في المهاجع المجاورة ويعذبونهم ونحن نسمع أصوات المعذبين وصرخاتهم الوالهة وهبدات الكرابيج على أجسادهم وغيره من أصوات العذاب.. فترتفع أيدينا إلى السماء وتتوجه قلوبنا إلى الله سبحانه ندعوه ونستغيثه ونستعينه ونستنصره ونتوكل عليه وحده.. وكنا نتوقع أن يأتي دورنا وأن يحل بنا العذاب بين لحظة وأخرى..

وفي صباح اليوم جاء الزبانية وعلى رأسهم الرقيب المسمى (جهاد) وصرخوا فينا أن نخرج إلى الباحة بالشورت.

كان ظناً رجونا أن يصدق وهو أن المقصود هو أخذنا إلى الحمام، ولكن الرقيب جهاد وجهنا إلى داخل الباحة ثم امرنا أن نمشي مشي البطة.. ولمحنا عند ذلك العدد الكبير من الزبانية والكرابيج في أيديهم.. فما لبث هؤلاء أن انقضوا علينا يضربوننا، فكانوا لا يتركون المعتقل حتى يتمزق ظهره وتسيل منه الدماء وينقلب لونه من الأبيض إلى الأسود الكالح والأحمر الكامد. وبعد ساعة من العذاب دخلنا المهجع مجرحين ممزقين فماذا نفعل لقد قررنا أن نسجد لله رب العالمين فله الحمد على كل حال.

وهذه الحفلات الدموية أمر روتيني في سجن تدمر.

آب 1982 5

طلب عدد كبير من المعتقلين للإعدام وأخذوا مع شروق شمس هذا اليوم 1982 وكان مهجعنا أقرب ما يكون إلى مكان الإعدام، كان الصمت التام يلف المكان، وغابت جميع الأصوات والحركات المعهودة في باحات السجن سوى ركض بعض العساكر مسرعين يقرعون بأحذيتهم الثقيلة أرض الباحة، كان كل شيء يوحي بأن العملية الرهيبة على وشك أن تتم فعلاً.

أخذنا نسمع الحركات المعهودة حين الإعدام مثل تحركات الجلادين، ثم بعض الأصوات القليلة التي تبدأ بين الفينة والأخرى، وصوت آخر سمعناه قبل هذه المرة ولم نعرف له معنى! ولكن في هذه المرة أصبح لدينا تصور جديد عنه..

إنه صوت آلة جديدة للإعدام يستعملها جلادو سجن تدمر ويبدو أنها ليست بحاجة إلى كثير تعب، كانت تصدر حين تشغيلها صوتاً يشبه الضرب بالرجل على الأرض، وكان هذا الصوت يتكرر بين الفينة والأخرى. ونسمع بعض الأحيان ضحكة هستيرية مجنونة رغم رهبة الموت المسيطرة، إنهم المجرمون العتاة فقط الذي يضحكون، ومن يحلو له الضحك في مثل هذا الموقف غيرهم، كما كنا نلاحظ أيضاً أصوات اضطراب وارتطام وزفير شديد. وانطلقت صرخة واحدة شقت السكون ثم اختفت.

فما هذه الآلة الجهنمية الجديدة التي تختطف الأرواح...؟؟

وأمر آخر كان قد تكرر مرات ونحن في أشد الاستغراب والعجب منه هو اختفاء أصوات التكبير... من قبل المعدمين..

كان الذهول والحيرة يسيطران علينا، وكان الألم والقهر يعتصر قلوبنا، فلا ندري ماذا نقول ولا نفعل سوى التسليم إلى الله والدعاء له سبحانه والاستغاثة به.

وكان يحيرنا أكثر وأكثر موضوع انقطاع التكبير حتى نقل إلينا أحد المعتقلين الذين شاهدوا عمليات الإعدام، وكيف أن جلادي سجن تدمر قد أزعجهم وأقلق خاطرهم صوت تكبير الشهداء ساعة الإعدام، بل وأرعبهم بقوته وعظمته وبالإصرار الذي في، لذلك فإن الزبانية أخذوا منذ مدة، يضعون على أفواه المعدمين شريطاً لاصقاً (بلاستر) يسد أفواههم ويمنعهم من صراخ التكبير، وحدثنا عن مشاهدات رآها في ساحة الإعدام، وكيف أن بعض زبانية السجن كانوا ينقضون على الشهداء بعد أن تفارق أرواحهم أجسادهم فيمثلون بهم، وكيف أن حبل المشنقة كانت عبارة عن حبل رفيع (مرسه) من خيوط النايلون، وإنها كانت تؤدي في بعض الأحيان إلى قطع حنجرة الأخ المعدم. والذي كان يتعذب حينذاك فترة طويلة، هو الذي يزفر من حنجرته المقطوعة..

تتالت أفواج الشهداء المعدمين في الباحة الخامسة في سجن تدمر وكأن الطغاة المجرمين يسابقون الزمن ليقضوا على أكبر عدد من المعتقلين (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين).

7 آب 1982 هدوء معتقل

من ذا الذي يغتر ويلمس الثعبان اللين الناعم الأملس وينسى ذلك السم القاتل في أنيابه فإنه ذو طبع غدار لا يتغير ولا يتبدل، لم يمض إلا وقت يسير على الانتهاء من إعدام فوج كبير من المعتقلين في خفاء سجن تدمر حتى شعرنا أن الزبانية يريدون أن يغطوا على قضية الإعدام وعلى غيرها، فهاهم يبدون تساهلاً ولينا، ولكن هيهات فإن اليد الملوثة بالدم البريء لن تغسلها مياه الدنيا.

وفيما تلا ذلك من أيام كنا نشعر من معاملة الزبانية أن في الجو شيئاً، وأن يد الله تعمل في الخفاء.. فأكرم بموعود الله..

جاء الزبانية اليوم لإخراجنا للتنفس وفتح الرقيب الباب وقال: تفضلوا تنفس، إنها كلمة ما شبهناها إلا بالكلمة التي قالها عمر قبل إسلامه لزوجة المؤمن المهاجر عبد الله بن جحش حينما جابهته بإيمانها القوي غير ملتفتة إلى جبروته وعنجهيته.. فقال لها برقة (صحبتكم السلامة) ولكن. إنها عناية الله وإنها قدرته التي تذل الجبابرة وتقصم ظهور الأكاسرة والقياصرة.

11 آب 1982 المرضى

بعد شهور طويلة من المرض والعذاب جاء زبانية السجن وطلبوا مرضى الجرب، فخرج عدد منا للعلاج مع أن الجميع كانوا مرضى، وهكذا أعطي هؤلاء بعض العلاج مرتين أو ثلاثاً ولكن الشر المتأصل في نفوس زبانية سجن تدمر وطبيعة العقارب والأفاعي تأبى أن تغادرهم، فما لبثوا أن انقضوا على مرضى الجرب هؤلاء وأخذوا يضربونهم، وكان أول من وقع به العذاب في الباحة مهجعنا، فأجبرونا أن نمشي مشية البطة على جنبات الباحة مع الضرب، ولما عجز بعض المرضى من المسنين والمصابين

بالفتاق مثلاً لم يرحموهم بل أجبروهم على السير تحت الضرب الشديد، وأخطأ الصيدلي المريض (ع) فكان نصيبه حفلة عذاب ساخنة، وأجبرونا جميعاً أن ندوسه بأقدامنا وهو ملقى على الأرض.. وقد حرم كثير من الأخوة المعتقلين على أنفسهم العلاج بعد ذلك، ورضوا بالمرض فهو أرحم من تعذيب زبانية سجن تدمر، وذهب الزبانية يدورون على المهاجع يطلبون المرضى فإذا خرجوا إليهم أنزلوا بهم أشد العذاب، حتى إذا جاء الزبانية مرة ثانية يطلبون المرضى والكرابيج في أيديهم رد عليهم رئيس المهجع: ما في حدا مرضان ولا حدا جربان.. وانتشى الزبانية بانتصارهم.. وانتعشوا.

"آب 1982 "رؤى مبشرة 15

إن الله سبحانه يتولى بعنايته ورعايته ولطفه وكرمه أولئك المعتقلين الأبرار المنيبين إلى الله اللائذين بحماه، فهم على نور ورضا وطمأنينة قد أنزل الله عليهم سكينته وحفتهم ملائكته وذكرهم في ملئه الأعلى. وقد أكرمهم الله سبحانه بالرؤى الصادقة بشرى وتثبيتاً وإكراماً لهم من الله تعالى. فقد رأى أحد الأخوة المعتقلين النبي صلى الله عليه وسلم رؤيا واضحة جلية ولم يكن الأخ الكريم بالذي يريد الظهور فأخفى أمرها إلا أنه للترويح وتبشير إخوانه حدث بها أحد إخوانه المعتقلين وطلب منه عدم نسبتها إليه.

كان مضمون الرؤيا كالتالي: رأى الأخ المعتقل النبي صلى الله عليه وسلم وحادثه طويلاً وقال له النبي صلى الله عليه وسلم : الفرج قريب.. إن هي إلا أيام.. ثم أوصاه النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً: لا تكثروا من الكلام واللغو، وأكثروا من الذكر والتسبيح والدعاء وقراءة القرآن.. مع وصايا أخرى.. وقد تفاءلنا كثيراً ببشارة النبي هذه، وأيقنا أنها لا بد أن تحدث فرؤيا النبي صلى الله عليه وسلم حق.

الإفراج

في يوم الثلاثاء بعد الفطور من تاريخ 1983/8/18 كنت قد نويت الصيام وقمت إلى حصتي من الفطور - ربع كأس من الشاي. وست حبات من الزيتون فصررتها في قطعة صغيرة من النايلون ووضعت الشاي في كأس البلاستيك ووضعته في جانب من المنافع.

وكان الإخوة يتناولون طعام الإفطار والساعة تشير إلى السابعة صباحاً حين نودي في المهاجع البعيدة على بعض الأسماء وهذا في حد ذاته أمر غريب، ففي هذا الوقت أو ما قبله إنما ينادى على أسماء المعدمين.. فوقفنا وجلين وتنصتنا حذرين، فإذا بعض الأسماء تعرف من قبل بعض الاخوة المعتقلين وأن أصحابها ممن حكم القاضي ببراءتهم منذ زمن بعيد...؟ إذاً ما الهدف من طلب جهاز السجن لهؤلاء...؟ لعله الإفراج!!...

وتحفز الإخوة في المهجع وجاء الرقيب إلى باب مهجعنا ونادي بعض الأسماء، ونشط المهجع يريد أن يودعهم فرحاً لإفراج طال انتظاره حتى لمن حكموا بالبراءة من قبل القضاة الجلادين.

ونودي على اسمي فجأة لم أكد أصدق أذني فأسرعت بالإجابة - حاضر- وأسرعت إلى الباب فتثبت الرقيب من اسمي وأمر من نودي باسمه أن يجهزوا أنفسهم ولم يقل شيئاً. فأسرعت إلى مكاني جاء الإخوة يعانقونني ويودعونني: لا تنسنا أبا محمد، وقال أبو أنس: ادع لنا يا أبا محمد إنه يعني ما يقول.

وكيف أدعو لكم يا أبا أنس فهذه: الكلمات هي الدعاء وهي النداء وهي البيان: فلعل هذه الكلمات تكون دافعاً لكرة الظلم والظالمين بما تصف وتكشف من بغي وجور وظلم وظلام. ولعل هذه الكلمات تثير في الإنسان روحه الإنسانية ونفسه الخيرة وشهامته ومروءته، فيكون من مبعد ذلك مندفعاً إلى كل خير مندفعاً إلى خير نفسه ومجتمعه وبين جنسه، أما الكافرون بالحق والدين فلن تزيدهم هذه إلا فجوراً وضلالاً وعمي (فمثلهم كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث).

جمع عدد من المحكومين بالبراءة من مختلف المهاجع وساقونا إلى باحة المكاتب فأجلسونا في طرف منها، وأخذ كاتب هناك يتحقق من أسمائنا وأرسل في طلب من لم يحضره السجانون من المعتقلين، ثم أدخلنا الغرفة المشؤومة غرفة الانتظار قرب المدخل. فإذا هي قد طليت بدهان زيتي أبيض يخفي تحته سواداً وأوساخاً وآلاماً، وها هي الجدران الحجرية مشوهة غير مستقيمة تشي بأنها طليت طلاء زائفاً، من هنا مررت منذ عامين.. عامين من العذاب والقهر والآلام والموت.. عامين لم أمت فيهما لأنه لم ينته أجلي، وها أنا ذا شبح إنسان أنهكني المرض والنحافة والجرب والسعال والتهاب الرئتين الشديد والتهاب الكلي والبيلة الدموية، والحمد لله على كل حال ونعوذ بالله من حال أهل النار، إن الله في رقابنا عهوداً قطعناه ولن نخونها: أن نكون لله عاملين وعلى دينه مستقيمين ولنبيه متبعين مقتدين لا نمالئ الظالمين المجرمين، نحارب الظلم والظالمين، نجاهد في الله حتى يأتينا اليقين شهداء، إن شاء الله رب العالمين.

خرجنا من باب سجن تدمر الكالح وتسلمنا عناصر المخابرات ونقلونا بسيارات مغلقة كل معتقل إلى المحافظة التي اعتقل فيها، وبعد بضعة أيام في زنزانة المخابرات جاء خلالها زبانية المخابرات ليتفقوا معنا على صيغة للوشاية بكل من يحمل أفكاراً لا توافقهم، فلم نلتفت إلى ذلك حقاً فنحن نعرف الحقيقة ونعيها. ثم أفرج عنا.

كاد الأهل يصعقون لتلك المفاجأة التي ما كانوا يتوقعونها، وضج الناس بالبكاء وهم يرون أمامهم شبح رجل عاد إليهم من العدم، ولقد رأيت أحد الشيوخ يحدق بي بعينيه الكليلتين وهو دهش، يتمتم لنفسه: "كأنه خارج من قبر".

كان منظري حينها مرعباً حقاً فوزني الذي كان قبل الاعتقال /85/ كغ إذا به الآن 45 كغ فقط، ووجهي شاحب وعيناني غائرتان وخداي بارزان ويداي نحيفتان معروقتان،

وبكى أبي الشيخ الكبير وبكى الناس من حولي، فأبكوني لبكائهم حتى ما عدت أتمالك نفسي.

فإذا كانت هذه حال عائلة واحدة فكيف هي أحوال آلاف العائلات المنكوبة بفقد أبنائها، وهل يهنأ لي عيش مع أهلي وعيالي وأنا أرى آلام الأهل والعيال على أبنائهم ومعيليهم، وأعرف ما يعاني أبناؤهم في سجن الموت سجن تدمر العسكري الصحراوي؟؟

نظام الممنوعات في سجن تدمر
نظام الممنوعات في سجن تدمر وسيلة من أكبر وسائل العذاب في هذا السجن وهو مؤيد بالتعذيب وأجواء الرعب المسيطرة في ذلك المعتقل الرهيب. ويبدو أن الغاية من نظام الممنوعات هي إيقاع المعتقل المسكين في وحدة عميقة من الانقطاع التام عن الدنيا، وشل عقله بالعذاب والرعب، لينضبط لهذه النظم من ناحية مع التكدير المستمر من ناحية أخرى، بحيث ينسى المعتقل كل شيء، فلا يفكر إلا فيما يلقاه من أهوال ويسيطر ذلك على فكره فيشوشه، وعلى نفسه فيعقدها، وعلى جسمه فيضعف ويهزل ويبقى صورة مهزوزة للإنسان، مع إعدام كل ذي خطر (في رأيهم)).

أما الممنوعات في سجن التصفية الجسدية هذا فهي كثيرة جداً لذا فإن الأسهل هو ذكر المسموحات ولكن بما أنها غير موجودة أصلاً ولا عرف منها شيئاً فلا بد من تعديد بعض أهم الممنوعات، إلا أن هناك مسموحات من نوع آخر، وهي خاصة بالجلادين ومسؤولي السجن فهم حائزون على الدعم الكامل في ممارسة كل ما يمكنهم من فنون العذاب والتقتيل التضييق على المعتقلين.

وأهم الممنوعات في سجن تدمر هي:

1 - منع الكلام بتاتاً وخاصة مع العساكر الجلادين، كما أنه ممنوع على العساكر أنفسهم الكلام مع المعتقلين أو سؤالهم عن أسمائهم أو تهمهم.

2- ممنوع رفع الصوت والتكلم بشكل عادي في المهاجع، ولا يجوز أن يسمع من المهجع أي صوت وإلا تعرض لأشد العقوبات.

3 - ممنوع أن يتكلم المعتقلون مع بعضهم بعضاً حتى لو كان ذلك بصوت خفيض لا يسمعه أحد، ومن يضبط وهو يحادث جاره يعاقب الاثنان عقوبات شديدة، وقد تعم العقوبة المهجع كله.

4 - ممنوع الحركة والتجول في المهجع نهاراً، إلا للحاجات الضرورية وكافة الحركات الرياضية منوعة. والتجمعات والحلقات ممنوعة.

5 - ممنوع استعمال الأسماء سواء من قبل العساكر ومن قبل المعتقلين، إلا أن يكون طلباً من جهاز السجن.

6 - يمنع وجود أي نسخة من القرآن الكريم منعاً باتاً.

7 - الكتابة ومستلزماتها ممنوعة فالأقلام والدفاتر وسائر أنواع ورق الكتابة ممنوع.

8 - الكتب والصحف المجلات وكافة أنواع المطبوعات ممنوعة منعاً باتاً.

9 - الراديو والمسجلة وكافة الوسائل السمعية أو البصرية ممنوعة منعاً باتاً، ولا يجوز أن تجتاز جدران سجن تدمر بتاتاً.

10 - الزيارات: زيارة الأهل أو غيرهم للمعتقل ممنوعة منعاً باتاً، وقد دفع بعض الناس مبالغ خيالية ورشاوى للمسؤولين حتى تمكنوا من زيارة معتقليهم.

11 - الرسائل من و إلى المعتقل وسائر أنواع الاتصال أو إرسال الأغراض أو الحاجيات ممنوعة منعاً باتاً.

12 - العبادة والصلاة (خاصة) والوضوء كل ذلك ممنوع منعاً باتاً. والعبادة هي الملاذ الروحي للمعتقل، يقصد بمنعها إفقاد المعتقل هذه الناحية الهامة التي تقوية وتثبته وتعينه على ما يلقاه من محن وآلام.

13 - فتح الأعين والنظر في وجوه الشرطة ممنوع، ويمنع النظر إليهم تحت طائلة التحطيم والتعذيب الشديد.

14 - يمنع السهر بالليل بل يجب أن يكون الجميع نائمين من السادسة مساء حتى السادسة صباحاً، ويمنع النوم أو الإضجاع نهاراً، وتمنع الحركة ليلاً ويتعرض من يتحرك لعقوبات شديدة.

15 - الإبر والخيطان ممنوعة وكذلك الدبابيس.

16 - الملاعق ممنوعة وكذلك كافة الأدوات المعدنية.

17 - ممنوع الحركة في وجود الشرطة، ويجب أن يكون الجميع واقفين باستعداد مغمضي العيون منكسي الرؤوس.

18 - الدخول للمنافع لأكثر من واحد ممنوع ليلاً.

19 - الاتصال مع المعتقلين في المهاجع الأخرى ممنوع.

20 - كما يمنع نظام السجن المعتقلين من الحصول على أي مواد طعامية.

21 - ممنوع تجبير الكسور ومن شوهد أعيد فك الأربطة البدائية عن الكسر. وهكذا في سلسلة لا آخر لها من الممنوعات.

أسباب ومناسبات وأنواع العذاب في سجن تدمر

لا ادري بأي منطق يسوغ تعذيب الإنسان أو بأي سبب يرتكب التعذيب بحق المعتقلين في سجن تدمر.. حتى الموت بلا حدود وفي استمرارية منتظمة، نعم إن نظام سجن تدمر إنما هو برنامج عذاب وإرهاب وتقتيل يستغرق الليل والنهار يذيق المعتقلين أفانين القهر والموت والمرارة.

أما ما هي الأسباب لكل هذا فهذا ما لا يمكن الإجابة عليه، ولكن هناك نقاطاً يمكن تحديدها وتمييزها لأسباب العذاب، سواء ما كان منه داخلاً ضمن نظام سجن تدمر، أو هو من نوع آخر إضافي..

كما أن هناك المناسبات المستخدمة للعذاب وهي نقاط ومناسبات تزخر بها أيام سجن تدمر ولياليه.

أما أنواع العذابات فهي عديدة أيضاً ولندخل في التفاصيل.

أنواع التعذيب في سجن تدمر

1 - التعذيب بالجلد على الرجلين بالكرباج بعد وضع المعتقل في الدولاب وضبط رجليه بعصا الفلقة.

2 - التعذيب بالجلد بالكرباج على الجسم العاري والظهر والصدر والجانبين، أو الضرب بالكرباج على الرأس.

3 - التعذيب بالجلد بالكرباج على الأيدي وجهاً وقفا.

4 - التعذيب بالخنق باليدين أو الشنق بعصا الفلقة المذكورة سابقاً، أو بالدوس بالحذاء على الرقبة أو الضغط على الحنجرة بالركبة.

5 - التعذيب باللكم والرفس والدوس على مختلف أنحاء الجسم.

6 - التعذيب بالضرب بالعصا الغليظة قطر (7 - 8سم) وطول (1.25)م على الظهر أو الرأس أو الأطراف أو البطن.

7 - التعذيب بالوخز بالمسلة وراء الأذن وفي الآليتين والكتفين والوجه وغيره.

8 - التعذيب بالضغط على الخصيتين أو رفسهما.

9 - التعذيب بالضرب بالحذاء على الوجه.

10 - التعذيب بوضعية الجلوس، حيث يجبر المعتقلون على الجلوس بأوضاع مرهقة فترات طويلة منها: جلسة السجود واليدان خلف الظهر، ومنها القرفصاء واليدان خلف الظهر والرأس محني بشدة والقدمان منصوبتان وغيره.

11 - التعذيب بالأعمال الرياضية المجهدة: رقصة روسية (التمرين السادس) - مشي البطة – القرفصاء - سير القرد - الضغط وغيره.

12 - التعذيب بوضعية الوقوف على رجل واحدة واليدان مرفوعتان إلى الأعلى ساعات طوالاً.

13 - التعذيب بالتجويع وقلة الطعام كماً وكيفاً.

جهاز معتقل تدمر العسكري الصحراوي

يتألف جهاز سجن تدمر العسكري الصحراوي من سلسلة من الرتب العسكرية من ضباط وصف ضباط وجنود ومجندين وجميعهم من الشرطة العسكرية، ويتبع هذا الجهاز الطباخون وهم عساكر أيضاً. والبلدية وهم سجناء عسكريون قضائيون يستخدمون لأعمال الخدمة في السجن.

يتم انتقاء عناصر جهاز سجن تدمر من النصيريين الطائفيين أو من عناصر حزبية موالية تماماً، أو من البدو، وقد اخضع عناصر هذا الجهاز لدورات تدريبية على فن التعذيب كما يخضعون لعملية توجيه مستمرة تجعلهم في غفلة عن واقع الأمر الذي يعيشون فيه. وعلى رأس جهاز السجن هذا:

أ - مدير السجن: الرائد المجرم فيصل غانم "34" سنة نصيري طائفي متوسط القامة ممتلئ الجسم حليق الشاربين.

الرائد فيصل يتميز بالقسوة البالغة الدموية يملأ قلبه حقد اسود على المعتقلين، لذا فهو مولع بحفلات التعذيب الصاخبة ومولع بصراخ المعذبين لا يرتاح إلا إذا سمع صوت ضرب الكرباج وعويل المعذبين من باحات السجن. وهو متكبر متغطرس لا يكلم مرءوسيه إلا باستعلاء واحتقار دون أن يلتفت إليهم. والرائد فيصل من المقربين من الطاغية أسد وممن يثق بهم كثيراً.

وقد هيئت له كافة الإمكانيات ليقوم بمهمته في ضبط معتقل تدمر والسيطرة عليه والتعتيم على ما فيه. وعززت إمكانية المجرم فيصل بأن أسند إليه منصب قيادة سرية التأديب الموجودة في نفس الثكنة التي يقوم فيها سجن تدمرٍ ومنصب ضابط أمن المطار العسكري الذي لا يبعد عن مدينة تدمر إلا 2كم تقريباً، وزود أيضاً بهاتف خاص يتصل مباشرة مع مكتب الطاغية حافظ أسد.

ب – معاون مدير السجن: وهو برتبة نقيب. طويل القامة حنطي اللون، وهو ضالع أيضاً في جرائم سجن تدمر.

جـ - ضباط الصف ويبلغ عددهم حوالي (15) ضابط صف عرفنا منهم:

1 – المساعد الأول أحمد 34 سنة، متوسط القامة، أسمر ملئ الجسم، له صوت رفيع حاد مميز، وهو من بلدة القريتين التابعة لمحافظة حمص.

ويتميز هذا المجرم بأنه شديد القسوة والجشع والمخادعة، فهو الذي يقود عمليات التعذيب، ويوجه الجلادين ويدفعهم، وكان لا يتوانى عن سرقة أموال المعتقلين. نقل من سجن تدمر في أواخر عام 1981 وخلفه الرقيب علي شعبان في منصب رئيس الانضباط، يعاونه الرقيب الأشقر.

2 – الرقيب علي شعبان 32 سنة، أسمر طويل القامة، نصيري طائفي، وهو معتز بنفسه، نزق غضوب، وإذا غضب اشتد شره وأذاه.

3 – الرقيب الأشقر: 30 سنة، ممتلئ الجسم، نصيري طائفي.

4 – الرقيب جهاد: 30 سنة، متوسط القامة، ممتلئ الجسم أسمر، يلبس الثياب الضيقة، متعجرف لا يأبه بأرواح المعتقلين، مندفع إلى تطبيق برنامج التعذيب على المعتقلين.

5 – الرقيب الأول فيصل: 30 سنة، نصيري طائفي، متوسط القامة أسمر اللون، متكبر متبختر نشيط في برنامج التعذيب.

6 – العريف فواز حسين: عمره 28 سنة، متوسط القامة، أميل إلى النحافة، له شاربان رفيعان أسودان وصوت حاد، وهو نصيري متعصب مليء بالحقد، ميت الضمير. كان مولعاً بتعذيب المعتقلين وإيذائهم، وممارسة شتى صنوف البطش والإرهاب عليهم، لا يرعوي عن سفك دمائهم البريئة بشغف زائد، ولا يرعوي أمام جلال الموت الرهيب. وقد رقي فواز بناء على هذه المواصفات إلى رتبة رقيب.

7 – الرقيب منير: (نصيري).

8 – الرقيب علي ديوب: (نصيري).

9 – العريف شعبان: 25 سنة، طويل القامة ممتلئ الجسم، أسمر اللون، أجش الصوت، وهو نصيري ملحد فاجر شرير، مليء بالحقد. يتميز من بين جلادي سجن تدمر بأنه كثير العنجهية، بالغ القسوة والعنف على المعتقلين، فهو من عتاة الجلادين في سجن تدمر، وفي رقبته كثير من الدماء والأرواح البريئة التي قضى عليها.

10 – الرقيب عادل: 25 سنة، أسمر، نصيري.

11 – العريف الأشقر: 24 سنة، ممتلئ الجسم، أشقر نصيري حاقد شرير، قتل معتقلاً صغير السن يدعى أحمد طوير، أثناء الحمام.

12 – العريف (ولي): وهو لقب له لأنه يتلفظ بكلمة: ولك باللهجة الجبلية ولي، وهو في العقد الثالث من عمره، متوسط الطول أبيض ممتلئ الجسم، نصيري.

13 – المساعد ذو الشاربين الكبيرين وهو رئيس قلم السجن.

14 – المساعد أبو بسام (الممرض): وهو أسمر طويل القامة، يعمل بنشاط في مهنته، يخفف آلام السجناء ومعاناتهم.

د – العساكر الجلادون، وهم من عناصر الشرطة العسكرية، ويبلغ عددهم حوالي 300 عنصر.

أغلب هؤلاء من النصيريين، وبعضهم من الشوايا والبدو، وبعضهم من الحزبيين الموالين، وجميعهم يهيمن عليهم فكر خبيث موجه، وجهل بالحقائق مطبق.. ويغلب على أكثرهم أصلاً فجور وسوء خلق وانحلال ذاتي. استغله أسيادهم فتراهم مندفعين إلى عملهم الإجرامي بلا شعور أو تفكير..

من هؤلاء الجلادين نفر تميزوا بالعتو والإجرام، واشتهروا بنشاطهم واندفاعهم إلى إيذاء المعتقلين والإعنات عليهم، وممارسة شتى صنوف القمع والإرهاب عليهم ومن هؤلاء:

1 – الشرطي سمير المقلب (حيو): في العشرين من عمره، أسمر الوجه نحيف الجسم، له شاربان أسودان مبرومان في وجه متطاول وهو سكير فاجر، كان يردد دائماً مجون السكارى، ويكثر من ترديد كلمة (حيو) التي لقب بها بعد ذلك..

والجلاد (حيو) باطني حاقد يمقت المعتقلين أشد المقت، ويسبهم بألفاظ بذيئة، ويتوعدهم بالشر والسوء، وهو شرير مجرم ينتهز كل فرصة للانقضاض على المعتقلين وصليهم بصنوف الضرب والإيذاء بنذالة لا مثيل لها.

2 – الشرطي صلاح: في الثانية والعشرين من عمره، متوسط القامة أبيض اللون أجش الصوت، وهو نصيري من قرية حريصون القريبة من بانياس على الساحل السوري، وهو كسابقيه من الجلادين معروف بالحقد فالغل والفجور والتجرد من كل الصفات الإنسانية، وحين يصرخ الجلاد صلاح في المعتقلين فإن صوته يشي بما في قلبه من غل وحقد وسعار على المعتقلين.. كما كان لا يتمالك نفسه فينفث ما في قلبه من حقد على المصلين إيذاءً وسباباً بذيئاً وتهديداً بشكل علني صريح، فكان يصرخ مهدداً وهو يغلي غيظاً وغضباً ويقول: "والله اللي ميصلي لفضي التلاتين ببطنو".

3 – الشرطي نعيم: طويل القامة أسمر الوجه، عمره قريب من الخامسة والعشرين، موطنه الأصلي الجزيرة الفراتية، وهو من طائفة الآشوريين، فهو ملحد فاسد العقيدة وهو فظ الأخلاق ملئ بالشر، لا يقل عن أقرانه السابقين في السوء والإجرام.

4 – الشرطي (وجيه) في العشرين من عمره، قصير القامة حنطي اللون، وهو نصيري حاقد لئيم، يندفع إلى تعذيب المعتقلين وإيذائهم في كل مناسبة، وكان مظهره يوحي بأن عمره لا يجاوز الخمسة عشرة عاماً لذا كان بعض الرقباء ينادونه قائلين: يا صغير. وكانت تصرفاته تتسم بالسخافة والصبيانية، منها أنه كان يجبر رئيس المهجع أن يلبس حذاء (شحاطة) ثم يقدم له الصف في المهجع، وهو يضرب رجله بالأرض وكانت مجمل تصرفاته توحي بالغرور والحقد والجهل الذي يملأ رأسه.

5 – الشرطي النصراني: وكان يظهر أو يدعي كراهية للتعذيب ولا يتورع عن فعله وتعذيب المعتقلين.

أما الجلادون الباقون، فمنهم من لم يبرز ولم يشتهر اسمه في مهجعنا، ومنهم من كان يحرص على التعمية وعدم معرفة اسمه، حتى كان بعض هؤلاء الجلادين يغيّر صوته ويخاطبنا بأصوات مختلفة.

أعداد المعتقلين في سجن تدمر

صرح أحد الرقباء العاملين في سجن تدمر من الذين يقومون بضبط أعداد المعتقلين، خلال مناوباتهم في معرض تسخطه أو تفاخره بعمله أنه يعمل في سجن يحوي أكثر من (3500) معتقل، كان ذلك في أواسط 1981 وكان متوسط عدد النزلاء في المهجع الواحد (110) معتقلين تقريباً، وعدد المهاجع المستعملة في السجن (32) مهجعاً، وكان الحساب التالي 32×110= 3520 معتقلاً. وفي نهاية عام 1981 كان معدل نزلاء المهجع الواحد 140 معتقلاً، وكان عدد المعتقلين في السجن كله

يساوي 140 × 32 = 4480 معتقلاً، أما في منتصف عام 1982 وحتى بعد استغراق المهاجع الجديدة الأربعة فكان معدل نزلاء المهجع الواحد (170) معتقلاً، فأصبح العدد الكلي في السجن 170 × 32 = 5440 معتقلاً، ومعنى هذا أن كل ثلاثة معتقلين حصتهم 1م2 يعيشون عليه كل حياتهم، التي يقضونها في سجن تدمر فالحياة في سجن تدمر وضمن مهاجعه المغلقة مشكلة في أساسها، فكيف إذا أضيفت إليها مشاكل أخرى، وهكذا نجد أن كثافة والازدحام بدأت كمشكلة منذ أوائل عام 1981 أي بعد بضعة شهور من بداية استقبال السجن للمعتقلين بعد إفراغه في المجزرة الرهيبة.

أما بعد ذلك في أواخر عام 1981 وعام 1982 فإن الكثافة غدت رهيبة وأصبحت الحياة في مهاجع سجن تدمر صعبة قاسية، ونبتت مشاكل عديدة وأخطار شديدة.

والله من وراء القصد

"خالد فاضل"

أخي يا من قرأت مذكراتي أو ذكرياتي هذه عن سجن الموت سجن تدمر العسكري الصحراوي..

ترى ما هي أحاسيسك ومشاعرك تجاه آلاف المعتقلين من خيرة أبناء الشعب السوري الأبي المجاهد؟

ترى ما هي أحاسيسك ومشاعرك تجاه القرامطة الجدد الذين يحكمون سورية الإباء مثل هذا الحكم الذي هو أخس حكم وألعن نظام ابتلي به شعبنا السوري المجاهد؟

ترى ما هو واجبك تجاه هذا الشعب.. تجاه هؤلاء الأحرار الأبرار الذين تصدوا للطاغية الجبان حافظ أسد الطائفي العميل؟

أليس من حق هذا الشعب عليك، وأليس من حق هؤلاء المعتقلين عليك، أن تكون إلى جانبهم، وأن تعمل على استئصال الطاعون الأسدي من أرض الشام، ظئر العروبة والإسلام؟..

لقد نقلت إليك –أخي- جزءاً يسيراً مما نالنا وما يزال ينال إخوانك المعتقلين من ألوان التعذيب والقهر والاضطهاد حتى الموت، في سجن تدمر العسكري الصحرواي..
فماذا أنت فاعل؟..

إن التاريخ يسجل على الحكام مواقفهم، كما يسجل على الشعوب مواقفهم..
فبماذا تريد أن يحكم عليك التاريخ؟

ألا أنني قد بلغت، فاشهد الله..

اللهم اشهد أنني قد بلغت..

الله اشهد أنني قد بلغت..